كتاب توفيقات المصابيح لقطب كيلة زاده

توفيقات
بح

كتاب توفيقات المصابيح
لقطب الدين زاده درس في الحديث

هذه توفيقات المصابيح
من تأليف قطب الدين
الازنيقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هو ملهم حقائق المحكمات ومظهر دقائق المشكلات ومبرز
اسرار المجملات وحافظ القلوب المطهرات عن صدمة الخلل بالشبهات وصون الزيغ
بالمتشابهات باتباع هوى النفس والمشتهيات واكمل التحيات وافضل الصلوات
على اكمل الانبياء وافضل البلغاء بالدرجات محمد المبعوث لدعوة الثقلين الى اعلى الثقات
وعلى آله واهل الطيبين والطيبات هذا واعلم ايها الاخ المسترشد والطالب المستزيد
ان علم الحديث والتفسير من اهم العلوم واعظم المعلومات لان المطالب الدينية والدنياوية
مبينة فيه ومستنبطة لكن اكثر المتعلمين في زماننا لا يهتمون بتحصيله اما لعدم
اعتنائهم بامر الدين او لتسويفهم بسوء الشياطين او لظنهم بان امره سهل وعلمه
تيسر بعد تحصيل علم الآلة بدون تحمل التعب في التعلم والقراءة فيشتغلون في
تحصيل الفنون الآلية ويسعون في تكميل العلوم العقلية وما يشعرون
ان ذلك فاسد لان تقديم تعلم العلم الديني واجب بعد تحصيل علم الآلة بقدر الضرورة

لا سيما يكون ذلك العلم من الفرضيات الدينية مع ان اكثر العلماء شرطوا التعلم والتعليم
في علم الحديث والتفسير خلاف الفنون الآلية والعلوم العقلية ومع ان دفع المعارضة
الظاهرية من النصوص القرآنية والحديثية خطب معضل وامر مشكل ولذا تحير في دفع اكثرها
اجلة العلماء واتمة الفضلاء ولصعوبة الدفع والتوفيق تاديتهم اختلاف المذاهب
والآراء وهذا العبد الفقير والخامل الحقير لما اشتغل بتدريس كتاب المصابيح في فهم الفاتر
وقلبه القاصر عند ذلك وجه دفع التعارض الظاهري في بعض الكلام النبوي المذكور
فيه بالطريق الظاهر المقبول عند اهل العقول لما ذكر بالمنقول والمعقول التمس
بعض المشتغلين من الاخوان والسامعين من الخلان ان يبرز ذلك في صورة التحرير
والتوضيح على وجه التوفيق والتصريح فاجاب وشرع في تسطيره وتحريره وذكر في اثناء
دفع التعارض والتاويل وخلال التوفيق والتفصيل قواعد مفيدة وضوابط شريفة
مناسبة للمقام ومشحذة للافهام حتى يندفع بها التعارض الظاهري من وجوه
الكلام في مثل ذلك المقام ولا يحتاج الى جواب جزئي في كل سؤال يتحقق رجاء
ممن يطالع فيه من الصلحاء المعلمين والطلباء المتورعين ان يذكروني بخير الدعاء في اوقات الخلوة
والصفاء حتى يكون ذلك سببا لوصول استقامته وغفرانه من ربه الكريم والرحمن
انه مجيب الدعوات وغافر السيئات ورافع الدرجات ومانح البركات

باب الايمان

قال النبي عليه السلام عند سوال جبريل عليه السلام عن حقيقة الايمان الايمان ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره وقال النبي عليه السلام عند سوال جبريل عن حقيقة الاسلام الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا وقال النبي عليه السلام الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وقال النبي عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقال النبي عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى تشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة واذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله وقال النبي عليه السلام من صلى صلوتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم وقال النبي عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه

والمؤمن من امنه الناس على دمائهم واموالهم وقال النبي عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له وقال النبي عليه السلام ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار وقال النبي عليه السلام ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وقال ابو ذر قلت وان زنى وان سرق ثلث مرات وقال النبي عليه السلام في جوابه ثلث مرات ايضا وان زنى وان سرق وقال في الثالثة على رغم انف ابي ذر وقال النبي عليه السلام من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وابن امته وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل واعلم ان الاحاديث المذكورة في شان الايمان والاسلام مختلفة وفي الظاهر متدافعة لان الحديث الذي في جواب جبريل عليه السلام يدل على ان الايمان يكون عبارة عن الاعتقاد والاقرار بالامور الخمسة فقط اذ لا يكون ان يقال ترك النبي عليه السلام بعض اجزاء الايمان في شانه عند جواب جبرائيل وقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة واذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام

وجنابهم على الله يدل على ان الاعتقاد والاقرار بوحدانية الله وصدق رسوله
يكفي في الايمان وعلى ان الصلوة والزكوة من اجزاء الايمان وقوله عليه السلام
ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا
حرمه الله على النار يدل على ان الاعتقاد والاقرار بوحدانية الله وصدق رسوله
يكفي في الايمان وقوله ما من عبد قال لا اله الا الله ومات على ذلك الا دخل الجنة
يدل على ان التوحيد يكفي في الايمان ولا يحتاج الى تصديق الرسول وقوله لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقوله لا ايمان
لمن لا امانة له يدل على ان الايمان لا يصح بدون كمال محبة الرسول وعليه على
سائر المحبوبات وبدون الامانة والاحتراز عن الخيانة وقوله عليه السلام الايمان بضع
وسبعون شعبة يدل على ان اجزاء الايمان اكثر من سبعين شعبة وقال
النبي عليه السلام في جواب جبرئيل عند سؤاله عن الاسلام الاسلام ان تشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم
رمضان وتحج البيت وقال انما المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه
وقال انما من صلى صلوتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي
له ذمة الله وذمة رسوله وقال لعبد الله الثقفي في شان الاسلام قل امنت

بالله ثم استقم والحديث الذي في جواب جبرئيل عليه السلام يدل على ان يكون
الاسلام عبارة عن الشهادتين واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصيام رمضان
وحج البيت والاحاديث الباقية يدل على ان يكون اكل الذبيحة وسلامة المسلمين
من يد المسلم ولسانه واستقامته من اركان الاسلام ويدل ايضا على ان ما ذكر
في كل واحد يكفي في الاسلام فلا بد في ذلك من التوفيق ودفع التعارض الظاهري
قلنا ان نقول في دفع التدافع الظاهري ان الحديث المذكور في بيان الايمان في جواب
جبرئيل عليه السلام اقوى الدلالة والرواية والاحاديث الباقية ادنى منه دلالة
ورواية فلا تعارض فيكون المراد منها بيان قوة الايمان وكماله او ثمراته وشعبه
والاقتصار على بعض الشعب والمكملات في بعض الاحاديث لاقتضاء المقام ذلك
وستعرف من تفاصيل الكلام وكذا التاويل في الاحاديث المختلفة في بيان الاسلام
واعلم ان ما ذكرنا من البيان والتوفيق والترجيح والتحقيق يكفي ههنا لان باب
الايمان والاسلام اصل اعظم وامر اهم وان الاحاديث المختلفة الواردة فيه على ما بين
في الكتب المعتبرة كثيرة وفي الظاهر متناقضة ولهذا اختلف اهل الاسلام في
حقيقة الايمان والاسلام فنشأ منه اختلاف المذاهب والآراء وفرق اهل
الضلال والاهواء وقد الف الامام محمد الشهرستاني في بيان فرق اهل الكفر

وادباب الاهواء كتابا فمن اراد تفصيل معرفة تفاصيلهما فليطالع فيه وقد اخذ
صاحب المواقف منه خلاصة فرق اهل الاهواء الذين انتحلوا الى الايمان و
من اراد معرفة ذلك فليطالع فيه وقال اكثر اهل الحديث اصول فرق
اهل الاهواء ستة القدرية والجبرية والرافضة والخارجية والمعطلة والمشبهة
ثم تفرق كل فرقة منهم الى اثنتي عشرة فرقة فصاروا اثنتين وسبعين فرقة
واعلم ان مشاهير من ظن انهم من اهل الحديث واختلفوا في صفة الايمان
المعتزلة والمرجئة والخارجية فلنا ان نبين خطاء رأيهم وعلمهم بظواهر
بعض الاحاديث وعدم قدرتهم على الجمع والتوفيق وان نبين المذهب
الحق فيه حتى يخرج السامع بذلك القدر عن ذل التقليد بما سمع من ابيه او
امام مذهبه ويعرف المذهب الحق المثبت بالادلة القوية ويعتقد عليه ويتدين
به لكن لا بد لنا قبل الشروع في بيان المذهب الحق وتزييف غيره من بيان ضابطة
نافعة في المقصود فاعلم ان ظاهر بعض النصوص الشرعية الواردة في الامور
الاعتقادية او العملية يدفع بعضها بحسب التعارض الظاهري كما سمعت بعضه
فيما سلف وقد يدفع الظاهر بعضها الاصل الاصولي المثبت في اصول الدين
فلا بد في التفصي عنهما من بيان قاعدتين حتى يعرف المستدل بهما طريق

التوفيق او الترجيح في الاول وشرائط التاويل والتوضيح في الثاني ولا يحتاج
الى سماع توفيق جزئي وتاويل شخصي في كل موضع من مواضع التدافع ومواقع
التعارض فان ذلك يشوش الحال ويكثر البال فاعلم في بيان القاعدة الاولى
ان شرط التعارض ان يكون النصان المتعارضان متساويين في الذات
والصفات وان يقتضي احدهما بالذات ما يضاد مقتضى الاخر وذلك بان يكون
محل حكميهما وزمانهما وجهتيهما واحدا فمعنى التساوي في الذات ان يكون
النصان متساويين في الثبوت بان يكونا متواترين او مشهورين او من الاحاد
ومعنى التساوي في الصفات ان يكون دلالتهما متساويين في القطعية والظنية
وتساويهما في الدلالة القطعية بان يكون النصان الدالان على الحكمين المتضادين
مفسرين او محكمين او ظاهرين او نصين ويكون دلالتهما ايضا بالعبارة او الاشارة
او الدلالة او الاقتضاء وتساويهما في الدلالة الظنية بان يكون النصان ماولين
او عامين خص منهما البعض او خبرين من الاحاد ويكون دلالتهما ايضا
بالعبارة او الاشارة او الدلالة او الاقتضاء وقد يستعمل التعارض في النصين المتخالفين
وان لم يكن ذاتهما وجهة دلالتهما متحدين لكن المحقق انهما ليسا متعارضين
لما عرفت من شرط التعارض التساوي فيهما واذا عرفت هذا القدر من التفصيل

فاعلم ايضا ان لا تعارض في كلام الله تعالى ولا في كلام رسوله حقيقة لان ذلك
يقع من الجهل تعالى الله عنه واحفظ رسوله منه فان قلت رسوله انسان
غير معصوم عن السهو والنسيان فلم لا يجوز ان يكون التعارض في كلامه بسببهما
قلنا لا نقرر رسوله على السهو والنسيان لو وقعا فاذا تخايل صورة التعارض
في النصوص الشرعية ندفعه اولا بالتوفيق والعمل بالنص ببيان اختلاف
جهتي النفي والاثبات كما سيجيء نحو بيان امثلته واذا لم يتيسر التوفيق والجمع
ندفعه باعتبار اختلاف الزمان بان يكون المتاخر مبينا انتهاء مدة حكم المتقدم
وان لم يعلم التاريخ ندفعه ايضا بالترجيح باعتبار الوصف لما عرفت من ان
المحكم يترجح على المفسر والمفسر على النص والنص على الظاهر ويترجح الحقيقة
على المجاز والصريح على الكناية والعبارة على الاشارة والاشارة على الدلالة والدلالة
على الاقتضاء ويترجح ايضا ما دل على الحرمة على ما يدل على الاباحة اذا تساويا في
في الذات وجهة الدلالة والترجيح بتلك الطرق يستوي في الكتاب والحديث
وقد يختص بالحديث ترجيح باعتبار الغير كترجيح الخبر المتواتر على المشهور والمشهور
على خبر الواحد وترجيح ما كان راويه فقيها على غيره وترجيح ما كان راويه
معروفا على ما كان مجهولا وترجيح المسموع من فم رسول الله عليه السلام وترجيح

ما يوافق القياس على ما يخالفه والذهاب الى العمل بالسنة بعد تساوي الآيتين
المتعارضتين والى العمل بالقياس بعد تساوي السنتين المتعارضتين
من باب الترجيح بالوصف لا بكثرة الادلة واذا لم يتيسر التوفيق والترجيح بوجه
من الوجوه نتوقف فيه واذا عرفت هذا المقدار من التحرير والتفصيل في
بيان القاعدة الاولى فاعلم ايضا في بيان القاعدة الثانية ان حقيقة الكلام
وظاهره يترك كثيرا ويصار الى المعنى المجازي بقرينة مانعة عن ارادة المعنى الحقيقي
والقرينة اما عقلية او حسية او عادية او شرعية او نقلية واصلها كثيرة وعلاقات
المجاز المرسل والاستعارة غير مرح وايراد تفاصيلها لا يليق بهذا الموضع لكن
نورد لكل واحد من تلك القرائن مثالا واحدا حتى يبصر الناظر فيه مثال ما
يترك ظاهره بالقرينة العقلية قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات لان العقل
يدل على ان الاعمال توجد بدون النية فيكون المراد حكمها ومثال ما يترك
حقيقته باعتبار الحس قوله تعالى واوتيت من كل شيء لانه يسر ان بلقيس
لم تعط كل شيء مما في الدنيا فالمراد الادنى وهو بان كثرة ما اعطيت من امور الدنيا
ومثال ما يترك ظاهره بقرينة عرفية وعادية قوله والله لا آكل راسا لانك
تعرف ان راس السمك والذباب وما لا يباع في السوق مطبوخا في ذلك

الموضع لا يراد منه في عرف الناس فيكون المراد ما يباع في السوق عادة من
الرؤوس ومثال ما يترك حقيقته بقرينة شرعية قوله وكلتك بالخصومة مع
فلان لانك تعرف ان الخصومة مهجورة في عرف الشرع والمسلم العاقل
لا يوكل بها احدا فيكون المراد سببها وهو اثبات المدعى به او جواب الخصم
ومثال ما يترك ظاهره بقرينة نقلية قوله عليه السلام من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فان النصوص
القاطعة الراجحة دلت على ان المؤمن لا يكون كافرا ولا يخلد في جهنم بفعل الكبيرة
كقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما والامر بالاصلاح بعد
القتل يدل على انهم لم يخرجوا عن الايمان بالكبيرة وقوله عليه السلام لا يكون المؤمن
يذنب ولا يخرجه عن الاسلام بعمل وامثاله وهذا الحديث مصرح على حديث من ترك الصلوة
فان قلت فما وجه رجحان الاية الثانية على الاولى قلنا الاية الاولى مخصوصة بخروج القاتل
عمدا على وجه القصاص والقاتل التائب بخلاف الاية الثانية الاصلاح بين كل
طائفتين منهما لمن واجب بالامر والعام المخصوص دليل ظني يعارضه خبر الواحد
فترجح عليه الاية الثانية القاطعة فيكون المراد من تارك الصلوة وقاتل المؤمن المستحل
بالترك والقتل او المراد من الكفر ستر نعمة الايمان او فعل الكفرة ومن الخلود طول المكث

وما قاله الاصوليون في كتبهم من ان جملة ما يترك به الحقيقة خمسة انواع
مندرج جميع امثلتها في الضابطة المذكورة واذا عرفت هذا القدر في بيان القاعدتين
نثبت بهما ما هو المذهب الحق في باب الايمان والاسلام ونبين بهما خطأ سائر المذاهب
المخالفة فقول اكابر المرجئة لا تضر المعصية مع الايمان كما لا ينفع الطاعة مع الكفر استدلالا
بظواهر الاحاديث كقوله عليه السلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وقوله عليه السلام
ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه
الله على النار وقوله عليه السلام ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
الا حرمه الله على النار على ما كان من عمل وقوله عليه السلام لا يلقى الله عبد بالشهادتين
غير شاك فيهما الا دخل الجنة وان زنى وان سرق وقوله عليه السلام حرم على
النار من قال لا اله الا الله وقد اورد مسلم بن الحجاج القشيري في كتابه مثل
هذه الاحاديث كقوله قال معاذ قال النبي عليه السلام من كان اخر كلامه لا اله الا الله
دخل الجنة وعنه ايضا قال قال عليه السلام من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة
وروي نحو ذلك عن عبادة ابن الصامت وعتبان بن مالك وفي حديث
عبادة على ما كان من عمل وروى انس انه عليه السلام قال حرم على النار من قال
لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله واجاب العلماء عن ذلك روي عن

ابن المسيب انه قال كان مثل هذه الاحاديث قبل نزول الفرائض والامر والنهي
وقال الحسن البصري معناه من قال ذلك وادى حقه وقيل ذلك في حق
من قاله عند الندم والتوبة ومات على ذلك ويروى عن البخاري انه قال معناه
يكون ماله الجنة والمراد بتحريم النار تحريم الخلود وذكر الشيخ ابو عمرو بن الصلاح
في جوابه يجوز ان مثل تلك الاحاديث اقتصار من بعض الرواة من تقصير
في الحفظ والضبط بدليل مجيئه تاما في رواية غيره ويجوز ان يكون اختصارا
من رسول الله فيما خاطب به الكفار عبدة الاوثان او الثنوية لانهم اذا
قالوا لا اله الا الله حكم باسلامهم وقال بعض اصحاب الحديث اذا قالوا ذلك
يجرون على اصول سائر الاحكام ويحصل حكمهم حكم المرتدين واستدل
البعض بظاهر بعض الاحاديث المذكورة على ان الايمان معرفة وحدانية الله تعالى
ولا حاجة فيه الى تصديق الرسول وغيره وما وجدت من الاجوبة في الكتب التي
عندي غير ما نقلته ولا انسب على ما ظننته صوابا ان يقال ماولا وجوابا في توجيه
كون محض الشهادتين سببا لدخول الجنة وتحريم النار ان الشهادتين من شانهما
ان يكونا سببين لدخول الجنة وتحريم النار ان لم يمنع مانع من ترك بعض
العبادات المفروضة وارتكاب بعض المعاصي المحرمة لان النبي عليه السلام

كما بين ان شان الشهادتين ذلك بين ان ترك الفرائض وارتكاب المعاصي يؤدي
الى دخول النار ولكن هذا التاويل لا يخاف قلبك حاضرا في حفظك حتى
يخلصك في كثير من المواضع عن حدة التردد ويحصل لك فيه في مقام التثبت
والتشدد حسن شرح من صماخ قلبك في لوح الوعد بدخول الجنة على واحد
من العبادات المحمدية والوعيد بدخول النار على سهل من السيئات الكبيرة ويكون
مجرد لا اله الا الله بدون محمد رسول الله سببا لدخول الجنة ان قول لا اله الا الله
علم للشهادتين او من باب اطلاق الجزء وارادة الكل كما تعال قرات الحمد لله ويراد
قراءة سورة الفاتحة بتمامها او لفظ الله علم يدل على ذاته بجميع صفاته ومن جملتها
بعثة الرسل وانزال الكتب وارسال الملائكة واقامة القيامة والتقدير بما كان ويكون
من الخير والشر فيكون معنى لا اله الا الله الاقرار بوحدانية الله وبجميع صفاته
مجملا وقد جاء مثل ذلك في باب الشفاعة حيث قال النبي عليه السلام اسعد الناس
بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه وحكى ايضا عن الله تعالى انه
قال لاخرجن منها من قال لا اله الا الله ويشبه ان يكون قوله عليه السلام في جواب سفيان
بن عبد الله الثقفي عند سؤاله عن الاسلام قل امنت بالله ثم استقم وقوله عليه السلام
في اشراط الساعة لا تقوم الساعة على احد يقول الله ومن ذكر القتل وقوله الويل

هنا ايضا النصوص القاطعة والاجماع الدالة على ان مجرد قول لا اله الا الله ومحمد
رسول الله لا يكفي في الخلاص عن الخلود في النار فلا بد فيها من الجمع والتوفيق
والتأويل والتحقيق بما عرفت في القاعدتين وستنقش في صحيفة ذهنك ولوح
فهمك ما يؤكد ذلك من زيادة التقرير والتحقيق في اثبات المذهب الحق بالبرهان
والتوفيق ان شاء الله تعالى بفضله التسديد والتوفيق وقال جمهور الخوارج بكفر
المؤمن بارتكاب الكبيرة وقال جمهور المعتزلة المؤمن يخرج من الايمان بفعل
الكبيرة ولا يدخل في الكفر لعدم خروجه عن كونه فاسقا ويخلد في النار ان مات
بدون التوبة عن الكبيرة واستدل الخوارج بظواهر بعض النصوص الشرعية كقوله عليه السلام
من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر وقوله عليه السلام ومن مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا او نصرانيا وقوله عليه السلام بين العبد والكفر ترك الصلوة واستدل المعتزلة
بقوله عليه السلام لا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يزني الزاني وهو مؤمن وله
لهم من الايات ايضا كثيرة كقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وقوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم
مهتدون وقوله تعالى واما الذين فسقوا فمأويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فنقول

في جوابهم ايضا ان النصوص القطعية الراجحة في الدلالة على ان المؤمن لا يخرج
عن ايمانه بارتكاب الكبيرة كثيرة لما ذكرنا وسنذكر ايضا بعضها ان شاء الله تعالى
في اثبات المذهب الحق فلا بد لنا من تأويل هذه النصوص المرجوحة الدالة على
خلافها لما عرفت ان النصوص الشرعية لا يتصور التعارض فيها حقيقة فنذهب اولا
الى الجمع والتوفيق واذا لم يتيسر ذلك نذهب الى غيره فالنصوص القطعية الدالة
على ان المؤمن لا يخرج عن ايمانه بفعل الكبيرة قرينة دالة على ان المراد من النصوص التي
استدل بها الخوارج والمعتزلة على اثبات مذهبهم غير ظواهرها فنقول المراد من العصيان
والتعدي في قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله العصيان والمخالفة من كل وجه بان لا
يؤمن ولا يعمل بمقتضى الايمان لما عرفت ان المراد من المطلق الكامل اذا لم يوجد قرينة
التقييد والمراد من الامن والاهتداء ايضا كمالهما وذلك مشروط بعدم خلط
الظلم والمعاصي والمراد من الظلم افظعه وهو الكفر وكذا من الفسق في قوله
تعالى واما الذين فسقوا في مقابلة قوله تعالى واما الذين امنوا يدل على ان المراد من
الذين فسقوا غير المؤمنين ويؤيد ذلك قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها الاية والمراد من قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا استحلال القتل وقتل
المؤمن لايمانه فيكون القاتل حينئذ كافرا والمراد من الخلود طول المكث والمراد من

ترك الصلوة تركها استحلالا او استخفافا فيكون كافرا حقيقة او المراد من الكفر
شريعة الايمان بترك شكره باقامة الصلوة ومحافظتها او اطلق الكفر على ترك
العمل عصيانا للايمان او التشبيه بالكفرة بترك الصلوة او المراد من الكفر لازمه وهو
العذاب والزجر عن ترك الصلوة بابلغ الوجوه وكذا اول قوله عليه السلام
بين العبد والكفر ترك الصلوة والمراد من قوله عليه السلام لا يسرق سارق ولا
يزني زان وهو مؤمن شأن ان مقتضى الايمان ان لا يسرق المؤمن ولا يزني
او من باب نفي الشيء بنفي وجوده بمنزلة عدمه لانتفاء كماله او مقتضاه
والمراد من قوله فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا تشبيه تارك الحج باليهودي
والنصراني او المراد من التارك المستحل للترك او الزجر عنه بابلغ الوجوه
ولئن سلمنا ان نقول ظواهر النصوص الشرعية التي استدل بها المرجئة
على عدم مضرة المعصية مع الايمان كالاحاديث المذكورة وكقوله تعالى واتقوا النار
التي اعدت للكافرين وكقوله تعالى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وقوله تعالى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى تدفع ظواهرها
استدل به الخارجية والمعتزلة فلا يعمل باحدهما وقال جمهور المفسرين والمحدثين
الايمان عبارة عن الاعتقاد بما يجب اعتقاده والاقرار به والعمل بالفرائض

والاجتناب عن الكبائر واستدلوا على ذلك بالايات والاحاديث الكثيرة
كقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم
عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون
والذين هم لاماناتهم راعون والذين هم على صلوتهم يحافظون اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا
وقوله عليه السلام في تفسير الايمان في حديث عبد القيس بالشهادتين والصلوة
والزكوة وصوم رمضان واعطاء الخمس من المغنم وقوله عليه السلام
الايمان بضع وسبعون شعبة وقوله عليه السلام والله لا يؤمن احدكم
حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقوله عليه السلام والله لا يؤمن والله لا يؤمن
والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه وقوله
عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له وقوله عليه السلام لا يجتمع الشح مع الايمان في
قلب مؤمن ابدا وقوله عليه السلام لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة
من خردل من الكبر وامثال هذه كثيرة واما ان نقول في جوابهم لما دل النصوص

التي هي اقوى مما ذكرتم على تفضيل الاعمال المفروضة وترك الكبائر ليسا جزءين
من الايمان وجب علينا ان نوفق ونجمع بين النصوص الشرعية ونأول قوله تعالى
قد افلح المؤمنون الى آخر الآيات بانه يحتمل ان يكون المراد من الفلاح الدخول
في الجنة من اول الامر وان يكون المراد من المؤمنين في قوله تعالى اولئك هم
المؤمنون حقا المؤمنون الكاملون او المراد بان اهل الفردوس المعين
ولا يلزم منه ان لا يدخل غيرهم الجنة لما عرف ان الفردوس اعلاها مع ان جميع
الفرائض غير مذكور في النصين المذكورين من القران وانهما ساكتان ايضا عن
ترك الكبائر فلا يثبت بهما مذهبهم بل يختل وليس اقامة الصلوة وما بعدها
من اجزاء الايمان في حديث الوفد لان تفسير الايمان الشهادتان فقط وما
بعدهما هي المامورات الا يعني التي امرهم النبي عليه السلام بعملها ولو سلم فلعل
المراد منها بيان شعب الايمان وثمراته او مكملاته او مقتضاته وكذا التاويل
في قوله عليه السلام الايمان بضع وسبعون شعبة [illegible] اماطة الاذى
من الطريق ليس من اجزاء الايمان بالاتفاق ومع ان بعض اهل السنة طعن
في رواية هذا الحديث اذ قال في بعض روايات الايمان بضع وستون فقالوا
هذا دليل عدم [illegible] والمراد من قوله لا يؤمن احدكم والله لا يؤمن لا يعمل المصطفى

الايمان او نفي الايمان وينزله منزلة العدم لانعدام كماله او مقتضاه او
المراد من قوله لا يؤمن لا [illegible] عن ترك العمل يوجب الايمان او المعنى
السديد وكذا التاويل في قوله لا ايمان لمن لا امانة له والمراد من قوله لا يجتمع الشح
مع الايمان النهي وان ورد في صورة الخبر للمبالغة كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج او المراد بان المنافي بين الشح والايمان وان معنى الايمان لين
[illegible] او المراد بان لين المؤمن الكامل من لا يكون في قلبه الشح والبخل او نزل الايمان
مع الشح منزلة المعدوم للنكتة التي نبهنا عليها والمراد من قوله لا يدخل الجنة
انسان الكبر ذلك ان لم يمنع مانع او لا يدخل ما دام بعض الكبر في ذهنه وان عرفت
هذا القدر من التاويل في رد المذاهب الباطلة المذكورة فاعلم ان حقيقة الايمان
في الشرع عبارة عن التصديق بوحدانية الله تعالى وبجميع صفاته مجملا وبرسالة محمد
عليه السلام وتصديق ما جاء به على سبيل الجزم واليقين من غير تردد ويحتمل مع
الاقرار بذلك في حال الاختيار وهو المذهب الصحيح المروي عن ابي حنيفة
رحمه الله ويدل على ذلك مقابلة الايمان بالكفر في مواضع كثيرة والمراد من الكفر التكذيب
بالاتفاق فيكون المراد من الايمان في مقابلته التصديق بما قلنا ويدل عليه ايضا قول الكفار
عند الاضطرار الى الايمان كما قال فرعون عند قرب الغرق آمنت انه لا اله الا الذي آمنت

سواء اسر او قال قوم يونس امنا بالله وحده والخصم مقر بان المراد من الايمان في
ذلك الموضع التصديق العاري عن العمل ويدل على ذلك انه عطف الاعمال
على الايمان في مواضع كثيرة من القران كقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات
واضاف الايمان الى القلب في كثير من الايات كقوله كتب في قلوبهم الايمان وقوله
ولم تؤمن قلوبهم ويدل على ذلك ايضا قوله يا ايها الذين امنوا اقيموا الصلوة
واتوا الزكوة لان الامر بالفرائض بعد النداء بامنوا يدل على انها ليست اجزاء
الايمان ويدل عليه ايضا قوله فمن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو
مؤمن لان كل الشي لا يكون شرط الجزئه ويدل على ذلك قوله عليه السلام في جواب
جبرئيل حين سواله عن حقيقة الايمان الايمان ان تؤمن بالله الحديث وقد عرفت
وجه الدلالة فيه ويدل على ان ترك الكباير ليس جزءا من الايمان قوله وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية لان الامر بالاصلاح بينهما بعد المقاتلة والبغي
يدل على ان ايمانهم لم يزل بالقتل والبغي والمعاصي وقوله يا ايها الذين امنوا كتب
عليكم القصاص في القتلى وقوله عليكم يدل على انهم لا يخرجون عن الايمان بالقتل واذا الظم
هذا القدر من الترجيح وجنة حجاك يجري بكاس بيته وتفكر اخذا سرى عقلك
عروة القاعدتين فتطلع على دلالة المذهب المنصور اقوى فسد من بذلك الله السعادة

الاسنى والمذهب الاقوى والا نقول لك حكم رسول الله بصحة ايمان من تكلم
بكلمة الشهادة قبل العمل بالفرائض وحكم بها ايضا الصحابة والتابعون ومن
بعدهم من العلماء الى هذا الان ولم ينكر عليه احد من علماء الزمان
فذلك حجة قاطعة لا يسوغ انكارها في هذا الشان فيجب عليك ان تاول
الاثار والحديث الدال على ان العمل جزء من الايمان وتركه يهدم الايمان ويسوق
اسناد بعض الاعمال في بيان الايمان لبيان كماله او رسم الايمان ببعض ثمراته
كلها وان نفي الايمان باسماء بعض الثمرات والمقتضيات باعتبار نفي كماله
لا نفي حقيقته وقد عرفنا ان تخصيص بعض الثمرات بالذكر لاقتضاء المقام
ذلك ومن تفاريع ذلك ان الايمان هل يزيد وينقص والايمان والاسلام
واحد ام لا وايمان المقلد صحيح ام لا وسيأتي الحق في تلك التفاريع انشاء الله
عن الفايت فنقول اذا عرفت ان الايمان عبارة عما ذهب اليه ابو حنيفة
من التصديق والاقرار وذلك لا يزيد ولا ينقص بحسب الاجزاء والذات
لكن قد يقوى ويرسخ باعتبار تعاضد الادلة العقلية التفصيلية او الكشف
والاسرار الذوقية الباطنية ويكمل ويحكم ايضا باعتبار المواظبة على العبادات
والمجانبة عن السيئات اذ نعرف كل احد ان ايمان الانبياء والملائكة ونصدقهم

وجزمهم ليس كتصديق العوام واعتقادهم في القوة والثبات لان ايمانهم لا يقبل
التغير والتردد بتشكيك المشكك ولا بتعاقب المصائب والنوائب بخلاف ايمان العوام
المقلدين فالآيات الدالة على زيادة الايمان كقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم
ايمانا وقوله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وقوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما
وقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم مأولة بذلك الاعتبار وقد روي عن ابي حنيفة رحمه الله
ان من آمن بكل ما نزل واعتمد عليه زاد ايمانه باعتبار متعلقه وقيل الثبات
في الايمان زيادة عليه اذ يوجد في كل ساعة مثل ما انعدم وقيل يزداد نور الايمان
بالاعمال الصالحة وينقص بارتكاب المعاصي وقد عرفت ان حقيقة الايمان التصديق
الجازم فلا يزيد بذلك ولا ينقص اذ لم يكن الاعمال جزءا من الايمان نعم قد يكون التصديق
الجازم بجهة التقليد وقد يكون بجهة الاستدلال او بجهة الكشف او بجهة المواظبة على الطاعة
بالاخلاص لكن اختلاف الجهة لا يؤدي الى الاختلاف في ذات التصديق وماهيته الحاصل
ان حقيقة الايمان التصديق بوحدانية الله وصدق رسوله مع الاقرار بهما حالة
الامكان فلا يزيد ولا ينقص لان من ترك احد الامرين او تردد فيه يكون كافرا
لكن جزم المقلدين يكون بالتقليد وجزم المستدلين بالادلة وجزم المرتاضين بالكشف
فيكون التفاوت باعتبار الوصف لان جزم المستدل اقوى من جزم المقلد وجزم الكاشف

اقوى من جزم المستدل ولا يلزم من ذلك التفاوت الزيادة والنقصان في حقيقة الايمان
وذاتياته فاحفظ هذا التحقيق والتدقيق فان هذه المسألة مع ظهور الحق فيها من
معارك الآراء قال الامام الرازي في تفسيره الكبير عند تأويل قوله تعالى واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا قال الواحدي يريد الايمان بقوة الدلائل وكثرتها وعليه اكثر
العلماء لكن هذا غير صحيح لان الدليل الذي يفيد العلم يجب ان يكون مقدماته قطعية
فلا يحتمل الاعتداد الحاصل به فالمراد من زيادة الايمان زيادته باعتبار الاخطار
فان بعض المؤمنين لا يخطر تصديقه الا مرة واحدة وبعضهم يواظب عليه وبينهما مراتب
كثيرة او المراد زيادته باعتبار نزول الآيات في زمن النبي عليه السلام ويجوز ان يختلف
باعتبار الاطلاع على حكمة تجليه واسمه واذا تأملت فيه عرفت انه غير صحيح لان حصول
قوة اليقين بتعاضد الادلة وقوة الكشف وجداني لا يمكن انكاره فان من لم يقو قلبه
بالادلة والكشف يمكن ان يرده باعتبار تراكم اعراض اهل الاهواء في كيفية ذات الحق
وصفاته بخلاف من اطمأن قلبه بالوصول الى اعلى مراتب الاستدلال والكشف بواسطة
حصول كمال تخلية القلب وتحليته وتجليته وما ذكره الامام الرازي من التوفيق بين
الاقوال غير ما ذكره ابو حنيفة لكنك عرفت ان التأويل تدركه وتقول ايضا
الايمان والاسلام واحد عند ابي حنيفة خلافا للشافعي لانه والحشوية وكثير

الخصم بجواب النبي عليه السلام عند سؤال جبرائيل عليه السلام عن الايمان والاسلام
بان الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيموا الصلوة و
تؤتوا الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا وبانه عليه السلام
لم يذكر الاعمال المذكورة في بيان الايمان عند سؤال جبرئيل عنه وبقوله تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وبالاحاديث الدالة على ان الاعمال اجزاء
الاسلام قلنا لنا دلائل اقوى من ذلك يدل على ان الايمان والاسلام واحد كقوله تعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
فالايتان يدلان على انه لا يجوز ان يكون الايمان غير الاسلام فان قلتم نعم انهما لا
يكون الايمان غير الاسلام من جهة الدين والنزاع في ان لا يكون غيره في الحكم قلنا الدين
والايمان واحد كما قال النبي عليه السلام بعد بيان الايمان عند سؤال جبريل عنه هذا
جبرئيل اتاكم ليعلمكم دينكم وكقوله تعالى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم
مسلمين وقوله تعالى ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون وقوله تعالى قل لا تمنوا
على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله تعالى فمنكم كافر
ومنكم مؤمن ولو كان المسلم قسما ثالثا لقيل ومنكم مسلم وفهم منه ايضا ان الفاسق
ليس واسطة بين المؤمن والكافر وقوله عليه السلام لا يدخل الجنة الا نفس

مؤمنة وقوله في حديث اخر لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة فاول دليل الخصم
نقول الدلائل القوية الراجحة المبينة ان المراد منه غير ظاهره بان نقول المراد
من الاسلام في قوله اسلمنا الانقياد بحسب الظاهر كالمنافقين الذين اسلموا
وانقادوا للمسلمين لحفظ دمائهم واموالهم ولم يسلموا بقلوبهم لا الاسلام الشرعي
وبان المراد من الاسلام في حديث جبرئيل عليه السلام شعبه وثمراته مع انه
ذكر في بعض الروايات ان جبرئيل عليه السلام سال في المرة الثانية عن شعب
الاسلام وشرائعه فقال النبي عليه السلام في جوابه ان تقيم الصلوة وتؤتي
الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت فروى عن ابي حنيفة عن علقمة بن
مرثد عن ابن عمر انه قال سئل النبي عليه السلام عن شرائع الاسلام فعلى
هذا يحتمل ان يقال يجوز ان لا يسمع الراوي لفظ الشرائع او حذف للارحد
المضاف شائع في السنة البلغاء عند ظهور القرينة واذا عرفت ذلك فاعلم
ايضا ان بعض المتقدمين من كبار الشافعيين يقولون الايمان اخص من
الاسلام وان الاعمال جزء من الايمان والاسلام ولا باس لنا في ان نميل الى
بعضهم من اهل الحديث قال الشيخ الامام ابو عمرو بن الصلاح في شرح
البخاري الحديث في جواب جبرئيل عليه السلام لبيان اصل الايمان وهو التصديق

الباطن واصل الاسلام وهو الانقياد بالظاهر لان حكم الاسلام في الظاهر
ثبت بالشهادتين والفرائض الاربع اظهر شعائر الاسلام وبها سمي استسلام
المكلف وتركها يشعر بالاخلال في انقياده او اخلاله واسم الايمان يتناول
ما فسر به الاسلام وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو اصل الايمان
ومقويات ومتممات وحافظات له ولهذا فسر النبي عليه السلام الايمان في وفد عبد القيس
بالشهادتين والصلوة والزكوة وصوم رمضان واعطاء الخمس من المغنم
ولهذا لا يطلق اسم المؤمن المطلق على من ارتكب الكبيرة او ترك الفريضة
لان اسم الشيء مطلقا يطلق على الكامل وقال فخرج مما ذكرنا ان الايمان والاسلام
يجتمعان ويفترقان فهذا التحقيق وافق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة
الواردة في باب الايمان والاسلام التي غلط فيها الخائضون وقال الخطابي
تكلم في هذا الباب رجلان من اكابر اهل العلم وذهب كل واحد الى قول
وصنف فيه كتابا بلغ عدد اوراقه الى مئتين والصحيح ان يقيد الكلام
في هذا ويقال ان المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الاحوال والمؤمن مسلم
في جميع الاحوال وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا وقال مثل
ذلك ابو عمرو ثم قال فعلى هذا استقام تاويل النصوص وقوله عليه السلام

الايمان بضع وسبعون شعبة بيان ان الايمان الشرعي اسم لمعنى ذي
شعب واجزاء ادنى واعلى والاسم يطلق ببعضها كما يطلق بكلها والحقيقة
تقتضي جميع شعبه وبذلك تتفاوت درجات المؤمنين وقال الامام
البغوي مثل ذلك وقال ايضا التصديق والعمل يتناولهما اسم الايمان
والاسلام واعلم ان مذهب بعض الشافعيين من اهل الحديث ذلك ولذا قيل
الاعمال جزء من الايمان عندهم لكن بعض المتكلمين المتاخرين منهم كصاحب
المواقف والطوالع لا يقولون كذلك بل يقولون الايمان الشرعي عبارة عن
التصديق القلبي فنقول ههنا ايضا في ترجيح مذهبنا وتاويل دلائل اهل
الحديث الدالة على جزئية الاعمال في بيان الايمان والاسلام انهما
باعتبار الظاهر والمكملات لا باعتبار الاجزاء والذات لما عرفت ان اظهر العلامات
والافعال الدالة على تصديق القلب الاقرار واعظم الاعمال الدالة عليه بعده الصلوة
لانها تشتمل على تعظيم المعبود وخضوع العابد باللسان وباقي الاعضاء
والجنان وتتكرر كل يوم خمس مرات فالمواظبة عليها تدل على قوة الايمان
والاسلام وكمال نورهما ولذلك حكم بايمان من صلى صلوتنا بجماعة وان لم
يسمع منه كلمة الشهادة وبعدها الزكوة لان النفس جبلت على محبة المال

حتى يدرك الانسان حفظ نفسه لحفظ ماله ويرضى بهلاكها فذلك مع هذه
المحبة في سبيل الطاعات يدل على غلبة محبته معبوده وبعدها الصوم لان
النفس خلقت على حب شهوات البطن والفرج فمنعها عن شهواتهما اشد التكاليف
بذلك الاعتبار وهو ايضا افضل الاعمال باعتبار انه اهون من الرياء وبعده
الحج لان فيه مفارقة الاهل والاحباب والبعد عن الوطن والاتراب وارتكاب
متاعب الغربة والرفقة وكانت تلك الفرائض الاربع بعد الاقرار من مكملات
الايمان والاسلام ودالة على جهة كماله والتمام ومعظمات العبادات وامهات
الطاعات واظهر العلامات الدالة على قوة الايمان والثبات وذكر بعض تلك
الفرائض الاربع او كلها مع الشهادتين في بيان الايمان والاسلام في اكثر
المقام لتلك النكتة والمرام فان قلت الاعمال ايضا من اعمال الجوارح الدالة
على التصديق القلبي فلم جعل جزء الايمان وركن الاسلام عند البعض بخلاف
غيرها من الاعمال المفروضة قلنا جعل جزء لقوة دلالته في اظهار التصديق
والتعبير عما في الضمير لما عرفت ان اللسان العبارة والكلام لاعلام ما خطر في
القلب والافهام وللاجماع من لدن رسول الله عليه السلام الى الان على ان الحكم
بايمان الانسان موقوف على تكلم كلمة الشهادة باللسان والصلوة بالجماعة

افضت مقام الايمان لشدة اختصاصها باهل الاسلام فالحاصل ان شعب الايمان
والاسلام ومكملاتهما وانواعهما من الاعمال والعبادات كثيرة وعمدتها الفرائض
الاربع ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة
وقال جمهور العلماء سهام الاسلام ثلاثون ولا يبعد ان يكون المراد منه بيان كثرة
شعبه لا الحصر فبين رسول الله عليه السلام حقيقة الايمان على وجه الاختصار
والاجمال وفي بعض المواضع على وجه التوسط والاتمام وبين في بعض المواضع
كمال الايمان وهو ترتب بعض ثمراته وشعبه وكل ذلك من مقتضيات المقام ومحسنات الكلام
فيكون ذلك من كمال الحكمة وتمام بلاغته ومن لم يطلع على السر والحكمة وضل بسوء
الفهم والبلادة فعليه اثم الزلة والضلالة لما عرفت ان الواجب عليه ان يسأل عن
كشفها اهل التحقيق لما لم يتشرف بجودة الفهم والتوفيق فان قلت ما معنى الاختصار
وما هو الابهام في بيان الايمان والاسلام المقتضي توضيح المرام على وجه التمام حتى
لا تزل فيه بعض الانام وما وجه ذكر بعض الثمرات والشعب في بيان كمال الايمان دون
بعض قلنا اعتبارات بلغاء الانام ومقتضيات الحال والمقام كثيرة لا يمكن تعدادها
وتفصيلها على وجه الحصر والتمام لما عرفت ان لكل مقام نكتا واعتبارات تقدر دقة
فهمه في المحاورات والعبارات وانهم لا يخرجون الكلام على مقتضى الظاهر الا لعذر ووجه

اقتضاء المقام لان مراتب حسن الكلام تتفاوت في الافهام ولا يطلع على دقائق
التراكيب الموضوعة على خلاف مقتضى الظاهر الا ذو الطبع العالي والفهم الباهر
ولذا قال السكاكي لا بد في الاطلاع على خواص تراكيب البلغاء واعتباراتهم بعد
استقراء استعمالاتهم من العقل السليم والطبع المستقيم وقلما ملك الحكم
غيرهما فمن عدمهما عن احكامها ان لكمال العلم واستنباط الاسرار لا يتيسر الا بتصادم
الانظار وتلاحق الافكار وان لكل قلب من قلوب الانام نصيبا خاصا وفتحا خاصا
من الملك العلام وذلك من جملة فضله العام وعجائب صنعه التام ولذا
استقبح بعض اهل الفراسة والامكان وذوي الكياسة والانظار ترك النظر
والاعتبار تعللا بالقصور عن درجة الكمل من النظار فلا باس لنا في ان نتكلم في
تاويل الكلام بنيا عليه بقدر طوق عقلنا وقدر غور فهمنا فنقول يحتمل ان يكون اقتصار
النبي عليه السلام في بيان الايمان على قول لا اله الا الله اعتمادا على الدلالة التضمنية
او على اطلاق البعض وارادة الكل لكون السامع ذكيا عارفا بان المراد منه الشهادتان
او ما يتم ويكمل به الايمان او لكونه مشركا فيكون النكتة فيه شان الاهتمام بالزجر
عن الشرك وترك الايمان وخفة السبب المؤدي الى الخلاص عن النيران والوصول
الى الجنان وان يكون النكتة في الاقتصار على الشهادتين في شان الايمان

سان ان اصل الايمان الاجمالي التصديقي وان لا اسم الا بدلالة القدر في الدلالة القاطعة
وان يكون النكتة في بيانه بقوله الايمان ان تؤمن بالله وملائكته الخ بيان بعض
متعلقات التصديق والاقرار سوى التوحيد وتصديق الرسول وتخصيص ذلك
البعض لاشتماله على اصول ومصالح وحكم ومنافع وان يكون النكتة في قوله الايمان
بضع وسبعون شعبة الرمز الى ان للايمان مكملات دالة على قوته وكماله
ونوره والى ان الناقص والضعيف بمنزلة المعدوم عند طلاب الكمال حتى لا يزعم
الغافلون ان الاقتصار على الشهادتين يكفي في امر الايمان وكماله ولا سيما وتنورا
في نفوسه وتثبته واكماله وتنويره بالمواظبة على الطاعات والاجتناب عن السيئات
وان يكون النكتة في تخصيص بعض الشعب والثمرات بالذكر في كل موضع بين فيه علائم
الايمان ومكملاته رعاية اعتبارات المقام ومقتضياته من كون ذلك البعض مما يذكر
السامع لتقصيره فيه او لتحصيله ما سواه دونه او لكون الواجب عليه ذلك العمل بعد الايمان
او لغيره من المقتضيات واعتبر بتلك النكتة والاعتبارات في بيان الاسلام باختلاف
العبارات لتعرف ان البلغاء يقصدون في كل اسلوب من كلامهم نكتة دقيقة وحكمة
رقيقة لا سيما كون البليغ في مقام موعظة ونصيحة او موضع دعوة وشريعة وسنعرف
زيادة التفصيل في مقتضيات المقام فيما يناسب من تاويلات الكلام واذا عرفت ذلك

فاعلم انما ذكرت من طرائق الترجيح والتوفيق وضوابط التأويل والتخصيص لا يتم
الا بعد جمع جميع النصوص الشرعية وضبطها متنا ودلالة فضبط متن القرآن
يسير لانه مجموع في المصاحف ومثبت بتواتر جميع آياته واما ضبط نظمه وجهة
الدلالة ووصفها فعسير اذ لا بد فيه من دقة النظر وضبط قواعد الاصول والمعاني
والقدرة على رعايتها في الجزئيات وضبط الاحاديث متنا ايضا شاق مشكل
وامر معضل لما عرفت ان معرفة احوال الرواة واسانيدهم متعذرة لانقراضهم
وبعد عهدهم وما سمعنا في هذا الزمان من الرواة والنقلة العدول الا
الى حد التواتر فبقي ان نعتمد على ما وجدنا من الكتب المعتبرة او ما سمعنا
ممن نعتمد عليه في العلوم الشرعية ولصعوبة جمع الاحاديث والاطلاع
على طرق دلالتها وكون المراد منها حقيقتها او مجازها وقع الاختلاف بين
كبار المجتهدين كابي حنيفة وصاحبيه ومالك والشافعي وزفر واحمد بن
حنبل رحمهم الله لان الاحاديث كثيرة لا يوجد مجموعها في بلدة واحدة بل في
ولو تصور الاجماع فمنسوخها كثيرة ومعرفة التواريخ صعبة ولو سلم
فمخصصات المقام كثيرة ومن جملتها معرفة اسباب صدور الحديث
ولو علم سبب الورود والحادثة والتاريخ ولا تقييد ولا تخصيص بعض الآيات

والاحاديث في بعض المواضع لا يستقيم الكلام بذلك بتضييق قلوب
المستدلين من اجرائه على ظاهره فيه ولذا قيل التفسير لا يصلح الا لمن كان
في مهبط الوحي واطلع على الحوادث واسباب النزول ولتلك الصعوبة لم يعمل
ابو حنيفة رحمه الله الا بالحديث الذي قال النبي عليه السلام في آخر عمره لانه جمع
كتب الاحاديث الصحيحة المروية عن عدول التابعين المقروء على فهمهم واستنبط
الاحكام من ثوابتها واقويها دلالة ومتنا وروايته ولم يعمل بطولها اكثر الاحاديث
ولذا طعن بعض اهل التعصب بانه من اهل الرأي وقد رد ذلك الزعم بحراه
في كتابه ولم يشترط جمع تلك الاحاديث لباقي المجتهدين كالشافعي وغيره فعملوا
باقوى ما عندهم ولا طعن في حقهم لذلك لانهم لم يقصروا في الاجتهاد والاحتياط
ولم يقصروا في الاستنباط والاحتياط فان قلت اذا وجب في التأويل والتخصيص
والتوفيق والترجيح جمع النصوص الشرعية من الاحاديث المشهورة ورعاية شروطها
من جهة الاسناد والدلالة فلا يتيسر ذلك لامثالنا فلا يكون الترجيح والتأويل
حريا بحالنا الا انا اذا تحاشينا على نص او قدرنا وحصلنا بعضه بعض يحتمل
ان يوجد نص موافق للمرجوح دال على ما يخالف الراجح بوجه اقوى منه او
يوجد نص موافق لمطلق قيد وعام خصص راجح على المقيد والمخصص

قلنا تعد راجع يغر المجتهد لانه يجب عليه ان يحفظ جميع النصوص الشرعية الدالة

في زمانه لا المقلد لانه يقلد في الاصول والفروع امامه ومقتداه فاول النصوص

الدالة على ما خالف مذهبه في المسائل الاصولية والفروعية الثابتة بالادلة

القطعية عند امامه وان لم يعلم المقلد تلك الدلايل ولا يجوز ان يدفع الخصم

بذلك الاحتمال تاويله وترجيحه لان المحتمل والموهوم لا يعارض ولا يقدح

في قطعية دلالة المحقق والموجود والا لا يكون دلالة الالفاظ على الاطلاق

قطعية كما ذهب اليه بعض اهل الاهواء واذا عرفت ذلك عرفت ان في معرفة

طرق الترجيح والتاويل فوائد كثيرة ومواعد عزيزة لمن ترقى بجودة الطبع

والرعاية ودقة الفهم والدراية من حضيض الجهل والتقليد المحض الى مدارج

العلم ومنصب الاستدلال ومصاعد التصرف وذروة الاستدلال كالذي اذا حفظ

قواعد الترجيح والتوفيق وضوابط التاويل والتحقيق وقدر على رعايتها

واستنباط جزئياتها منها اول النصوص الشرعية من القراءة وما وجد

من الحديث ودفع تعارضها الظاهري ومنع ايضا الاعتراض على مذهبه

ويذهب ويثبت عقيدته في المسائل الاعتقادية وتخلص ايمانه عن ذل التقليد

ووصوله الاختلاف فيكون صحيحا بالاتفاق والائتلاف ويجمع بين المذاهب ايضا

في مواضع الاحتياط اذا امكن واذا عرفت بيان الفرعين والكلام الواقع فيه على

وجه الاستطراد فاعلم ايضا ان الفرع الثالث بان ايمان المقلد وهو صحيح

عندنا لكنه يصير فاسقا بترك الاستدلال عند الاقتدار كما صرح به ابو جعفر رحمه الله

ولم يصر بعض المتكلمين ايمان المقلد لانهم يقولون ان المقلد لم يميز بين الصحيح والفاسد

من الايمان بسبع عن ولد في جبلهم او باسور بين سلسلته فيكون كالبهيمة فلا

اعتبار لدينه واعتقاده فنقول في جوابهم هذا الاستدلال مخالف للاجماع لان

النبي عليه السلام اعتبر ايمان الاجلاف واهل البلاد الذين لا يعرفون الدليل

واعتبر ايضا الصحابة والتابعون ومن بعدهم من المجتهدين الى الان ايمانهم في حكم

الدنيا والاخرة وما خالف الاجماع مردود وان وافق القياس واذا عرفت ذلك

فاعلم ان هذا الفرع من مقلدي الى حسبه فلا بد لنا من نقل كلام مقتبس من كتاب

علمائنا حتى يعتقد السامعون من المحققين على ذلك لان قول المسلمات في المقبولات

يكون بقدر مرتبة قائلها ومن مشاهير علمائنا المتكلمين فذروة المحققين

ابو المعين ميمون بن محمد بن معتمد المكحولي فنقل كلامه في هذا الباب

قال في تبصرة الادلة ان الايمان الشرعي عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار

باللسان دون عمل هما من اعمال الجوارح واختلف الناس فيه اختلافا لا سبيل

الى ذكره لكثرة الاقاويل فيه فنذكر من ذلك جملا على طريق الاحصاء فمن
الناس من زعم ان الايمان هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان
وحكي ذلك القول عن مالك والشافعي والاوزاعي رحمهم الله تعالى وعن اهل
الظاهر وجميع اهل الحديث كاحمد بن حنبل واسحق بن راهويه ومن المتكلمين ايضا
كالحارث بن اسد المحاسبي وابي العباس القلانسي وابي علي الثقفي ومن الناس
من زعم ان الايمان يكون بالقلب واللسان دون غيرهما واليه ذهب الشمرية والنجارية
والغيلانية وحكي هذا عن كثير من اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله وعن انهم اختلفوا
فيما بينهم فمنهم من جعل القلب المعرفة ومنهم من جعل التصديق وكان بشر بن غياث
المريسي يقول ان الايمان هو التصديق في اللغة وما ليس بتصديق فليس بايمان الا ان
التصديق يكون بالقلب واللسان جميعا والى هذا القول ذهب ابن الراوندي ومن
الناس من يقول ان الايمان يكون باللسان فقط واليه ذهب الرقاشي وعبد الله
بن سعيد القطان والكرامية وعن انهم اختلفوا فيما بينهم فزعم الرقاشي ان الاقرار
يكون ايمانا بشرط وجود معرفة القلب والمعرفة عنده ضرورية بوحدانية الله تعالى ولا
يكون ايمانا لان الايمان اسم لفعل مكتسب وكذا يقول عبد الله واما الكرامية فيزعمون ان
الاقرار ايمان بدون شرط المعرفة والتصديق وهذا فاسد لان المنافقين لم يكونوا

بمجرد اقرارهم مؤمنين بالاجماع ومن الناس من يقول ان الايمان لا يكون
الا بالقلب غير ان هؤلاء اختلفوا فيما بينهم وقال بعضهم لا يكون الا بالقلب
وهو المعرفة وهو قول جهم بن صفوان وابو الحسين الصالحي احد رؤساء القدرية
وقال بعضهم الايمان هو التصديق بالقلب واليه ذهب الشيخ ابو منصور الماتريدي
وهو مروي عن ابي حنيفة وهو قول الحسين بن الفضل البجلي وابي الحسن
الاشعري وقد صرح به ابو حنيفة في كتاب العالم والمتعلم وايمان المقلد صحيح
وان كان عاصيا بترك الاستدلال وحكمه حكم غيره من الفساق وهذا القول
يحكى عن ابي حنيفة والثوري ومالك والشافعي والاوزاعي واحمد بن حنبل
وعن اهل الظاهر وعن المتكلمين ايضا كعبد الله بن سعيد القطان والحارث
بن اسد المحاسبي وعبد العزيز بن يحيى المكي وذهب اكثر المتكلمين الى انه لا بد
لثبوت الايمان او لكونه نافعا من دليل يبنى عليه اعتقاده غير ان الشيخ الجليل
الرستغفني صاحب الامام ابو منصور الماتريدي يقول لا يشترط ان يبني اعتقاده
على الاستدلال العقلي في كل مسئلة بل اذا بنى اعتقاده على قول الرسول وعرف انه
رسول ظهرت على يده المعجزات وقبل منه القول بحدوث العالم ووحدانية
الصانع من غير ان عرف ذلك بدليل عقلي يكون كافيا في صحة ايمانه وكذا يقول

ابو عبد الله الحُلَيمي من ساير اهل الحديث وفرع على هذا ابو منصور بن
ايوب من متكلمي اهل الحديث وقال لو بنى اعتقاده على قران او حديث يكون
كافرا والمشهور من مذهب ابي الحسن الاشعري انه لا يكون مومنا ما لم يعرف كل مسئله
من مسائل اصول الدين عن دليل عقلي ولكن لا يشترط ان يعبر ذلك بلسانه
ويكون قادرا على دفع شبه الخصوم وقال عبد القاهر البغدادي من المعتزله هذا وان
لم يكن مؤمنا عند الاشعري لكن لا يكون كافرا ايضا لوجود ما يضاد الكفر
من التصديق وقال عامة المعتزله لا يكون المقلد مؤمنا وانما يكون مومنا اذا قدر على
حل جميع ما يورد عليه من الشبهات وقدم خلاصة ما اورده ابو المعين في تبصرة
الادله واذا عرفت هذا القدر من التفصيل على مذهب ابي حنيفة في باب الايمان نذكر
خلاصه ما اعتمد عليه الشافعيه من تفاصيل باب الايمان قال صدر المتأخرين
من الشافعيين مولانا عضد الدين في مواقفه اعلم ان الايمان في اللغه التصديق
قال الله تعالى حكاية عن اخوة يوسف وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا وقال
النبي عليه السلام الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اي تصدق
واما في الشرع فهو عندنا وعليه اكثر الائمة كالقاضي والاستاذ التصديق للرسول
فيما علم مجيئه به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا او اجمالا فيما علم اجمالا

وقيل هو المعرفة فقوم بالله وقوم به وبما جاءت به الرسل وقالت الكرامية هو كلمتا
الشهادة وقالت طائفة التصديق مع الكلمتين ويروى ذلك عن ابي حنيفه
رحمه الله وقال قوم انه اعمال الجوارح فذهب الخوارج والعلاف وعبد الجبار الى انها
الطاعات فرضا ونفلا وذهب الجبائي وابنه واكثر البصريين الى انها الطاعات المفترضة
دون النوافل وقال السلف واصحاب الاثر ان الايمان مجموع هذه الثلثه فهو تصديق
بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان وقال ايضا الكفر خلاف الايمان فهو
عندنا عدم التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة فان قيل فشد الزنار ول
بس الغيار بالاختيار لا يكون كفرا قلنا جعله النبي عليه السلام علامة للتكذيب
فحكمنا عليه بذلك وهو عند كل طائفة مقابل لما فسر به الايمان وقالت
الخوارج كل معصية كفر وقالت المعتزلة المعاصي منها ما يدل على الجهل بالله و
وحدانيته وما يجب عليه وما لا يجوز عليه وبرسالة رسوله كالقاء المصحف
بالقاذورات والتلفظ بكلمات دالة على ذلك فهو كفر ومنها ما لا يدل
على ذلك فهو اما معصية او مكروه وقال في تفصيل الكفار الانسان
اما معترف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم او غير معترف والثاني اما معترف بالنبوة
في الجملة وهم اليهود والنصارى وغيرهم واما غير معترف بها وهو اما معترف

بالقادر المختار وهم البراهمة اولا وهم الدهرية او انكارهم لنبوته اما عن عناد
او عن اجتهاد والمعرفة بنبوته اما محط في اصل و سنبين انه ليس بكافر
اولا وهو اما عن برهان وهو باطل بالاتفاق او عن تقليد وقد اختلف فيه ومرتكب
الكبيرة من اهل الصلوة مؤمن ذهب الخوارج الى انه كافر والحسن البصري
الى انه منافق والمعتزلة الى انه ليس بمؤمن ولا كافر حجة الخوارج وجوه الاول
قوله تع ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قلنا المراد من لم
يحكم بشيء مما انزل الله او بالتورية لقرينة ما قبله وهو انا انزلنا التورية وامه
محمد عم مصدق فيختص باليهود الثاني وهل نجازي الا الكفور قلنا هو متروك
الظاهر اذ نجازي غير الكفور بالثواب لقوله تع اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الثالث
قوله تع بعد ايجاب الحج ومن كفر فان الله غني عن العالمين قلنا المراد من جحد
وجوبه الرابع ان العذاب على من كذب وتولى قلنا متروك الظاهر للاتفاق
على عذاب شارب الخمر والزاني مع انه غير مكذب بل اليهود والنصارى الخامس
قوله تع فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى والفاسق
يصليها قلنا المراد نارا خاصة السادس قوله تع في حق من خفت موازينه
الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون والفاسق ممن خفت

موازينه قلنا لا دلالة بالاتمام [?] السابع يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قلنا
لا نسلم ان كل فاسق كذلك بل هي واردة في بعض الكفار لقوله تع اكفرتم بعد
ايمانكم الثامن انه من اصحاب المشأمة وقال تعالى الذين كفروا باياتنا هم
اصحاب المشأمة قلنا هو من باب ايهام العكس وينتقض بالزاني والسارق
مع عدم تكذيبهما التاسع ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
وانه يقتضي حصر الخبر قلنا ممنوع لان الكافر ابتداء كذلك العاشر لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون والفاسق آيس من روح الله
قلنا ممنوع للرجاء الحادي عشر انك من تدخل النار فقد اخزيته مع ان
الخزي اليوم والسوء على الكافرين قلنا المفرد المحلى باللام لا عموم له او المراد
الخزي الكامل الثاني عشر واما من اوتي كتابه بشماله الى قوله انه كان
لا يؤمن بالله العظيم قلنا ذكر قسمين لا يدل على عدم الثالث مع ان التقسيم
ظاهر الثالث عشر الا لعنة الله على الظالمين قلنا الظلم يكفر والانبياء [?]
اعترفوا بظلمهم الرابع عشر قوله تع واما الذين فسقوا فماويهم النار قلنا
يقتضي ان يكون كل فاسق مكذبا بالقيمة وانه باطل قطعا الخامس عشر
قوله تع يسألون عن المجرمين ما سلككم الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين

قلنا قد مر جوابه السادس عشر قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى قوله وسيق
الذين اتقوا وقد مر مثله السابع عشر ولانه الله وعداوته ضدان وولاية الله
ايمان وعداوته تكون كفرا قلنا لا م عدم الواسطة بين كل ضدين احتج من زعم
انه منافق بوجهين الاول قوله عليه السلام المنافق ثلث اذا وعد اخلف واذا
حدث كذب واذا ائتمن خان قلنا متروك الظاهر لان من وعد غيره ان يخلع
خلعة نفيسة ثم اخلفه لا يخرج بذلك عن الايمان الى النفاق اجماعا الثاني
ان من اعتقد ان في هذا الحجر حية ثم يدخل يده فاذا فعل ذلك ثم ادخل يده فيه
علم انه قال كلا عن اعتقاد قلنا مفسدة الحية عاجلة محققة بخلاف عقاب الذنب
لانها اجلة ويجوز التوبة والعفو فافترقا واحتج المعتزلة بوجهين الاول ان الفاسق
ليس بمؤمن لما مر ولا كافر بالاجماع وايضا فلم ينونه الروحه لمحدود رمى الزوج اياها
بالزنا من غير لعان وقضاء قاض لانه ان صدق فهي كافرة وان كذب فهو كافر
قلنا هو مؤمن وقد مر الكلام فيه وقال المخالف للحق من اهل القبلة هل يكفر
ام لا جمهور المتكلمين والفقهاء على انه لا يكفر احد من اهل القبلة فالمعتزلة الذين
هم قبل ابي الحسن تحامقوا فكفروا الاصحاب معارضة بعضا بالمثل وقد كفر
المجسمة مخالفوهم وقال الاستاذ كل مخالف يكفرنا فنحن نكفره والا فلا ولنا ان المسائل

التي اختلف فيها اهل القبلة من كون الله تعالى عالما بعلمه او موجدا لفعل العبد او غير
متحيز ولا في جهة ونحوها لم يبحث النبي عليه السلام عن اعتقاد من حكم باسلامه فيها
ولا الصحابة ولا التابعون فعلم ان الخطأ فيها ليس قادحا في حقيقة الاسلام
فان قيل لعله عليه السلام عرف منهم ذلك فلم يبحث عنها كما لم يبحث عن علمهم بعلمه
وقدرته مع وجوب اعتقادهما قلنا مكابرة والعلم والقدرة مما يتوقف عليه ثبوت
نبوته وكان الاعتراف بها دليلا على العلم بهما ولنذكر الان ما كفر به اهل القبلة
ونتفصى عنها وفيه ابحاث الاول كفرت المعتزلة في امور الاول نفي الصفات لان حقيقة
الله تعالى ذات موصوفة بهذه الصفات فمنكرها جاهل بالله والجاهل بالله كافر قلنا الجهل بالله
من بعض الوجوه لا يضر والا لزم تكفير المعتزلة والاشاعرة بعضهم فيما اختلفوا
فيه الثاني انكارهم ايجاد الله فعل العبد وانه كفر اما اولا فلانهم جعلوه غير قادر على
فعل العبد والعبد غير قادر على فعله فهو اثبات للشريك كما هو مذهب المجوس
واما ثانيا فللاجماع على التضرع الى الله في ان يرزقهم الايمان وهم ينكرونه لانهم
يقولون قد فعل من اللطف ما امكن لوجوبه على الله قلنا المجوس كفروا بالغير وخرق
الاجماع ليس بكفر ثم من يلزمه الكفر ولا يعلمه لم قلتم انه كافر الثالث قولهم بخلق القرآن
وفي الحديث الصحيح من قال القرآن مخلوق فهو كافر قلنا احاد والمراد بالمخلوق

المختلق اى المفترى الرابع قد اجمع من قبلهم ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهم
ينكرونه قلنا يمنع الاجماع وكون مخالفه كافرا الخامس المعدوم شىء وانه يصرح بمذهب
اهل الهيولى سيما نفاة الاحوال لان ذاته عندهم وجوده قلنا الالزام غير الالتزام
واللزوم غير القول به كما مر السادس انكارهم الرؤية وقد قال تعالى بل هم بلقاء ربهم
كافرون قلنا اللقاء مجاز فلعل المراد لقاء ثوابه قال المفسرون المراد به الوصول
الى دار الثواب الثانى تكفير المعتزلة الاصحاب بامور الاول انكار كون العبد فاعلا لفعله
لانه يسد باب اثبات الصانع لو طريقه قياس الغائب على الشاهد واذا جاز عدم
استناد فعلنا الينا جاز اسناد الحوادث الى محدثها قلنا يمنع لنا فى اثبات الصانع
وجوه لا يحتاج فيها الى اثبات هذا القياس الثانى نسبة فعل العبد الى الله يلزمه
كونه فاعلا للقبيح فجاز اظهار المعجز على يد الكاذب وجاز الكذب فيه وفيه
ابطال الشرائع بالكلية قلنا اجبنا عنها الثالث اثبات الصفات قول بقدماء وقد كفر
النصارى للقول بقدماء ثلثة فكيف السبعة قلنا مر جوابه الرابع قولهم القرآن قديم
فانه يقتضى عدم كون المسموع قرآنا لحدوثه قطعا قلنا مشترك الالزام الا ان يقولوا
ما نسمعه حكاية قول الله تعالى فنقول بمثله الثالث قد كفر المجسمة بوجوه الاول
ان تجسيمه جهل بقدره جوابه الثانى عابد لغير الله كعابد الصنم قلنا بل معتقد فى الله

الخالق الرازق العالم القادر مما لا يجوز عليه مما قد جاء به الشرع على ما يأوله
ولم يأوله بخلاف عابد الصنم الثالث قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم وما ذلك الا لانهم جعلوا غير الله الها فلزم الشرك وهؤلاء كذلك
قلنا ممنوع المستند ما عدم الرابع قد كفر الروافض والخوارج لوجوه الاول
القدح فى اكابر الصحابة وفيه تكذيب الرسول حيث اثنى عليهم وعظمهم
قلنا لا ثناء عليهم خاصة ولا هم داخلون فيه او الثناء عليهم بشرط سلامة العاقبة
ولم توجد عندهم الثانى الاجماع على تكفير من كفر عظماء الصحابة قلنا هؤلاء
لا يسلمون كونهم من اكابر الصحابة الثالث قوله عليه السلام من قال لا
خيه المسلم يا كافر فقد باء به احدهما قلنا احاد والمراد مع اعتقاد انه مسلم
فان من ظن بمسلم انه يهودى او نصرانى فقال له يا كافر لم يكن كفرا بالاجماع
تم ما نقل من المواقف واعلم ان التكفير حكم شرعى لا امر عقلى فلا بد فيه من بيان
ضابطة شرعية وقاعدة كلية حتى يتيسر للعبد ضبط جزئياته ويأول النص
الدال على كفر المؤمن بفعل او قول اذا لم يكن من جزئيات تلك القاعدة فنقول
ما ثبت فى هذا الباب من الشارع بكفر من كذب الشارع كان جهل واثباته ممن
صرحوا بتكذيب الرسول عليه السلام او من كذبه دلالة بالقول او الفعل

المؤدي اليه اما الاول فكالتكلم بكلمة الكفر والانكار لحكم النص الشرعي قطعي
الثبوت والدلالة بدون التاويل واستحلال الحرام المجمع عليه وتحريم الحلال المجمع
عليه وكالاستحقاق بالامور الدينية والاستهزاء بها وساير الاقوال الدالة على الرضا
بالكفر صراحة واما الثاني فكاتباع الكفرة في الزي والهيئة بدون الضرورة كلبس الكسوة
ووضع القلنسوة والمنطقة واشراكهم في اعيادهم وشعايرهم بالذهاب اليها
وبقبول هداياهم فيها وغيرها من الافعال الدالة على الرضا بكفرهم صراحة ولا يكفر
اهل القبلة بما سوى ذلك لما ثبت عن ابي حنيفة رحمه الله انه لا يكفر اهل القبلة
بذنب وما ثبت بنصاص ارباب اصول الفقه انهم قالوا ان جهل صاحب الهوى
في صفات الله واحكام الاخرة من اهل القبلة دون جهل الكفرة فلا يكفرون
بل لم يبين ما ناظره وكشف شبهته وما صرح به الفقهاء نصاص ان شهادة اهل
الاهواء مقبولة سوى الخطابية لانهم يوجبون معاونة اهل جلدتهم بالشهادة لهم
وغيرها الا انهم كافرون باتباع الهوى واعلم ايضا ان هذا الفقير انما نقل
بعض تفاصيل المذاهب المختلفة في الايمان وبعض مسايل تكفير اهل القبلة
واثبت ما هو الحق في المسئلة الحنفية لكثرة فوايد ذلك في علم الحديث والتفسير
لما عرفت ان النصوص الشرعية من الايات والاحاديث في باب الايمان

والكفر متخالفة في الظاهر فتدافعه وفي تكفير اهل القبلة كثيرة كما سمعت
بعضها حتى ذهب الحسن البصري الكامل في العلم الديني والعبادة الى ان
مرتكب الكبيرة منافق وذهب مقاتل بن سليمان المفسر الى ان المعصية لا تضر
مع الايمان وهما حكمان متعارضان مع ان مستند كل منهما من الايات
والاخبار فيجب على المعلم المستدل ان يعلم اولا اصول مذهبه في كل
باب من الاصول الاعتقادية والفرعية على مذهب امامه ومقتداه واثبته بالبراهين
العقلية والنصوص القطعية النقلية حتى يقدر على تاويل ما يخالفه من الايات
والاحاديث بالقواعد السابقة والضوابط السالفة واثبت ما هو الحق عنده
وازال تاويله وتحقيقه التردد عن قلب المتعلم حتى يجتهد في التعلم والترقي
اذ لو لم يكن المدرس مستدلا محققا عالما ولا مدققا وبين النصوص المتعارضة
في الظاهر مرجحا وموفقا بل قايلا ان هذا النقل الشرعي مخالف لاصول مذهبنا
المثبتة بالادلة القطعية فيكون المراد منه غير ظاهره لا يجد المتعلم المستدل
من قلبه باعثا على التوجه الى تحمل متاعب العلم والتدرب والترقي فيه
الى مدارج الكمال بل يتكدر حاله ويتحير باله عند دوافع النصوص نعم من لم يبلغ
الى فضيلة مرتبة الاستدلال يتقلد وينقل ما سمعه من استاده لحل عقايد

ويعمل به وهو مرتبة المقلد العامي عند طلاب الكمال فكلامنا في حق طالب الفضل
والمنال والمشتهر على احراز مرتبة الاستدلال ولما كان كلامنا هنا في اثبات
ما هو الحق في باب الايمان والكفر نقلنا ما هو الاصل فيهما حتى انا قلنا ما وجد مما يخالف
ذلك الاصل من النصوص الشرعية بالضوابط المذكورة ولم ننقل ما هو الاصل
في كل باب من الاعمال الفرعية ولم نشتغل بتاويل ما يخالف الاصل لان مقصودنا دفع
التعارض الظاهري فيهما واذا عرفت المقال المتقن من التفصيل والتحقيق
في باب الايمان والكفر فاعلم ايضا ان في مقتضيات الاحاديث تزاحما تاما باعتبار
اخرى يزدحم فيه على بالك التحير ويتحتم على حالك التكدر ايضا اذ بعض الاحاديث
يدل على ان النجاة من العذاب والوصول الى الثواب يحصل بمجرد الشهادتين
بل بمجرد كلمة التوحيد وبعضها يدل على وجوب ذلك وبعضها لا يدل
وكذا بعض الاحاديث يدل على ان طاعة واحدة توجب دخول الجنة وبعضها
لا يدل على الوجوب وبعضها يدل مفردا على الثواب العظيم وبعضها يدل على ان
ذلك بقيد انضمام طاعة اخرى وقد يوجد ذلك الاختلاف في طاعة واحدة
وكذا بعض الاحاديث يدل على ان معصية واحدة توجب دخول النار
وبعضها لا يدل على الوجوب وبعضها يدل على انها تؤدي الى العذاب بمجردها

وبعضها يدل على ان ذلك بقيد انضمام معصية اخرى وقد يوجد ذلك الاختلاف
في معصية واحدة فلابد لك في ذلك ايضا ايها الحبيب المشفوق على اقتباس
الفضل باحراز وظائف التاويل والتحقيق واقسام طرائق التوجيه
والتوفيق من ان تشرف في هذا الباب ايضا بتعلم ضابط اصولي وكلام
كلي حتى تدفع به ازدحام التحير عن بالك وانصرام التكدر عن حالك فاعلم ان كل
واحدة من الطاعات اصلية كانت او فرعية يوجب دخول الجنة بمقتضى
كرم الله تعالى وموجب وعده لا باعتبار اقتضاء ذات العبادة وايجابها لكن ذلك
الوجوب الوعدي ايضا مشروط برعاية شروط العبادة من الاخلاص وغيره
وبشرط صونها عن المحبطات والمفسدات وكل معصية توجب دخول النار
ايضا باعتبار مقتضى العدل وموجب الوعيد بشرط ان لا تمحى تلك المعصية
بالتوبة او العفو او الطاعة وانما قلت ذات العبادة والمعصية لا توجب لان
العقل لا يجوز ان يحكم على الله تعالى بالوجوب وعدمه كما ستسمع ان شاء الله تعالى
كلاما مستوفى فيه وان اجتمع في العبد موجبات الجنة ومقتضيات
النار ولم يوجد مزيلهما يدخل النار اولا ويمكث فيها بقدر اقتضاء المعصية
ثم يدخل الجنة ويخلد فيها ابد الاباد واذا عرفت ذلك فاعلم ان ترك

الوجوب في البعض للرمز الى ان الوجوب فيه عدى الاقتضاء المقام ذلك
من كون السامع عن محتاج الى زيادة التاكيد والترغيب لغاية
اعتنائه بامر الدين ووجوب قلبه في النفس وغير ذلك من الاعتبارات
المناسبة للمقام ومقتضيات الكلام وان الضم لبيان ان العبادة والمعصية
سبب لا موجب كما زعم بعض اهل الاهواء او لاقتضاء المقام ذلك من تحريض
السامع على جمع تلك الطاعات او مدحه عليه او من تخويف السامع عن
جمع تلك المعاصي او ذمه عليه وغير ذلك من مقتضيات المقام وان اثبات
زيادة المثوبات والعقوبات وتركه ان كان في عبادات متنوعة وسيئات
مختلفة يجوز ان يكون ذلك باعتبار اقتضائهما وكونهما سببا لذلك ويجوز
ان يكون بحسب اقتضاء الحال والمقام ذلك كما عرفت من النكتة في الضم
والترك وان كان في عبادة واحدة ومعصية منفردة يجوز ان يقال فيه الجمع
مقتضيات تلك الطاعة او المعصية والاحصار والاتمام كان بحسب اعتبار
الحال واقتضاء المقام واذا تاملت في كل باب من ابواب الطاعة والمعصية
واطلعت على تلك الاختلافات من الاحاديث الوارده فيه فوفقت بينها ودفع
التدافع الظاهري بما تحكم ما تحكم قدم فهمك عن الدحوض والزلل ويصون

ساعد قلبك عن الاعوجاج والشك والله الموفق والهادي فان قلت فلم حكم
ما يختلج في صدري ويختلج في قلبي من هواجس تلك الاختلافات بدوافع
ضابطتك الكلية لكن نادى من قلبي سؤال اخر وهو ان النبي عليه السلام
لم لم يبين مراده في كل مقام بكلام ظاهر الافهام حتى لا يتشوش فيه قلب بعض
الانام ولا يقع اختلاف المذاهب والاراء ولا يرتفع عن اهل الاهواء قلنا قد عرفت
ان نبينا عليه السلام اعلم الخطباء اعظم البلغاء مبعوث الى دعوة جميع الورى
مخاطب بان جماعة الحفاة والاغبياء وتارة زمرة الدهاة والاذكياء ودفعة
ارباب الزهد والتقوى ووقتا اصحاب الغفلة والتخمين فوجب عليه ان ينوع
كلامه في بعض على طريق الاطناب والتوضيح وفي بعضه على طريق الايجاز والتلويح
فراعى في كل نظم وكلام مقتضى الحال والمقام فمن فضل بالفهم المستقيم يطلع على الكنه
بفكره القويم ومن كان فاتر الفهم لا يفهم الا ظاهر الكلام ولا يطلع على مقتضيات
المقام من دقائق المعاني والمرام يجب عليه ان يرجع في مواضع الرموز والدقائق
ومعاضل الفحاوي والحقائق الى فضلاء الانام وامراء الكلام فان لم يرجع ووقع
بسوء فهمه في التردد والضلال فعليه الاثم والوبال لتركه الرجوع
الواجب عليه والسؤال الا على البليغ المراعي مقتضيات الاحوال ولقد وصى بذلك

الرجوع الخاص عند فوت ذوق الخواص في مبادي مفتاح السكاكي وحكي ذلك عن الشيخ
عبد القاهر واستاده الجاحظ فان قلت قد تفصيت عن هذا السوال لكن ما جوابك
في مداحض الاشكال ومزالق الاجمال فان المشكل يحتمل وجوها متعددة على السواء
في المنوال والمجمل لا يعلم معناه بدون السوال ويستوي فيه البليغ والبليد والبطي
والحديد قلنا ايراد اللفظ المشكل والمجمل في الكلام يدل على كمال بلاغة نبينا عليه السلام
لما عرفت ان مقام التوضيح والافهام غير مقام التورية والابهام فيكون ايرادهما من
مخصصات الكلام لان في المشكل احراز فضيلة التامل واجراء الاستنباط وفي المجمل
فضيلة التعلم وثواب السؤال وفيهما فوايد اخرى لا يخفى على ذوي الافهام وحاصل
الكلام في هذا المقام ان رجال الناس على ثلاث طبقات طبقة لها ادنى تميز وفهم
لا تفهم الا ما يدل عليه بظاهر الكلام كاهل اللسان من العوام وطبقة لها ذهن وفراسة
تفهم ما يدل عليه بخلاف الظاهر كامثال التوسط من المتدربين والبلغاء وطبقة لها
اطلاع على الاسرار والدقايق كالمجتهدين والمكاشفين فاخرج نبينا عليه السلام
كلامه على ثلاث طبقات ومراتب لرعاية احوال الطبقات الثلث واينما خوطب كل
منها على قدره من الدرجات وفي كلام كل طبقة مراتب متنوعة لكن لكل
واحدة منها وحدة نوعية ووجهة جامعة فلتلك الجهة جعل الكلام على ثلث

مراتب فان قلت قد يقع البليغ الكامل والمجتهد الفاضل في الزلل والخطا في الفهم
والتاويل فلا يحصل له ثواب لانحطاطه عن مرتبة الفضل قلنا يحصل لان للمجتهد والماول
اجرين اذا اصاب واجر واحد اذا اخطا اذا استجمع شرايط التاويل ولا يتعصب
واعلم انما الذكي المستقيم السليقة والالمعي المنقح الطبيعة اذا ضبط ما ذكره الفقير
وما سيذكره من قواعد الترجيح والتوفيق وقوانين التاويل والترتيب تقدر بهما
على ان تدفع صورة التعارض الظاهري في كل مدحض من مداحض الكلام
وان تاول كل كلام مخالف لمذهبك بالتوجيه المناسب للمرام وان تبين نكتة
كل واحد من الضم والترك في البيان وحكمة كل مبالغة وتركها وايراد
زيادة ونقصان في البيان لكن هذا الفقير الصديق وذلك الحقير الشفيق
ما اقتصر على ما ذكر في القواعد والضوابط بل عين طريق الترجيح والتوفيق
وبين سبل التاويل والتحقيق وفايدة الضم والترك والزيادة والنقصان وانواع
الاطناب والايجاز والاقتصار وغاية الاجمال والتفصيل والاحصار في الصور
الجزئية من احاديث المصابيح على وجه الاطناب والتوضيح عونا للصلحاء
المتعلمين وتقريرا للقواعد السالفة في قلوب المدرسين ودفعا التردد عن
قلوب المتاولين لما قد عرفت ان كل ذي فهم يشرف بفضله المقدم على

التصرف والاستدلال وترقى الى درجة الفضل والخصال يفهم صورة التعارض
في الكلام ومخالفته لمذهبه والمرام ويشرع في الترجيح والتوفيق لكن
لا يرتقي فهم كله الى ترجيح وتوفيق مقبول عند العقول وتأويل وتحقيق موافق
للاصول او الى التمييز بين الصحيح والسقيم من الجواب وترك التعسف واختيار
الصواب لان ذلك مُعضل وامر مُفضل اذ بذلك يظهر درجات العلماء
ومراتب الفضلاء كثيرا ما ترى المفسرين والمحدثين يختلفون في تأويل آية
واحدة وحديث واحد بحيث لا يقتدر في كثير من المواضع على الترجيح
او التوفيق بين تأويلاتهم ونتحير في التمييز بين الصحيح والمصحف من تو
جيهاتهم فنقنط الى ان نختار ما يوافق مذهبك ونترك الباقي لا بوجه
برهاني وتحقيقي بل بامر تقليدي وتسليمي فليكن هذا آخر ما اورد الفقير
من بيان الضوابط والتنبيهات والقواعد والتحقيقات لتأكيد الكلام
في باب الايمان والاسلام ولْيُشرع في سائر الابواب والاحكام

باب الكبائر وعلامات النفاق

قال النبي عليه السلام اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن
كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق اذا
عاهد غدر واذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وان
ظاهر هذا الحديث مخالف لاصول الشرع لما عرف بنص صحيح ونقل صريح اقوى منه
ان المؤمن لا يخرج عن ايمانه بارتكاب الكبائر اذا لم يؤد الى تكذيب الشارع قلنا معنى في
بذلك قرينة اخراج مثل هذا الحديث عن الظاهر قال بعض الشراح في الجواب او التأويل
ان النبي عليه السلام علم بالهام الله تعالى ان من اجتمع فيه تلك الخصال يصير منافقا
لكن ذلك في زمانه وقيل المراد من المنافق من كان ظاهره مخالفا لباطنه لا من كان
كافرا وقيل المراد من الحديث بيان ان من استمر على تلك الخصال يعلم بذلك انه
منافق قلنا هذه توجيهات مخرجة هذا الحديث عن ظاهره لكن الاوسط اوسط لان
المنافق صنفان منافق في الاعتقاد وهو كافر ومنافق في العمل والصفة وهو فاسق
ولكن لا تنفصل ايضا عن ان قوله عليه السلام خالصا وخصلة منه يدل بظاهره
على ان يكون منافقا حقيقيا ويمثل هذا الدليل الا ظاهر حكم بذلك الحسن البصري
الكامل في العمل والعلم ويمكن ان يقال لما وجد الآيات والاحاديث الراجحة على مثل هذا
الظاهر القطعية الدالة على ان المؤمن لا يخرج عن ايمانه بالكبيرة يكون المراد من قوله
خالصا زيادة التهديد لوجود كثرة امارات النفاق واجتماع علاماته فيه او بيان انه
منافق خالص في العمل او بيان ان الاجتماع والاصرار يؤدي غالبا الى النفاق الحقيقي

فاخرج الكلام مخرج الغالب للزجر عن ذلك بوجه بليغ او بيان شدة عذاب من اجتمع
فيه تلك العلامة للزجر البالغ لان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقد عرفت ان قوله
عليه السلام في حديث اخر اية المنافق ثلاث لا ينافي هذا الحديث لان الثلاثة مع الاربع
كما لا يمنع الاربع الزائد عليه وان ذكر الثلاث والاربع لاقتضاء المقام **باب الايمان**
بالقدر والذي علم احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج ادم موسى
الحديث خلاصة هذا الحديث ان روح ادم وموسى عليهما السلام تصورا بصورتهما
وقال موسى لادم اسكنك الله تعالى في جنته واهبطتنا منها بخطيئتك واكلك
من الشجرة المنهية في وجه الارض وارتكب ذريتك بسببك في المعاصي المؤدية
الى العذاب ولو لم تاكل من الشجرة لبقوا في الجنة وتخلصوا من العصيان وعذابه
وقال ادم عليه السلام في الجواب يا موسى انت قرات التورية وعلمت فيها ان الله تعالى
قدر عصياني قبل وجودي باربعين عاما افتلومني على ذنب قدره الله تعالى قبل
خلقي فغلب ادم على موسى بالحجة واكرمه وعلى جوابه والزامه اعتراض مشكل لان تقدير
ذنب ادم قبل خلقه لو كان دافعا اللوم عليه لكان تقدير ذنوب غيره قبل خلقهم
دافعا العذاب عنهم لعدم قدرتهم حينئذ على ترك الذنب واجاب بعض الشراح
عنه بان يقال لوم موسى كان بعد توبة آدم وغفران الله ولذا لم يكن موجها

وقيل كان محاجتهما بعد خروج ادم عن دار التكليف ولذا افحم موسى وقيل اللوم و
التوبيخ على ذنب مخصوص بالله فلم يكن لوم موسى موجها وقيل كان لومه بعد ظهور
الحقائق في الاخرة ولذا الزم موسى يقول الفقير تلك الاجوبة عرية مناسبة لمتن الحديث
لان ادم عليه السلام قال في الجواب افتلومني على عمل قدره الله قبل خلقي مع ان الخروج
عن دار التكليف لا يرفع اللوم والا لا يكون احد من العصاة ملوما على عصيانه
في الاخرة ولو كان اللوم والتوبيخ مخصوصا بالله تعالى لا يكون لتوبيخ الانبياء والعلماء
في الدنيا وتوبيخ الملائكة في الاخرة على العصاة وجه وليس كذلك
وايضا يظهر في الاخرة حقيقة الامر والحال في مسئلة القضاء والقدر ولا يدفع
ذلك الظهور اللوم والتعذيب على المعصية فلا بد في دفع ذلك الاعتراض الفوق
من جواب شاف وكلام واف فنقول مستعينا بحول الله تعالى وفضله
الشامل وتوفيقه الكامل اعلم ان ظاهر قول ادم عليه السلام افتلومني
يدل على الجبر والاضطرار كما ذهب اليه جمهور الشافعية لانهم يقولون قدرة
العبد غير مؤثرة في افعاله الاختيارية كما لا يؤثر في افعاله الاضطرارية لكن
يصح اللوم والتعذيب على فعل خارج عن قدرته بان لم يقدر على تركه
واحداثه لان الله تعالى مالك حقيقي يفعل في ملكه ما شاء ولا يسأل

عما يفعل ولا يعترض عليه لانه لا يتصرف في ملك الغير ويكفي في كون العبد مكلفا
وفعله مدارا للثواب والعقاب كونه محلا لخلق الطاعة والمعصية والجنون
يقولون لقدرة العبد واختياره تاثير في افعاله الاختيارية فيكون الزام آدم
موسى عليهما السلام بقوله اتلومني على عمل قدره الله قبل خلقي هادما لمذهبهم لان
ذلك يدل على ان لا تاثير لقدرة العبد في افعاله الاختيارية لانه لا يقدر على مخالفة
ما قدره الله تعالى عليه بسبب قدرته وارادته فلزم منه ان يكون مجبورا في افعاله
السبق تقدير الله فيها اذ لو كان لقدرته ما هو تيسر لموسى ان يقول لآدم ولك قدرة
موثرة وارادة واختيار في ترك الاكل عن الشجرة المنهية ولم تعلم انت بتقدير الله الاكل
في ذلك الوقت فلم لم تمتنع عنه ولم تختر اطاعة امر الله فلا بد لهم من الجواب فيمكن
ان يقال على مذهبنا المتوسط المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط ان للافعال الاختيارية
تعلقين تعلقا بقدرة الله على وجه الخلق والايجاد والاحداث وتعلقا بقدرة العبد
على وجه الكسب بدون الانفراد ومدار اللوم والعقاب والمدح والثواب في ذلك الكسب
والاختيار فان قلت قدرة الله تعالى غالبة وفعله وقدرة العبد مغلوبة تابعة
فلا تقدر العبد على ان يفعل خلاف قدرة الله وارادته فقد خلق العبد فلزم
من ذلك الجبر والاضطرار وعدم القدرة والاختيار فكيف يكون قدرته واختياره مدارا

الثواب والعقاب للمانع الامر كذلك اذا نظرت الى ذات القدرة والارادة لكن
اذا نظرت في ان سنة الله تعالى جارية على انه لا يوجد الافعال الاختيارية الا بعد تعلق
قدرة العبد وتوجهه واختياره تلك الافعال الاختيارية وان كان الله تعالى قادرا على
عدم خلقها بعد توجه العبد وارادته اياها وعلى خلقها بدون واسطة قدرة العبد
واختياره وفي ان الامر والنهي وانزال الكتب وارسال الرسل وامرهم بتبليغ الحدود والاحكام
في الدعوة والتبليغ ومحبة المطيعين والاحسان اليهم وعداوة العاصين واباحة
قهر الكفار وقتلهم وسبي اموالهم واولادهم والمدح والوعد بالجنة والقربة والكرامة
على عبادة المطيعين واعمالهم والذم والوعيد بالنار وانواع العذاب على عصيان
المذنبين واعمالهم بهذه الطرق فلم يحتج الى زيادة الاطناب والكشف في سر القضاء والقدر
ولصعوبة كشف هذا المقام زعمت المعتزلة ان العبد مستقل في افعاله الاختيارية وقادر دون
على مخالفة ارادة الله وان لا تاثير لقدرة الله تعالى في افعاله الاختيارية وقالوا هو الحديث
حكاية عن اليهود الا ان الراوي لما دخل على رسول الله ظن انه اخبر عن نفسه وقال بعضهم
ادم مصيب والغالب هو موسى واعلم ان ما قالت المعتزلة لنظرهم الى محض قدرة الله تعالى
القاهرة نحن ملزمون ومعترفون به لكنا نقول لله الحكيم القاهرة ايضا فلا بد من الجمع بينهما
نعم سلمنا ان الله تعالى مالك مطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا راد لقضائه ولا مانع

عن حكمة كما اشار الى ذلك بقوله ولو شاء الله لهدى الناس جميعا وما تشاؤن
الا ان يشاء الله ولكنا نعلم ايضا ان حكمته وفعله غير خارج عن نسق الحكمة والعادة
الالهية الا في موضع الاحتياج الى خرق العادة وان الوعد والوعيد على افعال العباد
واثابتهم فيها اليهم وتعلق الرضى والسخط والمدح والذم عليها في مواضع لا تحصى يشعر بخروج
خلق الافعال في ذواتهم كما توهم لان ذلك خارج عن طريق الحكمة ونسق العطف بل كان
ذلك لتعلق خلق الافعال الاختيارية بتوجه العبد على سبيل الشرط الالهية لا على الايجاب
والعلية فان قلت التوجه والاختيار يوجد بخلق الله تعالى فلزم الجبر قلنا التوجه والاختيار
من اعتبارات لا يحتاج الى فاعل ولو سلم فلنا ان نقول ان خلق الله تعالى ارادتنا على ان يتعلق
قدرتنا بالفعل والترك على سبيل الجواز والاختيار لا على سبيل الوجوب والاضطرار
كما انه تعالى فاعل مختار لم يلزم من ايجاده بالارادة وجوب الايجاد بحسب الذات فان قلت ارادة
الله تعالى قديمة وارادة العبد حادثة قلنا كلامنا على ان الفعل والترك مع الارادة لا يؤدي
الى الجبر سواء كانت الارادة قديمة او حادثة واذا عرفت هذا القدر من التحقيق في هذا المقام
الدقيق وازددت معرفة وجه الحق المستقيم في الزام لوم موسى عليهما السلام حتى
رجعت عن شبهة الجبر فاعلم ان قول ادم عليه السلام افتلومني على عمل قدره الله تعالى
قبل خلقي مشتمل على التعريض بكون موسى مباشرا في اللوم وكون ادم مقدرا قبل وجوده

ليكون الكلام نصا في شان ذنب العبدين ظاهرا واساءة في غيرهما لما عرفت في
الاصول ان سوق الكلام المقيد مثبتا كان او منفيا يكون لاجل بيان القيد فذهب
البعض الى ان الانكار المستفاد من الهمزة في افتلومني يكون لكون موسى مباشرا في لومه
وقد عرفت ان لا وجه فيصير ان يكون الانكار راجعا الى لومه على عمل مقدر قبل وجود
ادم فتوجه الاعتراض المشكل فيجب على مذهبنا المنصور ان عصيان ادم عليه السلام
صدر وجوده بواسطة القدرتين فلا بد فيه من ملاحظتهما لانه فعل اختياري لكن لما
نظر موسى عليه السلام فيه الى محض قدرة ادم عليه السلام لقوله قد اهبطت بخطيئتك
وهذا الشيء ظاهر بعدم اعتبار قدرة الله تعالى التي هي الاصل والمستقلة بحسب الذات
وان كان تاثيرها موقوفا على توجه العبد باعتبار السنة الالهية فيكون انكار ادم عليه السلام
بقوله افتلومني راجعا الى تخصيص موسى عليه السلام قدرة ادم بصدور المعصية
لا الى تبرئة نفسه عن تلك المعصية وعدم تعلق قدرته واختياره بها لما عرفت انه
عليه السلام قال ربنا ظلمنا انفسنا وقال الله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وقال الم انهكما
عن تلكما الشجرة وقال فازلهما الشيطان عنها وقال اهبطا منها جميعا فلا يشكل عن الجمع
والكلية فان قلت الادب ان ينسب ادم ذنبه الى قدرته وكسبه واختياره وان كان خاصا
بحسب الذات قلنا ذلك مسلم في موضع التضرع والتوبة لكن لما كان المقام موضع المناظرة

والالزام والمباحثة والاعلام يجوز ان يعتبر الجانب الاقوى واذا عرفت ذلك فاعلم ان الزام آدم
موسى عليه السلام بسبق التقدير لا يصح بمعناه فكأنه قال اني استحق اللوم والتوبيخ
لصدور العصيان مني لكنك يا موسى اخطأت باسناد تلك المعصية الى قدرتي بصورة دالة
في الظاهر على استقلالي فيصح انك نبي عارف بان الاصل والمستقل فيه قدرة الله تعالى
فاللائق بشأنك ان تنظر الى الجانب الاعلى وان النظر باحدهما يخرجنا عن الجبر والقدر
وامثال هذه النكتة كثيرة منها قوله عليه السلام لابي هريرة جف القلم بما انت لاق فاختص او
ذر روي ان ابا هريرة رضي الله عنه نظر الى السبب فزعم انه تام في وجود المسبب ودفعه وقال
اريد ان اختصي حتى اسلم من شر الشهوة الباعثة الى الزنا او التأمل فرد النبي عليه السلام
كلامه لما دل بظاهره الى نحو ملاحظة السبب وترك الطرف الاقوى وذهوله عن ان تأثير
الاسباب باعمال السنة الالهية لا باعمالها بالعلية ولو اراد الله امرا بخلاف العادة
والسبب يوجد ذلك الامر ولا يدفع ذلك بانعدام السبب العادي فان الولد والزنا
لا يندفع بانعدام الخصية لجواز حصول الزنا والولد بمجرد السحق والملامسة بالشهوة او
انزال الماء بدون الآلة لقوة الشهوة لا لملاحظة السبب لان ذلك مشروع ويحصل الاعراض
ان بعث الانبياء وانزال الكتب ووضع الشرع لبيان ان للاسباب مدخلا وتأثيرا وان
لم يكن مستقلة والاحاديث الدالة على ذلك كثيرة كقوله عليه السلام ما من مولود الا يولد

على الفطرة فابواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه يعني ان خلقة الانسان تدل على انه مخلوق
للعبادة والطاعة وقابلها لكن ابطال ذلك بغوايته وخروجه عن فطرة الله التي فطر الناس
عليها وفيه رمز الى ان للاغواء ومصاحبة الفجار اثرا في فعل المعصية كما ان للدعوة
والنصيحة اثرا في فعل العبادة وتحصيل الاستقامة فيدفع بذلك التوجيه شبهة الجبر
عن قوله افتلومني على عمل قدره الله علي قبل خلقي فان قلت وقد تعلق علم الله
في الازل الازلي بصدور المعصية عن آدم وعدم صدورها عنه محال فلا يقدر على تركها لتعلق
القدرة والاختيار فيه سواء كانت قدرته مؤثرة او غير مؤثرة قلنا تعلق علم الله تعالى
بمعصيته على تقدير ان يفعلها بقدرته واختياره بمعنى ان يتوجه عليها ويختارها فيخلق الله
اياها بعد ذلك على وجه العادة وطريق السنة الالهية فلا يلزم الجبر وهذا معنى قول بعض العلماء
ان العلم تابع للمعلوم والارادة تابعة للمراد يعني تعلق علمه تعالى وارادته في الازل بالمعلومات
والموجودات المترتبة في الوجود العيني على نسق اختيارها المكلفين وتوجههم الى فعلها
لا على خلافها فتأمل ذلك فانه دقيق وبالتحقيق حقيق وهذا قريب مما قال بعض المشايخ
ان الممكنات الموجودة المترتبة اقتضى كل واحد منها ما يناسب استعداده في النشأة العلمية
والوجود العيني وافاض الله تعالى على كل واحد منها من الاوضاع والاوصاف والاعراض
على حسب ما يقتضيه ويحكم على الله تعالى ولا يمكن التخالف فيه لانه خارج عن الحكم لكن قد بعض

الخروج عن ظواهر الشرع واعلم ان معرفة ما قدر لكل احد في الازل لا يمكن حتى شرع
في العمل على وفقه بل المعلوم لانه مامور بفعل الطاعة على عادة الامكان والقدرة ونهى
عن اجتناب المعصية على قدر الطاقة فالواجب على كل مكلف ان يجتهد في الصلاح
ويحترز عن المعصية ولا يتهاون في امر العبادة ولا اجتناب عن المعصية معللا بان العبد
لا يقدر على الخروج عما قدر له فان كل عاقل يعلم انه يفعل كل فعل اختياري بلا اضطرار
وتركه بلا اجبار وطلب الرسل للامر الوجوبات والعادة عن ستعم وان الله رغبة
في العبادة ومدح على فعلها ووعد بالجنة عليها ومنع عن المعصية ونهى واوعد بالنار
والعقوبة عليها وان الخلف في وعده ووعيده محال فالواجب على كل متدين ان لا يتجاوز
عن هذا المقدار فما وراءه اعمى واخطا

باب عذاب القبر

قال النبي عليه السلام المسلم اذا سئل في القبر شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة واذا قيل له
من ربك وما دينك ومن نبيك يقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد وفي رواية
انه اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد يقول المؤمن
اشهد انه عبده ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار وقد بدلك الله به مقعدا
من الجنة فيراهما جميعا واما المنافق والكافر يقال له ما كنت تقول في هذا الرجل

لمحمد فيقول ما ادري كنت اقول ما يقوله الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب
بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها غير الثقلين عن عبد الله بن عمر انه قال اذا مات
احدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة
وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال له هذا مقعدك الى ان يبعثك الله اليه
في يوم القيمة وفي رواية ابي هريرة اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما النكير
وللاخر المنكر فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول المؤمن هو عبد الله
ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك
تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له
نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم عن حالي فيقولان نم كنومة العروس لا يوقظه الا احب
اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا يقول سمعت الناس يقولون قولا
فقلت مثل قولهم لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض
التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيه معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه
وفي رواية البراء بن عازب فيقولان للمؤمن ما يدريك فيقول قرات كتاب الله تعالى
فامنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة
والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فياتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها

مدبرة واما الكافر فذكر شدة موته قال ويعاد روحه فياتيه ملكان
فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه
لا ادري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد
من السماء ان كذب فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار
قال فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ثم يقيض له اعمى
واصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها اعظم جبل لصار ترابا فيضربه ضربة يسمعها ما بين
المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح وفي رواية ابي سعيد
يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهسه وتلدغه حتى تقوم الساعة
ولو ان تنينا منها نفخ في الارض ما انبتت خضرا اعلم ايها المتعلم المسترشد قد وقع في عبارات
الاحاديث في هذا الباب اختلافات كثيرة في صفة الملكين وقولهما وفي حال الميت وقبره
فلا بد لك فيه من التوفيق لما عرفت ان لا تعارض في كلام الشارع لان ذلك اما للجهل
او للتقرير على الخطاء والنسيان في امر الدين وهو عليه السلام معصوم عنهما بفضل الله
فنقول انصافا منه وبالله التوفيق في الكلام الدقيق قاعدة كلية ضابطة لنا ولاهل
الاحاديث واثبتنا لها لانها كثيرة في كلام الشارع فلا بد فيها من معرفة اصل كلي حتى يقتدر
المستدل بها على التاويل او التوفيق ووجه التفصي عن التردد فنقول اعلم ان الاختلاف

من الاحاديث في قضية واحدة ومعنى واحد قد يكون بالنقصان والزيادة
وقد يكون بالتركيب والتباين وقد يكون الاختلاف بالتاويل والدلالة والاول قد يكون
بذهول السامع عن الزايد لنومه وغفلته او لمجيئه بعد صدور بعض الحديث
او لذهابه قبل تمامه او لنسيانه بعض الفاظه هذا اذا كان زمان صدور الحديثين
المختلفين واحدا وان كان زمانهما مختلفين يحتمل ان يكون الاختلاف المذكور
لذلك وان يكون باعتبار الحال والمقام لان النبي عليه السلام افصح الخطباء واكمل
البلغاء يودي المقصود الواحد بعبارات مختلفة في الايجاز والاطناب والتفصيل
والاجمال فقد يزيد في الكلام وينقص ويبالغ ويساهل في الوعد والوعيد
وانه عليه السلام ينظر الى حال المخاطبين واقتضاء المقام وقد يحمل بعض ارباب
الاصول ما ذكرنا من الاختلاف الناشي من الراويين او اكثر ويحمل الاختلاف
الناشي من راو واحد على غفلته عن الزايد وفساد روايته بعرف ان في
الاحتمالات متاتات فيه لكن ينبغي ان تعرف بعض المقتضيات حتى يسهل
الاختلاف ولا تسكن بذهولك عن اسبابها فاعلم ان المقتضي قد يكون حال المتكلم
او السامع او الوقت لان المتكلم قد يكون في بعض الاوقات على الشوق والنشاط
والحرص وشدة الرغبة في سوق الكلام او في غاية الاهتمام بحال السامع في نظم الكلام

على وجه التفصيل والتوضيح فيبسط كلامه ويطنب بعبارته وقد يكون في بعض
الاوقات على خلاف تلك الاحوال فيوجز كلامه ويجمل وقد يكون المقتضى حال
السامع ايضا بان يكون حريصا وراغبا في استماع كلام المتكلم ويتبرك ويتشرف
او يكون في فهمه قصور وفي قلبه فتور ويكون المتكلم مراعيا حاله فيقتضي ذلك اطناب
الكلام فينبسط المتكلم في كلامه ايضا وقد يكون حال المخاطب على خلاف ذلك فيقتضي
الاختصار فيوجز المتكلم كلامه وقد يكون المقتضى الوقت والحال بان يكون المقام مقام
الشرع والتوبة او السؤال والشكاية او المدح والدعاء وعرض الحاجة او الوعد
والوعيد على وجه التأكيد او التيسير والتسهيل والترغيب في السفر واللوم والتعيير
على وجه المبالغة فيقتضي ذلك البسط والاطناب فيبسط الكلام وقد يكون
الوقت والحال على خلاف ذلك فيقتضي الاختصار فيوجز وما اضفنا من الاحوال
الى المقام بحوادث تعرض في المتكلم والسامع ايضا فيسمى مجموع المقتضيات
والاحوال فيما ذكر المجري عرفا ارباب المعاني على اسم الاحوال المذكورة مع
الى المقام خصيصا بعض الاحوال بالمقام على ذلك العرف والطريقة
والثاني قد يكون للتفنن في نظم الكلام على [illegible] معنى واحد لاقتضاء المقام
وقد يكون لجهة النقل المعنى والثالث قد يكون لعدم تعين المعنى المجازي

للتأويل بعد ثبوت هذه [illegible] فرعن ارادة المعنى الحسي فيقع الاختلاف في تأويل
الحديث الوارد في معنى واحد فاختلاط هذه الضابطة الثالثة انما كان
خلطه قبل هذا قاعدة الجمع والتوفيق وضابطة الترجيح والتحقيق في دفع التعارض
الظاهري وتصحيح الاحاديث المخالفة للاصل الاصولي حتى يكشف لك الامر ايضا
في اختلاف الاحاديث بالزيادة والنقصان او بالعبارة والبيان او بالتأويل
والبيان في معنى واحد وان اردت زيادة التوضيح والتصريح وعدم الاكتفاء
بالقاعدة الرافعة فنذكر في الاختلاف المذكور في احوال القبر واهله واختلاف
امثاله فاعلم انه يمكن ان يكون جميع الاحوال موجودة في كل قبر من قبر المؤمن والكافر
لكن بين النبي عليه السلام احوالهما تارة منفصلة وتارة مجملة بحسب اقتضاء المقام فلذلك
فيكون الموجز مندرجا في المجمل والمختصر [illegible] مثلا يمكن ان يكون الملكان
في كل قبر مشخصين فياتيان كل كافر اذا وضع في قبره ويتولى عنه اصحابه وانه
ليسمع قرع نعالهم فعاد روحه فيقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير وهما اسودان
ازرقان اعينان فيجلسان كل كافر ويقولان له ما كنت تقول في هذا
الرجل لمحمد فيقال هاه هاه لا ادري وكنت اقول ما يقوله الناس فيقول لا
لا دريت ولا تليت قد كنا نعلم من قبل هذا ان تقول كذلك فينادي مناد من

السماء ان كذب فافرشوه من النار والبسوه من النار ويعرض عليه مقعده
في جهنم بالغداة والعشي ويقال للارض التئمي فتلتئم حتى تختلف فيه اضلاعه
ويسلط عليه تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو
ان تنينا منها نفخ في الارض ما انبتت خضرا ويضربه الملكان اذا صابه بمرزبة من
حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضرب بها ضربة فيسمع ما بين المشرق والمغرب
الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد روحه فيفعل هكذا الى يوم القيمة لكن اخبر النبي
عن هذه الاحوال في مجالس متعددة بعبارات شتى وتعرف الركيك متحيرا في
المقصود تارة على وجه الاطناب والتمام وتارة على وجه الايجاز والاجمال لاقتضاء
المقام ذلك وقس عليه احوال قبر المؤمن في اختلاف العبارات واتحاد المقصود والايجاز
والاطناب ويجوز ان يقال الملكان متعددان لا ان ملكان نكيرا وان يكون الميت
متعددا فيكون اختلاف الاحاديث لاختلاف احوال القبر لما عرفت ان اختلاف الاعمال
يقتضي اختلاف الاحوال في القبر والحشر والميزان والحساب والجنة والنار وقد بين
الامام الداعي الى الله في الدرة الفاخرة تفاصيل احوال القبر واهله بحيث لم يذكر
تلك الاحوال في الكتب المشهورة ولا بعد في ذلك بل لعل احوال الاخرة لم يذكرها
النبي عليه السلام لقصور فهم السامعين عن ادراكها لكن ظاهر عبارة الحديث

يدل على ان الاختلاف من جهة الايجاز والاطناب والزيادة والنقصان بحسب اقتضاء
الحال والزمان لان قوله عليه السلام المسلم اذا سئل في القبر وقوله واما المنافق
والكافر وقوله ان احدكم اذا مات وقوله اذا قبر الميت يدل في الظاهر على ان كل
ميت ما ذكر في الاحاديث المذكورة فان قلت يمكن ان يقال اللام في المسلم والميت
والمنافق والكافر للجنس او للعهد الذهني لا للاستغراق ويعني احدكم بعضكم
قلنا يجوز ذلك بالاحتمال العقلي لكن تعرف وانت الفرق بين السابق والتحقيق ويجوز
ايضا ان يقال بعض احوال المؤمن والكافر في بعض الوقت وبعضها في بعض الوقت
حتى لا يتوهم التدافع الظاهري وان يقال ايضا الزيادة والنقصان لذهول بعض
السامعين عن الزائد لبعض الموانع التي ذكر تفصيلها لكن ذلك تاويل مرجوح
لا يناسب المقام وسوق الحديث وقد ذهب بعض اهل الاهواء الى ان العبارات المختلفة
في احوال قبر المؤمن والكافر تمثيل للالام واللذات الروحانية حتى تستقر في ذهن السامع
وهذا باطل لانك عرفت انه لما لم يمتنع المعنى الحقيقي بالبرهان القطعي من العقل او النقل في
النصوص الواردة في احوال واحكام المعاد كما عدل عن الظاهر في حديث ذبح الموت في صورة
الكبش ووزن الاعمال في صورة الاجسام لان العرض لا يكون جسما لا ساعة
قلب الحقائق فيكون ذلك تمثيلا لانقطاع الموت واعلام تسوية مقادير الاعمال

لا يعدل عنه الى المعنى المجازي لان اكثر احكامها على خلاف العرف والعادة فلو اخرجت
عن ظواهرها بقرينة مخالفتها العرف والعادة لوقع الخلل في عقائد العوام ولمالوا الى
مذهب اهل الاهواء ورد جميع احوالها الى الروحانية كما قال المعتزلة ان الميت اذا مات
بطل حسه وحواسه فلا يتيسر له الادراكات المحسوسة فيكون ذكر احوال الميت
وبيانها بالامور الجسمانية للترغيب والترهيب لكن من تخلص عن ذلك الخوض والبلاء
وتعارض الوهم والعقل وفهم ان الله تعالى قادر على ان يجمع جميع الحواس الظاهرة
والباطنة في ذرة من تراب الميت فيلتذ بسببها بجميع اللذات الجسمانية
والروحانية ويتألم بالالام فلا يخرج الاحاديث الواردة في احوال الميت والقبر
عن ظاهرها ويأول تلك الاحاديث بما ذكرنا ولا يبعد عن المنهج الشرعي المستقيم بالتوهمات
الباطلة نعم قد يخرج بعض اهل السنة بعض النصوص الشرعية الواردة في احوال
الاخرة عن ظاهرها لمخالفة مفهومه للعادة وسوف يحقق امثاله في احوال اهل
الجنة والنار وما يشاكلهما

باب الاعتصام بالكتا[ب]

قال عبد الله بن عمر هجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع صوت
رجلين اختلفا في اية فخرج يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم
في الكتاب وقال ايضا في موضع ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على انبيائهم واذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شيء فدعوه فان قلت قال النبي عليه السلام في كتاب العلم هلا سألوا اذا لم
يعلموا وانما شفاء العي السؤال وقال في موضع فكيف التوفيق بينهما قلنا عاب النبي عم
لكون السؤال في غير موضع الحاجة او لكثرته وافراطه ونهى ايضا عن الاختلاف في تحديث
لكونه على وجه العناد وسوء الظن او بدون العلم والدليل العقلي والشرعي كسؤال بني
اسرائيل في البقرة بعد قول موسى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فان البقرة اسم
جنس يطلق على كل فرد في اي سن كان وباي وصف اتصف فالسؤال عن سنها
وبعد بيان السن عن وصفها سؤال في غير موضع الحاجة فيشعر ذلك بالانكار وعدم
الاعتماد على نبيهم وكسؤال عبدة الاصنام على وجه الالحاد والاستهزاء
بقولهم ءالهتنا خير ام هو ولذا قال الله تبارك وتعالى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم
قوم خصمون يعني ما سألوك يا محمد عن حال الهتهم كالملائكة والشمس والنجوم
وحال عيسى للاسترشاد وطلب الحق بل مقصودهم من السؤال المجادلة والمعارضة
بالباطل والاختلاف المنكر ايضا كاختلاف بني اسرائيل بعد نبيهم واختلاف اهل الاهواء
على حسب هواهم كالجبرية والقدرية والمشبهة والمعطلة والمجسمة لان هذه ايضا
اختلاف بدون الدليل الشرعي والعقلي في ترويج الباطل لا في اظهار الحق

اختلاف امتي رحمة لان السؤال والاختلاف شيء ... منكم وبعضهم

والصواب بهما والسؤال المأمور السؤال عند الحاجة بان يكون في اللفظ ابهام
واجمال او يكون بعض النص مخالفا لنص آخر في الظاهر كما قال الله تعالى يَسْأَلُونَكَ
ماذا ينفقون وقال تعالى يسألونك عن الشهر الحرام وقال تعالى يسألونك عن اليتامى
وكما قال النبي عم في حق قوم لم يجوزوا التيمم لجنب مجروح فاغتسل ومات قتلوه
قتلهم الله تعالى هلا سألوا اذا لم يعلموا وانما شفاء العي السؤال وهذا سؤال عند الحاجة
والسؤال عند الابهام كثير ايضا حتى سأل سيد افضل البلغاء عليه السلام
حين سأل عن تدريج نزول بعض نظم القرآن حتى قال الله تعالى فيه ولا تعجل بالقرآن من قبل
ان يقضى اليك وحيه وقال تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه
فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه والسؤال عن التوفيق والترجيح بين النصوص
المتدافعة في الظاهر كثيرا واكثر سؤال المتفقهين عن ذلك والمراد من اختلاف الائمة
اختلاف دواعيهم اذ دواعي بعضهم تدعو الى الاشتغال بالعلم الديني وهمة بعضهم
مصروفة الى استكمال علم العقل والحال ودواعي بعضهم متوجهة الى العبادة والعزلة
وبعضهم الى الجهاد والمجاهدة وبعضهم الى نوع من الحرف وانما الهم الله تعالى كل صنف من
الائمة داعية تخالف داعية الاخر حتى ينتظم باختلاف دواعيهم واعمالهم امور الدنيا والدين
وذلك من اثار رحمة رب العالمين او المراد من ذلك الاختلاف اختلاف المجتهدين

في استنباط الاحكام الدينية والدنيوية من النصوص الخفية الدلالة على تلك الاحكام
وذلك ايضا من آثار رحمة الله تعالى لان بتلاحق الافكار وتصادم الانظار يظهر الحق
للمستدلين المنصفين لما عرفت ان الله تعالى نص على كل واحد من العلماء المتوجهين
الى حضرته تعالى بتكميل الظاهر بالعبادات الصالحة وتطهير الباطن عن الاوصاف
المردية وتحليته العليا بالاخلاق المحمدية فصاحبا صاحبا وعلماء بعدها ولان فيه منافع كثيرة للعوام
من التوسع والترخص كما اذا اراد الحنفي دفع الحرج والخروج في بعض الحوادث يحكم
بمذهب الشافعي او غيره وكذا عن الحنفي يحكم بمذهب الحنفي عند الخروج

كتاب الصلوة

عن انس قال جاء رجل الى النبي عليه السلام
فقال اني اصبت حدا فاقمه علي ولم يسأل النبي عليه السلام عنه وحضرت
الصلوة فصلى الرجل مع النبي عليه السلام ثم قام فقال يا رسول الله اني اصبت الحد
فاقمه في كتاب الله قال عليه السلام اوقد صليت معنا قال نعم قال فان الله تبارك
وتعالى قد غفر ذنبك او حدك فان قلت قوله فاقمه علي الحد يدل على ان ذنبه كبيرة
وهي لا يذهب بالصلوة الا بالتوبة فكيف قال قد غفر ذنبك قلنا يمكن ان يكون المراد
من الحد جزاء الذنب تعزيرا فهو بعد ذلك فاقمه في كتاب الله اي حكمه في ذلك
فيكون الحد مستعملا في معناه اللغوي وهو منع جزاء الاثم عن المعاودة اليه

وقيل قصة ذلك الرجل انه من اهل السوق وفاتت امراة حمله الله لان يشتري
منه شيئا فقال في البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فاخذها فضمها الى نفسه
واراد ان يباشرها فقالت تلك المراة اتق الله فارسلها وندم على فعله واتى النبي عليه السلام
فقال انتم في كتاب الله ولو سلمنا ان ذلك كسر فلنا نكون ان لا يعلم في ذلك الوقت
تكفير الكسر بالصلوة ويعمل بظاهر قوله تع ان الحسنات يذهبن السيئات كما قال النبي عم
اتبع السيئة الحسنة تمحها ولا يبعد ذلك فان اكثر احكام الشرع لا يدرك بالعقل
ولذا قال النبي عفا الله عنك لم اذنت لهم او قلنا معصوم النبي عليه من ذلك الكلام
المحرض على السوال فلما غاب ندم السائل ورق قلبه وتضرع مختصر بتلك الكسر
قال النبي عم بين العبد وبين الكفر ترك الصلوة اي المانع بين العبد وبين دخوله
الكفر الصلوة واذا تركها دخل الكفر او الواصل بين العبد وبين الكفر ترك الصلوة
فان قيل قال عم لا يكفر المومن بذنب ولا يخرج عن الايمان بعمل يكشف حكم [illegible] لترك الصلوة
قلنا الحديث الذي ذكرتم وامثاله من النصوص الراجحة [illegible] يدل على ان ليس
المراد من الكفر الذي من ترك الصلوة الكفر الحقيقي بل معناه المجازي وهو المنع من ترك
الصلوة بابلغ الوجوه او يقال ترك الصلوة سبب في ضعف الايمان فينزل منزلة الكفر
او يقال ترك من افعال الكفر وخصالهم [السبعية] فشبه تارك الصلوة بهم فنزل الترك منزلة الكفر
او يقال ترك الصلوة مناف لكمال الايمان والناقص نزل منزلة المعدوم في اعتبارات

البلغاء فنزل الترك منزلة الكفر الحاصل واذا تعذر المعنى الحقيقي من يصار الى المعنى
المجازي المناسب للمقام واذا تعذر المعنى المجازي فمعنى المناسب للمقام من خواص
الحذاق وليس ذلك خطا منا لنا وقال بعض الشراح المراد من الترك الترك
على سبيل الاستحقاق او الانكار ولذا قيل ترك الصلوة دليل الكفر وهذا من محتملات
الكلام وانت تعرف منها ما ناسب المقام ولو نظرت الى مجموع الاحتمال العقلي لجاز
ان يقال المراد من الكفر ستر الحق وستر نعمة الايمان قال النبي عم خمس صلوات
افترضهن الله من احسن وضوءهن وصلوهن لوقتهن واتم ركوعهن وخشوعهن
كان له على الله عهد ان يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ان شاء غفر له وان شاء
عذبه فان قيل هذا يدل على ان الصلوات الخمس سبب للمغفرة وموجب لدخول
الجنة لقوله كان له على الله عهد ولا يحتاج فيه الى شيء اخر وقوله عليه السلام صلوا خمسكم
وصوموا شهركم وادوا زكوة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة
ربكم يدل على ان مجرد الصلوة لا يكفي في النجاة ودخول الجنة والا لا يكون لضم الصوم
والزكوة واطاعة الامر فائدة قلنا قد عرفت جواب مثل هذا السوال من الضابطة
المذكورة فقيل ليس المراد من الحديث ظاهر معناه بل نويته فيحتمل ان يراد من العموم عموم
الصغائر لا الكبائر وقوله على الله عهد يرد الى الوجه الوعدي الماعر ان الله تعالى

وعد بدخول الجنة على الطاعة اذا لم يمنع مانع ولو سلمنا انها تكفي في المغفرة ودخول
الجنة فلنا قد عرف ان الاسباب الشرعية يجوز ان تتعدد فتكون الصلوة منفردة ومجتمعة
مع غيرها من الطاعات سببا للمغفرة ولذا علق النبي عليه السلام دخول الجنة في موضع بسبب
واحد وفي موضع آخر باسباب مختلفة كما قال النبي عليه السلام عند دخوله المدينة
افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بالسلام
وقال في موضع آخر افشوا السلام واضربوا الهام تورثوا الجنان وقد عرف ايضا
تعدد العبادات والزيادة والنقصان لاحاد في خصوصيات المقام فلا نعيد

باب تعجيل الصلوة

قال النبي عليه السلام من ترك
صلوة العصر حبط عمله فان قيل هذا مخالف لاصول الشرع لان حبوط العمل لا يكون
الا بالكفر والارتداد وترك الصلوة لا يكون كفرا قيل في جوابه معناه حبط ثواب
صلوة العصر وقال الامام التوربشتي المراد من حبوط العمل حبوط اضعاف المثوبات
التي من قبل فضل الله تعالى يعني لو صلى العصر ثواب صلوة الفجر والظهر باعتبار ذاتيهما
ويعطى الاضعاف من فضل الله تعالى الى العشر والسبعمائة والى ما فوقها
تقدير فضله عمل العامل واذا لم يصل العصر يحرم عن تلك الاضعاف وهو
المراد من حبوط العمل وهذا غير بعيد لكن الانسب على فهم العوام ان يقال المراد من حبوط

العمل حبوط كمال عمل النهار يوضح ذلك ان عمل الليل يرفع بعد الفجر وعمل
النهار يرفع بعد العصر ويجتمع فيهما الملائكة التي هم موكلون برفع اعمال العباد
فيكون العبادة فيهما محبوبة ومكملة ولذا قال النبي عليه السلام لن يلج النار احد
صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وانما خصصهما الزيادة فضيلتهما لان ملائكة
الليل والنهار الذين يرفعون لعرض الاعمال يجتمعون في ذينك الوقتين واذا
يرون المؤمن فيهما مشتغلا بصالح معبوده يحصل بذلك فضيلة للانسان
والمباهات بعباداتهم على الملائكة كما قال النبي عليه السلام يتعاقبون فيكم
ملائكة الليل والنهار ويجتمعون في صلوة الفجر وصلوة العصر ويعرجون
ويخبرون بان العبد مشغول بالصلوة في وقت اتيانهم وذهابهم واذا ترك
العبد صلوة العصر يذهب كمال عمل النهار لان تمام الامور بخواتيمها فيكون
عمل النهار ناقصا والناقص كالمحبوط في جنب الكامل وقد عرف من البلغاء
يرون الناقص بمنزلة المعدوم والمحبوط فعلى هذا يجوز ان يقال قال النبي عليه السلام
من ترك العصر حبط عمله للمبالغة في التهديد والزجر عن تركه وان لم يحبط ثواب
اصل عمله

باب الذكر

عن انس ان النبي عليه السلام قال من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله

حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة فان قلت
ظاهر هذا مخالف لاصول الشرع ايضا لان مقدار ثواب العمل يكون بقدر فضيلة ذاته
والتعب فيه وفي الحج عبادات شريفة ومشقات كثيرة فكيف يكون ثواب الذكر
بعد الفجر وركعتي الضحى مساويا لثواب الحج قلنا قال الامام التوربشتي رحمه الله في
الجواب يجوز ان يكون سأل وان ثواب الذكر وصلوة الضحى لثواب الحج باعتبار الا
ضعاف التي من فضل الله تعالى لا باعتبار ذات الذكر وصلوة الضحى وقال الاشرف
يجوز ان يكون ذلك باعتبار شرف الوقت وفيهما بحث لان الاضعاف تابعة لذات
العمل فاي عمل فاق في الشرف زادت اضعافه وقد عرفت ان في الحج عبادات
عظيمة وان كان شريفه شاقة زائدة على الذكر وصلوة الضحى في الفضيلة
والفخامة وايضا فيه اوقات شريفة شاملة وقت الذكر ووقت صلوة
الضحى فيلزم منهما ان يكون الاضعاف المرتبة على الحج اضعاف اضعاف ثواب
الذكر وصلوة الضحى وان قلت تسوية الاجرين يفيد اخراج الذكر وصلوة
الضحى وايقاعهما عن الحج فلا يلزم التدافع قلنا وفي الحج طواف وسعي واحرام
واحتمال مشقات كثيرة من ترك مشتهيات النفس في الملبس والمطعم والمسكن
وفيه ايضا انواع البر والصدقات وفضيلة الاوقات سوى اوقات صلوة الضحى

وما سواها ومن وقت صلوة الفجر كوقت عشر ذي الحجة التي قال النبي عليه السلام
في حقها انها افضل الايام وفي ذلك العشر يوم عرفة ويوم عيد وفيه ايضا شرف
المكان كالكعبة وحرمها ومقام ابرهيم فيكون العبادة في تلك الايام والاماكن
مفضلة على غيرها باعتبارات المذكورة على تقدير اخراج الوقت الذي بعد الفجر
وقبل صلوة الضحى من بينها ويجوز ان يقال المشبه ليس الذكر وصلوة الضحى
فقط بل صلوة الفجر مع الجماعة والاشتغال بعدها بالذكر الى وقت صلوة الضحى
وصلوة الضحى بعدها ولا بعد ان يكون اجر الجميع مساويا لاجر حجة وعمرة تامة
ولا نسلم انه يقال لا يلزم من التشبيه مساواة اجر الجميع لاجر الحج والعمرة في المبلغ
كما اذا قلت زيد كالاسد لا يلزم منه ان يكون مقدار شجاعته مثل مقدار شجاعة الاسد في الواقع
فيكون المراد من قوله كأجر حجة وعمرة تامة بيان اشتراك الاجرين في مطلق الفضيلة
او المراد من التشبيه تشبيه حال اجر الجميع لتشبيه اجر الحج والعمرة التامين في الفضيلة
واعلم ان الغرض العائد الى المشبه في التشبيه قد يكون بيان امكان وجوده في المشبه
فقد يكون بيان حاله ووصفه فيه وقد يكون بيان مقدار حاله في الزيادة والنقصان
وقد يكون تقرير حاله في نفس السامع وقد يكون وجه الشبه الاشتراك في تمام الماهية
وقد يكون في جزء الماهية وقد يكون في الصفة الخاصة بالمشبه به المشهور بها كشجاعة الاسد

بالشجاعة وشهرة الحمار بالبلادة واذا كان المقصود من التشبيه بيان امكان المشبه
او بيان حاله او تقرير حاله يكون فيها المشبه به اتم واشهر في وجه الشبه ولا يلزم منه مساواتهما
في وجه الشبه واذا كان المقصود من التشبيه بيان مقدار حال المشبه في وجه الشبه
يلزم منه مساواة المشبه للمشبه به فيه وهل لا يلزم الاتمية فيما سوى تقرير حال
المشبه لكن المناسب للاستعمال ان يوجد الاتمية في جميع الوجوه الا في بيان المقدار
وقد يكون الغرض من التشبيه تزيين المشبه او تقبيحه او استطرافه وهذا لا يقتضي ايضا
الشهرة في مقدار وجه الشبه ولا الاتمية ولا الاشهرية في المشبه به وقد يعود الغرض
في التشبيه الى المشبه به وقد يعود الغرض في التشبيه الى المشبه به كما في
التشبيه المقلوب لايهام ان المشبه المجعول مشبها به اتم واشهر في وجه الشبه وانما
اطنبنا الكلام في بيان فوائد التشبيه بادنى مناسبة لان تشبيه العبادة السهلة
بالعبادة العظيمة او ثوابها او تشبيه المعصية السهلة بالمعصية الكبيرة
الفاحشة في القبح او عقابها كثير في عبارة الشارع فيتشوش منه خاطر المبتدي
لاستغرابها واراءة الادنى للاعلى واذا عرفت اختلاف الاغراض في التشبيه ينبسط
المرام على نسق المقام ولا يتوهم ان المقصود من التشبيه بيان تسوية المشبه للمشبه به
في مقدار وجه الشبه في كل موضع قال النبي عليه السلام في كتاب الصلوة

الصلوة الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا
اجتنبت الكبائر فان قلت اذا كان كل واحد من المذكورات لما يكفر
فلا يكون في ذكر الثاني فائدة قلنا قد عرفت ان الاسباب الشرعية يجوز تعددها
وفائدة ذكر الثلث بيان ان كل واحد من شانه التكفير والتخلف لمانع لا يهدم
فضيلته كما عرفت ان شان كل عبادة ان يكون سببا لدخول الجنة وذلك يكفي
في بيان الفضيلة والتحريض على مواظبته والتخلف لمانع لا يقدح في ذلك كما ان
المستدلين يثبتون مدعاهم بدليل مستقيم كاف في الاثبات لكنهم يوردون في اثبات
ادلة اخرى ولا يعدون ذلك مستدركا فان اهل الميزان يثبتون مدعاهم بالخلف
والافتراض والعكس واهل الشرع يثبتون مقاصدهم بالكتاب والسنة والاجماع
والقياس لان مقصودهم بيان ان كل واحد من دلائلهم يصلح لاثبات مدعاهم
مع ان تعدد الاسباب والدلائل مما يقوى في حكم الوصول الى المقاصد ويقرر قبول
السامعين مدعاه ويؤكد بحيث لا يتردد فيه ويمكن ايضا ان يقال يكفر باحدها
الصغائر ويحصل بالباقي رفع الدرجة والنصايح في مقابلة التكفير ويمكن ان يقال
ايضا يكفر كل واحد ما يناسبها من الصغائر فلا يلزم اهدار البعض ايضا
فان الصلوة مكفرة للصغائر الحاصلة من الاقوال والافعال والجمعة يكفر

للصفاء الحاصل من الاجتماع مع ابناء الدنيا ورمضان يكون للصفاء الحاصل
من شهوة البطن والفرج ولا يستبعد ذلك لانها المستدل المنصف لما عرفت ان لكل
واحد من العبادات خاصية من الدفع والتكفير كالاسباب الحسية فان الحمى الحارة
لا تزول الا بدواء مناسب كالبرصدي وماء الرهاس وشراب النيلوفر ولا تزول بالعسل
والترياق الاكبر ويمكن ان يقال في التكفير دفع ضرر الصفاء وذلك اما بازالة الضرر
الحصول او الصون عن الموقع فما الضم في الصوم لما عرفت ان تعاضد الاسباب مما
سوى داعية الدفع فتامل فيه ليطلع على المراد وقال بعض الشارحين كل واحد يكفر
في حق من لم يفعل الباقي وقال بعضهم المكفر كلها لا بعضها والاسيع فان كل واحد
مكفر لقول النبي عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها وقال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
وقوله مكفرات تنادي بذلك ايضا لمن يسمع ومن لم يفعل الباقي يكون متجافيا الكبائر
فلا يوجد التكفير لانه مقيد بالاجتناب عن الكبائر نعم يمكن ان يقال بعمران سقط وجوب
الجمعة ورمضان بواسطة السفر فيكون الصلوة مكفرة دون غيرها لكن لا يصح غالبا
سقوط وجوب الصلوة عند وجوب الجمعة وصوم رمضان

باب القراءة في الصلوة

قال عقبة كنت اقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فقال لي يا عقبة
الا اعلمك خير سورتين قرئتا فعلمني قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فلم يرني سررت
بهما فلما نزل لصلوة الصبح صلى بهما بعدها قال يا عقبة كيف رايت فان قلت قد
ثبت بالاحاديث الصحيحة ان المعوذتين ليستا بافضل من سورة يس وتبارك الذي
بيده الملك والرحمن وقل هو الله احد قلنا قد عرفت ان جهات الفضل كثيرة
ومحله تحرير السورتين على غيرهما يمكن ان يكون بجهة لا يوجد في غيرهما بان يكون باعتبار
حال المخاطب او الوقت لا باعتبار الذات فان المعوذتين في السفر لا سيما في ظلمة
الليل يكون افضل واولى بحال المخاطب من جهة التعوذ بهما من ضرر الشيطان والجن
والانس وسائر المفسدات والموذيات من السباع والهوام وان كان باقي السور افضل
منهما باعتبار آخر فلا يلزم التدافع واعلم ان جميع آيات القران متساوية في الثواب
باعتبار الفاظها وحروفها لما عرفت ان كل واحد من الحروف عشر ثواب بلا فرق بين
حرف وحرف لكن يجوز ان يكون بعض الآيات مفضلا على البعض باعتبار الحوامل والكلم
كما عرف تفاصيلها بالاحاديث الصحيحة والعقل يحكم ايضا عندنا بان الآيات الدالة
على وحدانية الله تعالى واسمائه الحسنى وصفاته العليا اعز منها ومن الآيات الدالة على احوال
الرسول واوصاف الجنة والنار والآيات الدالة على اوصاف العبادات لا يكون مساويا
للآيات الدالة على البيع والشراء والطلاق والمخاصمات والآيات الدالة على احوال
الانبياء والاولياء تفوق على الآيات الدالة على احوال الكفرة والاعداء وذلك كله باعتبار

المعنى وقس الباقي عليه فالمعنى الا اعلمك خير سورتين لك في هذا الوقت او باعتبار
السعود عن المضاد في اي وقت كان او باعتبار حالك لانك تقيم في المغافر او في
مجاورة اهل الشر لكن سوق الكلام يدل على ان تخصيصهما باعتبار السفر كما قلنا اولا

باب الركوع

قال رفاعة بن رافع كنا نصلي وراء
النبي عليه الصلوة والسلام فلما رفع راسه من الركوع من الصلوة قال من
المتكلم رايت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اول وروى عن انس في باب ما يقرأ بعد
التكبير ان رجلا جاء الى الصلوة وقد حفزها النفس فقال الله اكبر الحمد لله حمدا
كثيرا طيبا مباركا فيه فلما قضى النبي عليه السلام صلوته فقال ايكم المتكلم بالكلمات
لقد رايت اثني عشر ملكا يبتدرونها ايهم يرفعها فان قلت قال في احدهما بضعة وثلثين
ملكا يبتدرونها وقال في الاخر اثني عشر ملكا يبتدرونها فلا بد من التوجيه
في زيادة الملك قال قدوة المحققين قطب الكاشفين صدر الملة والحق والدين رحمه الله
في توفيقهما اعتبر النبي عليه السلام في احد الحديثين مجموع الحروف للتحميد وهي ثلث
وثلثون وفي الاخر لم يعتبر الحروف المكررة فقال اثني عشر والمحققون اجمعوا على
ان الالف ليس بحرف تام لانه عبارة عن امتداد النفس وليس له مخرج معين من
مخارج الحروف فهو مادة جميع الحروف وراعى في بعض الحديث جميع الحروف

بحسب الظاهر لا بحسب النطق فقال بضعا وثلثين وفي هذا الحديث ارشاد للعوام
وفي ذلك الحديث للخواص فهذا من دقائق السر صور مباني الحروف وتصوير الملائكة
وقال في حديث آخر اقرؤوا القرآن فانه ياتي يوم القيمة شفيعا لاصحابه واقرؤوا
الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران فانهما ياتيان يوم القيمة كانهما غمامتان
او غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن اصحابهما فرقان من طير كناية
عن ارواح صور الحروف والكمالات والغمامتان والغيايتان عبارة عن صور
احد من جمع كل سورة منهما وهذا نوع توحيد لكن لقائل ان يقول لم صور الحروف
المكررة في احد الحديثين دون الآخر فيمكن ان يقال اعتبر الحروف المكررة باعتبار شرف
الوقت وصفة القائل وحاله وقد عرف من قبل ان لفضيلة القائل من اخلاصه
وعمله وتهذيب نفسه دخلا في مزيد الثواب وان كان الذكر وسائر العبادة
واحدا او لشرف الوقت والمكان دخل فيه فيجوز ان يكون الزيادة في احد الحديثين
لما ذكرنا لشيء المجهول ويكون زيادة الثواب لفضيلة الوقت والمكان او القائل
لان احد القائلين قال التحميد في الركوع والآخر حال افتتاح الصلوة ولا شبهة
في ان التحميد في داخل الصلوة اشرف من التحميد في ابتدائها ولذا قال في التحميد
في الركوع بضعة وثلثين وفي التحميد في ابتدائها اثني عشر ويمكن ان يقال

ايضا ان عاد العهد بين سماعي فيجوز ان يرجح فان الزيادة الى جلال العبادة

لما عرفت ان الخواص المراكب ابرا في المفصل ولان نصص للست عشر للثلاث

يمكن ان يكون الزيادة لزيادة الحروف وقد جاء عن عقبة بن عامر قال لما

نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم

ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وقال في باب السجود

امرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين

وظاهر الحديث يدل على ان يكون تسبيح الركوع والسجود والسجدة على سبعة

اعظم وليس كذلك اجيب بان النبي عليه السلام لم يذكر التسبيحين ووضع الاعظم

السبع في بيان فرائض الصلوة وواجباتها ولذا لم يكونا واجبين وفيه

بحث لان بيان النبي عليه السلام ثبت بخبر الواحد وذلك لا يفيد القطع واجيب ايضا

بان قوله تعالى واركعوا واسجدوا لا يدل على التسبيح ووضع الاعظم السبع

في اللغة فخبر الواحد لا يفيد عما وفيه بحث لان خبر الواحد يجوز ان يبين المراد

من السجود في الشريعة وضع الجبهة مع الاعظم الباقية فيكون خبر الواحد بيانا

الاجمال فالاظهر في الجواب ان يقال قد اجمع جمهور العلماء على ان التسبيحين ووضع

جميع الاعظم ليس بواجب فيكون اجماعهم دليلا على ان يكون الامر في قوله عليه السلام

اجعلوها في ركوعكم و بسجودكم وامرت ان اسجد للندب لا للوجوب

باب فضيلة الصلوة على النبي

قال النبي عليه السلام من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشرا وحطت عنه عشر خطيات ورفعت له

عشر درجات وقال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه

فان قلت قال في موضع صلى الله عليه عشرا وزاد في موضع آخر عنه حط عشر

خطيات ورفع عشر درجات فكيف التوفيق بينهما قلنا فهم جواب بمثل سر السؤال

في الطائفة المذكورة فهاهنا يجوز ان يكون المقصود من بيان فضيلة الصلوات

بعبارات مختلفة التحريض عليه لا التعيين ويجوز ان يكون جميع الفضايل

بل اضعافها حاصلا في الصلوات على النبي عليه السلام والزيادة والنقصان

في بيان الثواب لاقتضاء المقام فلا يوجد التدافع لان ذكر البعض لا يدل

على نفي الزيادة واعلم ايضا ان الظاهر من رد الروح بعد اطلاع النبي عليه السلام

على المصلين بقوة نفسه القدسية لان الدنيا عن خالية عن المصلين فيجوز ان يتعاقب

الصلوات من غير فصل ولو كان في بعض الايام فلزم منه دوام التعلق

ولا يتصور الرد في كل مرة لعدم الانقطاع

باب الذكر بعد الصلوة

عن ابي هريرة انه قال قالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات

والنعيم المقيم صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم
ولست لنا اموال قال افلا اخبركم بامر تدركون به من قبلكم وتسبقون به
من جاء بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في
دبر كل صلوة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا وفي رواية تسبحون
وتحمدون وتكبرون خلف كل صلوة ثلثا وثلثين فان قلت فدلهم من هذا
الحديث ان تلك الاذكار اكثر ثوابا واعظم درجة من الصدقات وان المشتغل
بها يسبق العباد العاملين سائر الطاعات من الصلوة والصوم وتلاوة القرآن
والحج وليس كذلك يمكن ان يجاب عنه بان المراد بما ذكر بيان فضيلة
تلك الاذكار والترغيب فيه وقوله تدركون به من قبلكم وتسبقون به
من جاء بعدكم انما يدل عليه بالطريق الموجود كانه قال لمن ادرك شيئا مرغوبا
ادركت شيئا لم يدركه مثله احد في الدنيا مع انك تعرف ان امثاله بل الامثل
منه وافضل كثير في ايدي الناس فيريد منه انه ادرك شيئا نفيسا
ويعرف اهل الفهم مراده ايضا لانهم يعرفون ان في ايدي الناس امثاله كثير ان
حصر ويحتمل ان المراد انكم تسبقون به من جاء بعدكم وتسبقون به من سبقكم
في العبادة الى من جنس الاذكار والتسبيح والتحميد بعينه بقرينة قولهم صلوا كما صلينا

وجاهدوا كما جاهدنا ولم يذكر في الثاني للاكتفاء لان السامعين كانوا
عالمين ذلك على الترتيب والعدد الذي بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يوجد
تلك الفضيلة في السابقين لعدم معرفتهم بها لكن سبقهم على من جاء بعدهم
على صدر ان لا يحصون الاذكار المذكورة على الترتيب والعدد المخصوصين لقوله عليه السلام
الا من جاء بمثله منهم او يقال المراد بفضل الاذكار المذكورة على الصدقة فقط
لقولهم وليست لنا اموال ولو سلم تفضيلها على العبادات الباقية مطلقا عملا
بظاهر الاطلاق يمكن ان يقال الاذكار المذكورة افضل من سائر العبادات البدنية
والمالية بجهة لا توجد فيها لان فضيلة كل عبادة باعتبار انها مذكورة للمعبود فالتسبيح
والتحميد والتكبير يذكر عمومه بطريق الصريح وجامع لانواع المذكرات والتعظيمات
لان التسبيح عبارة عن عبادة جامعة لانواع التنزيهات والتحميد عبارة عن
اقوال جامعة لانواع الصفات الثبوتية والتكبير عبارة عن اذكار مشتملة
لانواع التعظيمات والمدحات ولا بعد في ان يكون الاذكار المذكورة اشرف
من سائر العبادات بتلك الجهة وان كان غيرها اشرف منها باعتبار المشقة
وقهر النفس وبذل المال المحبوب للنفس وبذل الروح الانفس من كل كل
شهوات النفس وكونه كلام الله تعالى ويدل عليه ايضا قوله الا من جاء بمثله

فان قيل هذا لا يناسب المقام اذ لا يلزم منه تفضيلهم على الاغنياء المتقدمين
قلنا يناسب لان المقصود من الكلام تسليتهم بتفضيلهم على الاغنياء بجهة اخرى
ليجتهدوا فيها ويواظبوا عليها حتى يسبقوا بها غيرهم بتلك الجهة كما يقول المسلم
صاحب اركان لعلان فضلها المال والرياسة فلك فضيلة العلم والعبادة
ويمكن ان يقال ايضا افضلية الاذكار باعتبار سهولتها وحصولها في عموم
الاوقات بدون مشقة مع حصول ثواب كثير ومن مراده عدم اخبار عن
سبب السبق بعد الذكر من كثرة الصوم والصلوة والتوجهات من محللات
الكلام وانت تعرف انها اقرب وانسب بفهمك التام

باب الجماعة وفضلها

عن ابن عمر قال النبي عليه السلام صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين
درجة وقال في فصل الاداب شاهد الصلوة يكتب له خمس وعشرون صلوة
ويكفر عنه ما بينهما فما التوفيق بينهما قلنا يمكن ان يقال المراد من الاعداد المذكورة
كثرة الثواب او يقال اللام في الفذ والجماعة للجنس فيجوز ان يكون ثواب بعض
الجماعة فاضلا على بعض الفذ بخمس وعشرين وعلى البعض بسبع وعشرين والزيادة
يكون باعتبار حال الجماعة والامام والوقت لكن هذا غير مناسب للمقام المقتضي

للعموم ويجوز ان يكون الزيادة في الدرجة بسبب ترقي مرتبة نبينا عليه السلام
ان صح تاخر الحديث المشتمل على الزيادة كما قال الله تع في شان امة نبينا عم
ثلة من الاولين وقليل من الاخرين ثم قال ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
ويجوز ان يقال ذكر خمس وعشرون لا يدل على نفي الزيادة ولذا لم يذكر
التكفير في سبع وعشرين فلا تعارض ووجه التخصيص بعدد خمس وعشرين
وسبع وعشرين لا يدرك الا بنور النبوة

باب تسوية الصفوف

قال النبي عليه السلام وما من خطوة احب الى الله من خطوة تمشيها تصل
بها صفا فان قيل الخطوة الى الجهاد والحج افضل من الخطوة الموصلة الى الصف
في الصلوة قلنا لا نسلم ذلك لان الصلوة افضل منهما لكونها حسنا في نفسها وجامعة
لانواع التعظيمات فيكون الخطوة اليها افضل فان قيل الخطوة ليست الى الصلوة
بل الى صفها قلنا المقصود منه الصلوة مع الجماعة وقد عرفت فضائل الفرائض
الاربعة الفرعية واختصاص كل واحد بفضيلة لا يوجد في غيرها وان الصلوة
افضلها فلا تبعدها فان قيل خطوة من دار الكفر الى دار الاسلام للايمان
افضل منها قلنا فعلى هذا لابد من الاحيثية الزيادة في ذاتها او بجهة خاصة

باب السنن وفضلها

قال النبي عليه السلام

من صلى كل يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة تطوعا بنى له بيت في الجنة فان قلت
قد ذكر في بيان فضيلة صلوة الضحى وست ركعات بعد المغرب ما لعاب
كثيرة من رفع الدرجات وحط السيئات وذكر في بيان فضيلة ثنتي عشرة سنة
سوى كون بناء بيت في الجنة فقط فيفهم منه انها دون صلوة الضحى وست ركعات
وليس كذلك قلنا لم يرد بذكر بناء البيت حصر فضائل السنن المؤكدة بل بعض
فضائل السنن لكنها في التحريض باعتبار الحال او المقام او المراد من بناء البيت
استحقاق المصلين لدخول الجنة او لابتناء البيت وذلك من اعظم المقاصد لان الجنة
مشتملة على انواع الدرجات الرفيعة واللذات الشريفة فلذا اقتصر عليه فلا يلزم منه
كون صلوة الضحى وست ركعات افضل من السنن المؤكدة وقال عليه السلام
من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي
عشرة سنة قال القاضي ناصر الدين فان قلت كيف يعادل العبادة القليلة
العبادات الكثيرة ففيه تضييع ثواب العبادات الزائدة قلت الفعلان ان اختلفا نوعا
فلا اشكال وان اتفقا فلعل القليل يكتسي فضلا بما خصها من الاوقات والاوقات
والاحوال ما يرجحه على امثاله وقال الامام التوربشتي يحتمل ان يكون بيان ثواب
القليل باعتبار الاضعاف التي تفضل الله تعالى وفيه بحث لان عبادة ثنتي عشرة سنة

مشتملة على النوافل التي دلت على تفضيلها على النوافل الاحاديث الصحيحة وعلى
اضعاف الوقت الذي بعد المغرب ولو لم يعتبر زيادة العبادة في الفضيلة
ويعتبر شرف الوقت فقط يلزم ان يكون ثواب عبادة ثنتي عشرة ركعة اضعاف ثواب
ست ركعات باعتبار الوقت فان قلت العبادة الواقعة بعد وقت المغرب محجوبة
عن تلك العبادات من حيث العقل كما ان ليلة القدر خارجة من ليالي الف شهر في
ليلة القدر خير من الف شهر والنوافل نصا محجوبة عنها بنص الاحاديث
الواردة في فضائلها قلنا لو سلمنا ذلك لكن التفضيل باعتبار احوال المصلي لا ينافي
لعموم قوله من صلى في التفضيل باعتبار الوقت فلزم من التفضيل بذلك الاعتبار
ان لا يكون وقت اشرف من الوقت الذي بعد المغرب وليس كذلك لما ثبت في الاحاديث
الصحيحة ان الوقت الذي بعد الصبح وفي الجمعة وشهر رمضان وبعد الثلث
من الليل اشرف ولو كان معادلة ثواب ست ركعات ثواب عبادة ثنتي عشرة
سنة باعتبار الاضعاف التي تفضل الله تعالى يلزم ان يكون الاضعاف المرتبة على ست
ركعات واقعة بعد المغرب اكثر من الاضعاف المرتبة على عبادات ثنتي عشرة سنة من نوافل
الصلوات مع الصيامات والصدقات وسائر العبادات لان العبادة مطلقا مع انها مشتملة
على الاوقات الشريفة سوى الوقت الذي بعد المغرب وسوى النوافل ولا يستقيم

ذلك لما عرفت ان ترتب الاضعاف وزيادتها ماعساه فضائل المقتصات
من ذات العامل او عمله او حاله او وقته وصح ست ركعات بعد المغرب على ثنتي
عشر ركعة من السنن الموكدة وعلى عبادة ثنتي عشرة سنة مشتملة على فضائل العبادات
وسائر الاوقات بالجهات المذكورة او بواحد منها لا ساست فالاوجه في الجواب
ان يقال المراد من معادلة ثواب ست ركعات ثواب عبادة ثنتي عشرة سنة بيان
كثرة ثواب ست ركعات بعد المغرب والحث على مواظبتها لا انها ساواه ثوابها
لثواب عبادة ثنتي عشرة سنة فان قلت ما وجه تخصيص ثنتي عشرة سنة في بيان كثرة
الثواب قلنا لا يدرك حكمة تعيين عدد الركعات والصدقات والحد وحال اجرات الانبياء
السوء ويجوز ان يقال لما غلب استعمال الالف والمائة والسبع والسبعين وامثالها في
ارادة الكثرة لا الحصر جرى النصوص الشرعية في بعض المواضع على ذلك العرف والعادة
ويؤيد ما ذكرنا من عدم ارادة الحصر قوله عليه السلام من صلى بعد المغرب عشرين
ركعة بنى الله له بيتا في الجنة ولقائل ان يتكلف ويقول يجوز ان ينفصل ذلك
السبب على عبادة ثنتي عشرة وعشرين ركعة بنوع من الوجوه عرابات فيها قلنا
لا يسع ذلك عقلا لكن انت تعرف ان التاويل المناسب للعقول المصون عن البعد
في الاصول عن التاويل بحد الاحتمال العقلي اذ لو اعتبر ذلك الاحتمال لا يوجد دليل

قطعي في النقليات ولا يسول على كرامات في النزعات

باب صلوة الليل

عن ابن عباس قال بت عند خالتي ميمونة فصلى النبي عم
ثلث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فاذنه بلال بالصلوة فصلى ولم
يتوضأ وعن ابن عباس انه رقد عند النبي عليه السلام فاستيقظ فصلى ركعتين
اطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلث مرات ست
ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ بعد كل وضوء ان في خلق السموات
والارض حتى ختم السورة قال المظهر لم يتوضأ في الرواية المتقدمة وتوضأ في هذه
الرواية ليجدد الوضوء لا لانتقاض وضوءه بالنوم لان قلبه لا ينام وقال شارح
المشكوة لعله علم انتقاض وضوءه في تلك الرواية فتوضأ لذلك قال شارح
السنة ولم ينم قلبه ليعلم ما اوحي اليه في نومه قال ابو عيسى بن عمر رؤيا الانبياء
وحي واذا ثبت ان نومه لا ينقض وضوءه فالتوجيه المذكور مستقيم وان لم يثبت يمكن
ان يقال يجدد لا يدل على نومه على سبيل القطع اذ يجوز ان يتنبه بعد النوم فلذا لم
يتوضأ عند اذان بلال ويجوز ان يعلم نومه في المرة الاخرى كالمستغرق والسنة
فتوضأ فيها

باب صلوة التطوع

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول ان اول ما يحاسب

به العبد يوم القيمة من عمله صلوته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب
وخسر وان انتقص من فريضته يكمل من نفله وكذا الصوم والركوع وقوله قد
افلح ينافي بظاهره التهديدات الواردة في تارك الركوع والحج وفاعل سائر المعاصي
لان المؤمن اذا ارتكب الكباير لا ينجو عن عذابها بمجرد اتمام صلوته فيمكن ان يجاب
عنه بان قوله قد افلح من باب المبالغة في التحريض على المواظبة على الصلوة فقد افلح
ان لم يمنع مانع من فعل سبب دخول النار او يقال من واظب على الصلوة على وجه
التعديل والصلاح يتم سائر الفرائض ويجتنب عن المعاصي كما قال الله تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر فيكون بين اتمام الصلوة وفعل سائر العبادات والاجتناب
عن السيئات ملازمة شرعية ويحتمل ان يراد من الفلاح النجاة عن العقاب على ترك
الصلوة ومن الانجاح الظفر بفضيلة الصلوة ورفع الدرجات بها واعلم ان الفلاح
الكامل لا يكون الا باداء جميع الفرائض والاحتراز عن جميع السيئات واعلى النجاح
عن العقاب والفوز بالثواب بعبادة واحدة بعيد ان تحتمل تاويل ذلك
وعادة العصر بكثرة التاويلات وعد بعض المحتملات لتعليم المسترشدين طرق التا
ولا نشير الى اقربها وانسبها في اكثر المواضع تعويلا على فهم العارف وتساهله على
اعمال الروية وتشحيذ الفكرة في استنباط انسبها وتعيين اقربها والله الهادي

او معناه

والموفق لقصد الصواب على من اقبل الى جنابه فقيه باجتماع الشرايط والاداب

باب الجمعة

قال النبي عليه السلام خير يوم طلعت
عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم
الساعة الا في يوم الجمعة وفيه ساعة لا يسأل عبد مسلم فيها خيرا الا اعطاه اياه فان قلت
قد ثبت في الحديث ان خير الايام يوم عرفة فما وجه التوفيق فيه قلنا قد
فهمت مما سلفت من الاجوبة ما يرشدك الى التوفيق ودفع التعارض الظاهري
في مثل هذا السؤال من ان الشي يجوز ان يكون افضل من غيره باعتبار ومفضولا
عنه باعتبار فيوم الجمعة يجوز ان يفضل على سائر الايام باعتبار الفضايل المخصوصة
المذكورة في الحديث من خلق آدم فيه وغيره ويوم عرفة يكون مفضلا على سائر الايام باعتبار
حصول معظم اعمال الحج فيها ولا يلزم منه ان يكون يوم الجمعة مفضلا ومفضولا
عليه بجهة واحدة لما عرفت ان جميع الايام متساوية في ذواتها والفضل لا يكون
الا باعتبار امر عارض فلا يبعد في ان يكون حصول اجتماع الحجاج واعمال الحج
في الايام العشر من ذي الحجة سببا لفضيلتها على سائر الايام ويوم عرفة
يكون افضلها باعتبار وجود افضل اعمال الحج فيه او يكون يوم عرفة جامعا بين
الايام التي فضل عليها يوم الجمعة بين حديث تفضيل يوم عرفة على سائر الايام

فان قلت دخول ادم فی الجنه فی یوم الجمعه وقبول الدعاء فی ساعته یکون
سبب فضیلته واما خروج ادم عن الجنة فیه وقیام القیمة فیه لا یکون سبب
شانته کیوم الاربعاء قلنا خروج ادم عن الجنه او قیام الساعة امر محزن ومهیب
فی ذاته لکنهما سبب السرور والسعادة باعتبار غایته فان خروج ادم عن الجنة
سبب تولده فی الدنیا ونزوله فیها سبب للعبادات ولوجود الاولیاء والانبیاء ومن
جملتهم نبینا محمد المصطفی صلی الله علیه وسلم وهو المقصود من الکونین وقیام
القیامة ایضا سبب وصول العابدین والمقربین الی لقاء رب العالمین والی النعیم
المؤبد والسرور المخلد وانواع اللذات والکرامات للمطیعین وکونه سببا
لعذاب الاشقیاء والفجار لسوء اعمالهم التی لم یخلق الانسان لاجلها ولذا قال
الله تعالی وما خلقت الجن والانس الا لیعبدون لا یقدح فی فضله القیامة بالنسبة
الی الابرار الذین هم ذکر القرار والفجار بمنزلة المعدوم لعدم ترتب مقتضی الخلقة
علیهم کما یقول الانسان والله لست بانسان لعدم ترتب مقتضی الانسانیة علیه
ولا تخطاک اهل اللغة والاوهام فی ذلک القول والکلام والقیمة الصغری
نظیر القیامة الکبری فی ذلک الاعتبار لان الموت مبغوض مسکر عند الفجار
ومحبوب مستفیض عند الابرار ولذا قال الله تعالی للیهود الذین زعموا انهم اولیاء الله

واحباؤه فتمنوا الموت ان کنتم صادقین یعنی ان الموت سبب لوصول
المحب الی المحبوب ووجدان اللذة الفاضلة والقربة الکاملة عنده فیکون
الموت مطلوبا ومرغوبا لان الحبوس مانع عن الوصول والموت وسیلة الیه
قال ابو موسی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول الساعة التی یستجاب
الدعاء فیها من یوم الجمعه ما بین ان یجلس الامام الی ان یقضی الصلوة وقال
عبد الله بن سلام هی اخر ساعة من یوم الجمعه وقال ابو هریرة کیف یکون اخر
ساعة وقد قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لا یصادفها عبد مسلم وهو
یصلی وتلک ساعة لا یصلی فیها فقال عبد الله بن سلام الم یقل رسول الله صلی
الله علیه وسلم من جلس مجلسا ینتظر الصلوة فهو فی صلوة وقال ابو هریرة بلی
قال فهو ذاک وقال انس رواه عن النبی علیه السلام التمسوا الساعة
التی ترجی فی یوم الجمعة بعد العصر الی غیبوبة الشمس وان قلت الساعة اذا کانت
بین جلوس الامام وبین صلوته لا تکون فی غیرها واجیب التوفیق بین الاحادیث
المذکورة قلنا ان صح جمیع الاحادیث تکون الساعة دائرة لکن فی اکثر الاحوال تکون
فی واحد من الاوقات المذکورة وان لم یکن دائرة تکون الی واقع من الاوقات
واحدها وتکون سبب الاختلاف عدم ضبط الرواه باب

السطف والسكر من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى
ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة اجر صيامها
وقيامها وفهم من هذا الحديث ان خطوة للجمعة افضل من صيام السنة وصلوتها
وهذا مخالف لقاعدة الاصول لان الصلوة افضل العبادات المعهودة بالاتفاق
والصوم اشرف من الخطوة للجمعة بالاتفاق ايضا بدرجات كثيرة فكيف يعادل
ثواب خطوة للجمعة ثواب الصلوة والصوم فضلا ان يساوي ثواب صلوة سنة
وصيامها فنقول وبالله التوفيق المراد من هذا الحديث التحريض على الشكر ببيان
فضله ثوابه بالوجه الابلغ لما عرفت بالنصوص القاطعة ان الصلوة والصوم
افضل من الشكر ويمكن ان يقال المضاف مقدر فمعناه مثل ثواب عمل سنة يؤتى
بامر بقوله اجر صيامها وقد عرفت انه لا يلزم من التشبيه المساواة في مقدار الثواب
ويمكن ان يقال لا يحتاج الى اخراج الحديث عن ظاهره لما عرفت ان سبب فضيلة الاعمال
وتضعف للثوابات قد يكون ذات العمل كالايمان والصلوة وقد يكون حال العامل
كاخلاصه وورعه وحضور قلبه ورقته وتضرعه واضطرابه وتوجهه بالكلية
وقد يكون شرف الوقت والمكان كوقت ليلة القدر ويوم عرفة ويوم الجمعة والثلث الاخير
من كل ليلة والكعبة وتربة رسول الله والمسجد الاقصى فلا يبعد ان يكون

ثواب العمل القليل اضعاف ثواب العمل الكثير بامر خارج عن ذات العمل بان يقع في محل
القبول والرضا بسبب ذلك الامر الخارج كما عرف بالحديث الصحيح ان من سامح في سعر
وسرا افلح مع جنايات عظيمة ومن قتل مائة رجل وندم عليه وتوجه الى قرية
ليسأل عالما فيها عن كفارة قتله ولم يصل اليها ومات في الطريق دخل الجنة
بواسطة ذلك الندم وان المرأة المعتادة بالزنا غفرت لاجل سقيها الكلب وان رجلا
غفر بسبب قطع غصن الشجرة في الطريق فان الله تعالى اخفى رضاه بين العبادات حتى
يواظب على جميعها ليحصل الرضا كما اخفى ليلة القدر بين ليالي رمضان وساعة
الاجابة بين اوقات يوم الجمعة ليشتغل بالعبادة في كل ليالي رمضان واوقات
الجمعة بالطاعة والدعاء واخفى ايضا سخطه بين المعاصي ليحترز عن كلها فعلى هذا
يجوز ان يقال وصل ثواب كل خطوة الى ثواب صلوة سنة وصيامها بامر خارج
عن ذات الخطوة من عادة صدق المبتكر واخلاصه وتحريض الغير على الاغتسال
والبكور فيكون ذلك سببا لغاية القبول وكمال الرضا فان رضا الله تعالى اعظم الاسباب
في تضعيف المثوبات ورفع الدرجات كما قال الله تعالى ورضوان من الله اكبر هذا
على تقدير ان لا يوجد ذلك المفضل والمضعف في صيام السنة وقيامها فان بلغ
ذات الصلوة والصوم بمقتضى الاضعاف لفضيلتهما الذاتية فكيف يرجح الاضعاف

الراجعة الى امر خارج على الاضعاف الراجعة الى الذات قلنا قد عرفت ان رضا
الله اعظم الاسباب المفضلة فيجوز ان يحصل باعتبار الامر الخارج ولا يغفل عن
التكثر فانها يعينك على التشويق والتحرز في ترتب الوعيدات والتغليظات
على ادنى المعاصي والوعد بالدرجات والمبالغات في اقل العبادات فان قلت
لم لم تلك التكثر في تحصيل اجر الذكر بعد الفجر واجر صلوة الضحى فيه قلنا لان
ذلك التوجيه احتمال عقلي ولا نصار الى مثله الا للضرورة والتدرج كما في القضايا
المذكورة وقد عرفت ان الغرض بذكر المحتملات المتقاربة في الظاهر تشحيذ الاذهان
وتعليم طريق التاويل لهذا الكلام وان تعرف ان التاويل الاقرب فيه وفي هذا ما هو الاولى
واختلف الشارحون في معنى غسل واغتسل وبكر وابتكر والاحسن ان يكون معنى اغتسل
واستكثر باشر في الغسل والتبكير ومعنى غسل وبكر حرض غيره على الغسل والتبكير حتى
يتصف بالشفقة والرحمة على خلق الله والامر بالمعروف والعمل بما علمه والتعليم به
فلعل بعض السبب لفضيلة الخطوة تلك الشفقة والامر وقال عليه السلام عقيب
هذا الحديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم فان قلت
التخطي صغيرة تمحى باداء الفرائض فلا يعاقب عليها لما ثبت في اصول الشرع ذلك فان
من صلى الجمعة يحاسب قلنا معناه اتخذ جسرا ان لم يمنع مانع كالماحي

كالحسنة والتوبة والشفاعة وقد عرفت ان المعصية من حيث هي مخالفة
للملك الجبار لا صغيرة فيها وان سخط الله يكون بكل المعاصي وقول العلماء الصغيرة
تمحى بالفرائض والكبيرة تمحى بالتوبة لا يدل على الوجوب بل معناه ان المفهوم
من ظواهر النصوص الشرعية ذلك وقد ثبت ايضا بالحديث الصحيح حصول العقاب
العظيم على بعض الصغائر والنجاة عن العذاب الاليم باقل العبادات كما اشار النبي
المختار صلى الله عليه وعلى آله الا ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي
لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها
بالا يهوي بها في جهنم ابعد ما بين المشرق والمغرب وقال عليه السلام ما من مسلمين
يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما والظاهر ان قوله اتخذ جسرا للتحذير والمنع من
تخطي الناس بوجه بليغ وتخصيص اتخذ جسرا من بين التمثيلات الراجحة ليكون مناسبا
للمقام **باب صلوة الخوف** عن يزيد بن رومان عن صالح بن
خوات عمن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلوة الخوف
ان طائفة صفت مع رسول الله وطائفة تجاه العدو فصلى
بالطائفة التي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو
وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلوته ثم ثبت جالسا واتموا

لانفسهم ثم سلم بهم وروى القاسم عن صالح بن خوات عن سهل بن ابي حثمة عن النبي عليه السلام
ذلك الحديث ايضا وقال جابر رضي الله عنه اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اذا كنا بذات الرقاع فنودي بالصلوة فصلى بطائفة ركعتين ثم تاخروا وصلى
بطائفة اخرى ركعتين اخريين فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم اربع ركعات
وللقوم ركعتان فان قيل في ظاهر الحديثين تدافع لان احد الحديثين يدل على انه
عليه السلام صلى ركعة واحدة مع طائفة وركعة اخرى مع الطائفة الاخرى والحديث
الاخر يدل على انه عليه السلام صلى مع كل طائفة ركعتين مع ان الموضع واحد والرواة
عدول قلنا يمكن ان يقال يجوز ان يصلي النبي عليه السلام صلوة الخوف في موضع
واحد مرتين على حسب اقتضاء الوقت بان تكون احدى الصلوتين صلوة الفجر
والاخرى ذوات اربع ركعات او تكون احديهما في مدة السفر والاخرى في الحضر
فيندفع بذلك الوجه التدافع الظاهري ويجوز ان يكون الموضع متعددا لان بعض
الناس قالوا سمي تلك الغزوة بذات الرقاع لوقوع المقاتلة في موضع الوان ترابه مختلفة
وقال بعضهم سميت بها للف بعض الغزاة رجليهم بخرق والخرقات رقاعها وكلاهما
يحتمل ان يكون في بعض الغزوات لكن الظاهر ان يكون الموضعان مختلفين
بعدما صح الحديثان

باب صلوة الكسوف

روت عائشة رضي الله عنها ان النبي عليه السلام صلى صلوة الكسوف ركعتين
باربع ركوعات وروى علي رضي الله عنه انه صلاها بثمان ركوعات وروي
سمرة انه صلاها باربع ركوعات ولم يجهر بالقراءة فيهما فان قلت كيف التوفيق بين الاحاديث
المذكورة مع ان الحنفية يقولون صلاها بركوعين قلنا يمكن ان يدفع التعارض
الظاهري بينها بحسب اختلاف الوقت بان صلاها في بعض الوقت بركوعين وفي
بعضه باكثر منهما وان اتفق الرواة على ان الوقت واحد يدفع التعارض بان نقول
صلاها بركوعين على الاصل لكن لما طال الركوع فيهما خلاف ساير الركوعات
في الصلوة رفع بعض المقتدين راسه عن الركوع بعد ركوع على الوجه المعتاد ظنا
بانه عليه السلام رفع راسه عن الركوع فلما اطلع على انه عليه السلام لم يرفع
راسه عن الركوع ركع مرة اخرى فلما راى من خلفه هذا الراكع مرة اخرى ظن انه
تابع رسول الله في تكرار الركوع فركع كذلك الرائي ثانيا ثم اخبر الناس بان
رسول الله ركع في ركعة واحدة ركوعين وكذا ثالثا ورابعا ثم اخبر بانه عليه السلام
ركع اربع ركوعات في ركعة واحدة وان اتفق الرواة على انهم خلف رسول
الله في الصف الاول لكن قال بعضهم ركع ركوعا واحدا في ركعة واحدة وقال بعضهم
ركع اكثر من واحد نقول يجوز ان يركع في ركعة واحدة ركوعا واحدا وفي ركعة

أكثرية فيكون اختلاف الروايات بذلك لا غيره وان وقع اختلافهم في جميع الركعات
في زمان واحد يقول فيه ان الراوي اخطأ او نسي لما عرفت ان ذلك لا يتصور في ركعة
واحدة في وقت واحد فيعمل في مثلها بما يناسب القواعد الشرعية وترك الباقي
وانما تعرضنا لهذه التأويلات المذكورة لدفع شبهة المبتدعين في كلام رسول الله وبردهم
وبحرهم حتى لا يقع في قلوبهم وسوسة شيطانية ونزعة نفسانية

باب سجود الشكر

عن عامر بن سعد عن ابيه قال خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مكة نريد المدينة فلما كنا قريبا من عزوزا نزل ثم رفع يديه فدعا الله
ساعة ثم خر ساجدا قال اني سألت ربي وشفعت لامتي فاعطاني ثلث امتي فخررت ساجدا
لربي شكرا ثم رفعت رأسي فسألت ربي لامتي فاعطاني ثلث امتي فخررت ساجدا لربي
شكرا ثم رفعت رأسي فسألت ربي لامتي فاعطاني الثلث الآخر فخررت ساجدا لربي قال
بعض الشراح ليس معنى الحديث انه تعالى غفر جميع امته بحيث لا يصيبهم النار لان هذا مناقض
لكثير الآيات والاحاديث الواردة في تعذيب العصاة من امته بل معناه انه عليه السلام
سأل ربه تعالى ان لا يستأصل امته بالخسف والمسخ والغرق والحرق كما في الامم الماضية
او لا يخلدهم في النار بل يخرج من النار من مات منهم على الاسلام وهذا توجيه حسن
ويوفق بين النصوص الشرعية ويمكن ايضا ان تعالى قد اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في ذلك السفر على نزول بلية عظيمة من السماء فنزل ودعا وسعى وبالغ في الدعا
لدفع هذه البلية عن جميع امته فاستجاب الله دعاءه فاخبر بذلك رفقاءه واصحابه
اظهارا للنعمة وشكرا لتلك النعمة كما حكت ام سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت استيقظ ليلة فزعا يقول سبحان الله ماذا انزل الليلة من الخزائن وماذا انزل
من الفتن من يوقظ صواحب الحجرات يريد ازواجه لكي يصلين رب كاسية في
الدنيا عارية في الآخرة ويحتمل ان يراد من امتي الخواص الذين يسعون في جميع الامور
الشرعية كما قال النبي عليه السلام امتي امة مرحومة ليس لها عذاب في الآخرة لكن الكلام
باق بعد

باب عيادة المريض وثواب المرض

سئلت عائشة عن قول الله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به
الله وعن قول الله تعالى من يعمل سوءا يجز به فقالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد
قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من
الكير قال المظهر المعاتبة جريان العتاب بين الصديقين مع انه في قلبه محبته
وليس المراد منه ان جميع ذنوبه يكفر بالمكاره والامراض بل يذهب بعضها بها فيكون
معنى قول عائشة رضي الله عنها شأن ليس معنى الآيات المجازاة لا يكون الا بعذاب

الاخرة حتى يلزم منه ان لا يعاقب في الآخرة بل كثير من ذنوب المؤمنين يمحى ويكفر
بمصائب الدنيا ويمكن ان يقال لما كان الغالب تكفير ذنوب المؤمنين بالامراض كما
اشار اليه النبي عليه السلام بقوله المؤمن كالخامة والمنافق كالارزة قال حتى يخرج العبد
من ذنوبه نظرا الى الغالب او المراد من العبد العبد المؤمن الكامل المعروف ان الذنوب
لا تمحى بدون الصبر على البلاء والمؤمن الصابر عند البلاء يكون كامل الايمان محكم
الايقان فيكون دينه صافيا اذ لو وقع منه كثرة سيئات يكفرها سريعا بالتوبة والاستحلال
والمراد من قوله وان تبدوا ومن يعمل بعض المؤمنين من بين الزوال والبقاء
ايضا حتى يأتي الحديث بتفسير الآية والمراد من قوله او يخفوه عزم القلب واستمراره
على المعصية لان ابتداء الخواطر غير مقدور فلا يحاسب عليه وانت تعرف الفرق
بين توجيه المظهر وتوجيه المضمر فاخترنا منهما ما يقارب التحقيق عن سعد سئل
النبي عليه السلام اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه
رقة هون عليه فما زال كذلك حتى يمشي على الارض ما له ذنب وقال عليه السلام اذا اراد
الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه
بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى

اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال لا يزال البلاء
بالمؤمن او المؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة وقال
ان العبد اذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها ابتلاه الله في جسده او في ماله او في ولده
ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله فان قلت كم مؤمن ولي لم يعجل
لعقوبته ولم يشتد بلاؤه بل لم يصبه البلاء فيلزم منه ان لا يريد الله به خيرا ويلقى
بخطيئته وان لا يحبه وان لا يكون صلبا في دينه وليس كذلك وكم من فاسق فاجر
اشتد بلاؤه من جهة المرض وضياع المال وموت الولد فيلزم منه كونه محبوبا عند الله
ويمحو جميع خطاياه وليس كذلك ولم اجد في الشروح التي وصل اليها مطالعتي
هذا السؤال الصعب الظاهر الورود فكتبت جوابها بقولي وبالله التوفيق لنا وبيده الكلام
الوثيق ليس المراد من البلاء الشر والشدة والضر والعقوبة بل هو شامل للنفع والضر
كما قال الله ونبلوهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ونبلوكم بالشر والخير
فتنة والينا ترجعون لكن المراد من البلاء هنا ما يتألم المؤمن منه بقرينة السياق لان
العبد اذا ادعى مقامه فهو في صحوته بوقفه وطاعته ورعايته متصاعدة وكذلك الكبير
فلحسنات الابرار سيئات المقربين فان الانبياء يعاتبون بسبب صدد على السهو والنسيان
والزلة والخطأ لان الاجر على انبيائها احسارى ولا يؤاخذ به غيرهم وقد عرفت

ان مقام القوي غير مقام الضعيف والانبياء في اعلى مقامات القوي فيكون الانبياء
اشد الناس بلاء ثم اشد الناس بلاء الاولياء بالنسبة الى العوام وقد عرفت ان ما يخالف
النفس سالم من كسر ... قال النبي عليه السلام اعطاء سراج المؤمن مصيبة
واذا كان كذلك فمن كان صلبا في دينه اشد بلاء من جهة مخالفة النفس والشيطان
ومجاهدتهما ومنع دواعيهما ومن جهة الدنيا واهلها ومن جهة رؤية المنكرات
منهم او معرفتها وسماعها فانه لا يتمالك على نفسه لقوة ايمانه وينهى الناس عن المنكرات
فيكون ذلك سببا الى عداوتهم وسبهم وطعنهم في حقه بل الى ضربه وجرحه وقتله
وهذه شدة عظيمة ومصيبة مستمرة وبلية متنوعة ولذا قال عليه السلام الدنيا
سجن المؤمن والفاجر لا يتأذى منها لموافقته لنفسه وشيطانه والمداهنة برؤية
المنكرات وسماعها بل بمباشرتها وفعلها ومصائب الدنيا قليلة سهلة بالنسبة
الى مصائب المؤمن من تلك الاشياء فان قلت قوله تحمل العقوبة وقوله في نفسه
وماله وولده وقوله ابتلاه الله في جسده وماله يدل على ان المراد من البلاء المصيبة
والمرض الواصلة الى النفس والمال والاولاد لا الابتلاء بتكاليف الاوامر والنواهي قلنا
هذا لا ينافي ان يكون المراد من البلاء فيما سوى ما ذكرنا وفي المواضع المذكورة
المصائب الدنيوية فالمعنى على هذا ان الولي والنبي والمؤمن الصالح اذا ابتلي يكون بلاؤه

مشتدا بالنسبة الى غيرهم لان بلاءهم لرفع درجتهم وشدة البلاء يكون سببا
لقوة الرغبة وهم يستحقون بها ومن لم يكن صلبا هونه وقل بلاؤه لانه غير مستحق
لما مع الدرجات فيكون بسبب ابتلائه وتحمل العقوبة بسبب الجزع والرغبة ايضا واسبا كم
وما جرى بسبب الشر بالنسبة الى فوت رفع الدرجة وذهاب الذنب بسبب تحمل العقوبة
كما ان هوان البلية صار سببا لعدم زوال الذنب بسبب شدة البلية ولا يلزم منه ان لا
يوجد فيهم جزع ورغبة وذهاب ذنب من جهة اخرى لعدم انحصار اسباب الجزع
والرغبة في شدة البلية وتحمل العقوبة وبحدوث المصيبة اذ يجوز ان يجتهدوا
في طاعة الله وتكميلها بنوع بدنهم وصحتهم وشكر نعمتهم ويصلوا بذلك الى مرتبة الشاكرين
وان فات عنهم رفعة الصابرين ويذهب بسبب تلك العبادة ذنوبهم لان الحسنات يمحو السيئات
ويرشد الى ذلك قوله عليه السلام ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وقوله اذا سبقت للعبد
من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده او في ماله او في ولده ثم صبره على ذلك
حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى مع ان قوله فان كان في دينه صلبا وقوله
اذا اراد الله بعبد خيرا وقوله اذا احب قوما ابتلاهم ولا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة
قضايا جزئية فلا يلزم منه العكس الكلي بطريق عكس النقيض حتى يلزم المحذور
المذكور والعكس اللغوي لا يضرنا لان بعض من لم يشتد بلاؤه ولم يتحمل عقوبة لا يكون

محو باعد الله ولم يذهب بسرقان على قوله واذا اراد الله بعبد الشر امسك
عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيمة يدل على ان ذنبه لا يزول ولا يدون العقوبة
فلما التبس كذلك لما عرفت من النصوص الشرعية القاطعة فى تكفير البلايا ما سوى
العقوبة والبلايا من الحسنات والعفو والشفاعة والتوبة فهو قرينة مخرجة لهذا الكلام
عن ظاهره فالمراد حتى يوافيه بذنبه لم يذهب بجهة اخرى من الاسباب وليس المراد
ايضا من قوله حتى يمشى على الارض ما له ذنب وحتى يلقى الله وما عليه من خطيئة ظاهره
لما عرفت النصوص القاطعة ان حقوق العباد والمظالم وترك الفرائض لا يرتفع
بل الكبائر مطلقا لا تذهب بالبلايا وشرح العقوبة فى الدنيا فيكون المراد من الذنب
والخطيئة الصغائر او المعصية الحاصلة من الكبر والعجب وعلى هذا فالنفس تفوق الذنب وتيسر
النفس للامان او المراد لا يلزم الذهاب وهو التحريض على الصبر على البلايا لنيل الرفعة
المتوسطة فالفاجر المصاب بالبلايا ما ويحمل العقوبة لا يكون صلبا فى دينه
ومحو باعد الله وذاهبا خطاياه لان ذلك مشروط بالصبر لقوله عليه السلام
ثم صبر على ذلك فلو صبر لا يستعد ان يكون صلبا ومحبوبا وذاهبا بعض خطاياه
من جهة الصبر على البلايا وان كان مسوفا ومستغرقا فى المعصية من الجهة
الاخرى ويمكن ان يقال يمكن ان يجرى قوله حتى يمشى على الارض ما له ذنب وقوله فى

رضى به فله الرضا وقوله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة على ظاهره
فان المؤمن اذا صبر على البلايا الشديدة وانكسر قلبه يرجع الى ربه بخضوع
القلب والتضرع والاخلاص وفراغ البال وصفاء الحال فيشعر ويسود عن
جميع معاصيه ويتدارك فى نفسه اثر رد المظالم واستحلالها ان وجدت
واداء الفرائض ان فاتت فيزول جميع خطاياه وقوله ثم صبر على ذلك حتى
يبلغه المنزلة التى سبقت له من الله ان المؤمن الصابر على البلايا والعقوبات
لا يوجد فيه المظالم والكبائر غالبا فاخرج الكلام على ذلك الامر الغالب لما
عرفت ان صدور كلام الشارع على الحكم الغالب غالبا لان مقام الوعد
والخطابة غير مقام الجدل والمناظرة واذا تاملت بالنظر الصائب والفكر الثاقب
عرفت ان العبارات فى النصوص الشرعية على خلاف العبارات فى
الفنون الفلسفية فلا يحك فى صدرك ما لا ينعكس ولا يطرد مطلقا
فلتكن ما اسلفت من الضوابط وما سالحقها ان شاء الله فى المواضع المناسبة
على ذكر منك وحفظ فى قلبك حتى ينتفى بها عن التردد فى مثل هذه
المواضع ولا يترك عقدتك فيها بالتوابع النفاسة **باب**
تمنى الموت عن عبادة بن الصامت قال النبى عليه السلام من احب لقاء

الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه والموت قبل لقاء الله
فقالت عائشة انا لنكره الموت يا رسول الله قال عليه السلام ليس
ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بُشّر برضوان الله وكرامته
فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر
اذا حضره بُشّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره
لقاء الله وكره الله لقاءه وقد جاء هذا الحديث في اكثر المواضع مختصرا
[illegible] من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وزعم
بعض الشراح ان المراد من لقاء الله الموت واعترض بان الموت يكرهه كل
احد حتى الانبياء وقال [illegible] قبل الاطلاع على شأن النبي عليه السلام
مراده بقوله والموت قبل لقاء الله ان المراد من المحبة والكراهة المحبة والكراهة
الاختياريتان لا الطبيعيتان لان طبيعة كل احد تنفر من الموت بالجبلة
ولا اثم فيه لكن الموت لما كان سببا للقاء المحبوب ونيل المطلوب من دون الله
تع وانواع العز والكرامة عنده واصناف اللذات الروحانية والجسمانية
الكاملة الابدية يحبه الاولياء والانبياء ويكرهه الفجار والاشقياء كما اشير
اليه بقوله تع قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ

دون الله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
والله عليم بالظالمين فالمراد من الحديث على ما بينه النبي عليه السلام
ان المؤمن المتقي يحب لقاء الله باحسانه عند حضور الموت لبشارة الملائكة
برضوان الله كما قال الله تع تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون لان المقام الاعلى والمنزل الرفيع مخصوصة للمطيعين
المتقين عند الله تع ومحبة المتقي لقاء الله تع لاجل رؤية ذلك المقام الرفيع
عند قرب الموت فان قلت سلمنا ذلك لكن محبة المؤمن لقاء الله لا تستلزم ولا يكون
سببا لمحبة الله فكيف قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه قلنا المضاف في الجزاء
مقدر وهو ظهور محبة الله له او معرفته اياه لان من احب لقاء الله يواظب على طاعة
الله تع فيكون ذلك سببا لظهور محبة الله اياه ومعرفته ببشارة الملائكة
برضوان الله تع واعلم ايها المستدل انك اذا لم تجد استلزام الشرط والسببية للجزاء
فلتتأمل فيه ولتعلم ان الجزاء في الحقيقة لا جزاء بل قام مقام الجزاء لانه سبب او
ملزومه او اثره ودليله او فائدته او متعلقه واستنبط من هاهنا ما يناسب
المقام لما عرفت ان الاطلاع على ان المراد من الكلام غير متعسر وظاهر لمن له
عقل او عرفه وعادته سهل لكن الشان في تعيين معنى مناسب للمقام من المعاني

المجاز به اذ لو تعددت واحتمل الكلام لكل واحد منها ولا تفصيل عنه

باب المشي بالجنازة والصلوة عليها

قال النبي عليه السلام ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا
يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله تعالى فيه وقال ما من ميت تصلي عليه امة
من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه وقال انس مرّوا بجنازة
فاثنوا عليه خيرا فقال عليه السلام وجبت ثم مروا باخرى فاثنوا عليها شرا فقال
وجبت فقال عمر ما وجبت قال هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه
شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله في الارض وفي رواية المومنون شهداء الله في
الارض وقال عمر رضي الله عنه قال النبي عليه السلام ايما مسلم شهد له اربعة بخير
ادخله الجنة فقلنا وثلثة قال وثلثة قلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد
فان قلت قوله عليه السلام يبلغون مائة يدل بظاهره على ان شفاعة من دون
المائة لا تفيد هذه الفائدة والا لا يكون في تخصيص المائة فائدة وقوله اربعون
رجلا يدل على ان من دونه لا يفيد تلك الفائدة وقوله عليه السلام وجبت
يدل على ان ثناء المؤمنين وشهادتهم يوجب دخول الجنة وليس كذلك
قلنا قد ظهر جواب هذه الاعتراضات عن الضوابط التي ذكرناها لكن لما كان

تفصيلها وتنبيها عونا للمستدين فصلنا في كل موضع ما يناسبه للتأكيد
والتقرير والتوضيح والتحرير فنقول حديث الاربعين لو كان متأخرا يكون الحط
لزيادة رتبة نبينا عليه السلام لزيادة فضل الله ورحمته عليه يوما فيوما فيكون
دعاء الاربعين سببا لشفاعة المسلم المومن بعد كون دعاء المائة سبب شفاعة
ولو لم يكن متأخرا يجوز ان يكون المراد من الاعداد الجملة كثرة الجماعة المصلين
على الميت كما يطلق السبعون والمائة ويراد الكثرة لا الحصر وهو قول المائة
لا ينافي الاربعين كما لم ينافي شهادة الاربعة دخول الجنة كون الثلثة والاثنين
سببا ايضا اذ يجوز ان يكون الاسباب الموجبة متعددة وحصل كل واحد
بالذكر لاقتضاء المقام ذلك وقوله وجبت لا يدل على الوجوب الذاتي كما
زعمت المعتزلة بل المراد منه الوجوب الوعدي كما قال الله تعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار وقال تعالى وبشر
الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار
وقال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقال تعالى افنجعل
المسلمين كالمجرمين ام نجعل المتقين كالفجار وخلف الوعد والوعيد
محال فان قلت شهادة المؤمنين بطاعة الميت وهواه او على معصيته وهواه لا يفيد

على الوقوع فكيف يلزم الوجوب الوعدي من شهادتهم قلنا العاصي يحكم بشهادة
العدلين على القطع لوجوب الحكم عند اقامة الحجة مع ان الحاكم هنا من يأبى بشهود السوء
والعدوان او نقول اكرم بان كلام الشارع باعتبار الغالب واللائق بحال الصحابة
ان تكون شهادتهم مطابقة للواقع او نقول معناه وجبت ان كان الواقع ما ذكرتم

باب البكاء على الميت

قال ابن عمر اتى النبي عم
لعيادة سعد بن عبادة مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وعبد
الله بن مسعود فلما دخل وجده في غاشية فبكى فبكى القوم معه فقال
النبي عليه السلام الا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب
ولكن يعذب بهذا واشار الى لسانه او يرحم وان الميت ليعذب ببكاء اهله
عليه فان قلت عذاب الميت ببكاء الاهل مخالف لقواعد الشرع لان العذاب يكون
بمباشرة المكلف في المعاصي او بكونه سببا لمباشرتها ولم يوجد في الميت احدهما
قلنا اجاب الشراح عن هذا السؤال باجوبة قال بعضهم قالت عائشة في هذا الحديث
سمع ابن عمر هذا الحديث ولم يحفظ القصة لان قصته ان جنازة يهودي مرت
على رسول الله وقومه يبكون فقال عليه السلام انهم يبكون وانه ليعذب وقالت
حسبكم القرآن ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الخطابي هذا الحديث مخصوص

بميت وجب عليه العذاب فالمعنى ليعذب عند بكاء اهله فيكون بكاء اهله حالا
وقال بعضهم المراد من الميت من قرب موته فانه يتألم ببكاء اهله في سكرات الموت
قال المظهر هذا ضعيف لما ثبت في حديث آخر انه ليعذب في قبره ويمكن ان يقال
يحتمل ان يكون الميت يعذب في قبره ببكاء اهله ويتألم عند الموت ايضا ببكاء
اهله ولا يمنع احدهما الآخر وقال بعضهم يعذب من وصى بالبكاء عليه لانهم يوصون
بالبكاء عليهم حولا كاملا وقال بعضهم يعذب لكونه راضيا بالبكاء عليه
لانهم يبكون حولا كاملا واكثر ويجتمعون عليه ويتكلمون فيه كلاما مخالفا
للشرع واعلم ان سوق الكلام من قصة العيادة والبكاء يدل على ان المراد بالميت
من تشارف الموت ومن العذاب تألمه بسماع الصياح والعويل عليه كما هو عادة اهل
والاقارب عند مشارفة الموت ويحتمل ان يراد من الميت ما هو الجسم والعذاب
تألمه ايضا من بكاء الباكين على مقبرته على وجه غير مشروع لان نفس الميت مؤمنا
كان او كافرا يعرف الزوار وغيرهم كما قال النبي عليه السلام في بدر لجيف
الكفار الملقاة في البئر انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا وقال بعض الصحابة يا رسول الله وهذا جيف الموتى وقال النبي عليه السلام
وهذا اعرف منكم لكن لم يؤذن لهم في الكلام ولا بعد في ذلك لان النفس اذا

تخلصت عن العوائق الجسمانية تصفوا وتقوى على ادراكها لكن سنة الله جرت على ان
يكون تكلمهم بواسطة اللسان على حسب العادة ولو اريد خرق العادة يتكلم بدونه
ويحتمل ايضا ان يسمع رسول الله كلام اهل الميت الفاخر من ندبتهم ومرثيتهم بتعداد افعاله
السيئة واحلاقه المذمومة كالنهب والكبر والعادة والقتل والعلية بوجه غير مشروع زاعمين
[الميت] انها مدح وفضيلة لهم فقال ان الميت ليعذب ببكاء اهله يعني ان اهل الميت يعدون
سيئاته من الفضائل والكمالات مع ان الميت يعذب بسبب تلك الافعال والخصال
المذمومة في الشريعة فهذا من اسباب البلاغة وطرائق الرمز والدقة لينهيهم منه المنع عن البكاء
والندبة على خلاف الشريعة وهذا ايضا اذا لم يكن واه الميت من قبيل العبادة
فتامل في التوجيهات المذكورة واخترتها ما ناسب المقام وقال النبي عليه السلام لا يموت
لمسلم ثلثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم وقال النبي عليه السلام لنسوة من الانصار
لا يموت لاحدكن ثلثة من الولد فيحتسبه الا دخلت الجنة فقالت امراة او اثنان يا رسول الله قال
او اثنان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من
اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة فان قلت يجوز موت اكثر من الولد وموت الثلث
لا يوجب دخول الجنة لو الديه ربما يكون عليهما مظالم او ترك الفرائض قلنا معنى
[يوجب] الحديث ان صبر الوالدين على تلك المصيبة يكون سببا لدخول الجنة لو لم يفعلا ما
دخول النار ولما عرفت ان كل عبادة من شانه ان يكون سببا لدخول الجنة ان لم يعارضه
معارض من المعاصي كما ان كل معصية من شانها ان يكون سببا لدخول النار ان لم
يوجد المانع والماحي وتخصيص بعض الطاعات بكونه سببا لدخول الجنة او
لوصول القربة والرفعة على الاطلاق من غير ضم باقي الطاعات والاجتناب
عن السيئات في بعض المواضع للتحريص عليه نظرا الى وضع والمنع ولذا تخصيص بعض
المعاصي بكونه سببا لدخول النار وللعقاب العظيم من غير قيد عدم الماحي من فضل
الحسنة الساترة او العفو والشفاعة للزجر عنه اذ يكانه يوجد بليغ لان الفوز بدخول
الجنة والوصول من اعلى المطالب واعظم المآرب فيجتهد كل عاقل في تحصيل سببه [والوقوع]
في شدائد جهنم والعقابات للنار من اهول المزاجر والمضار فيحترس كل عارف
عن سببه تعالى الاحتياط والتوفيق لعلمه تعالى بضعفه وعدم طاقته عليه وكذلك
التكثير والد فهم قال النبي عليه السلام عند بناء القوم على مدح الجنة لو
وعد ذكر ثوابه ومعاصيه وجب له النار لان ذلك الكلام البليغ ابلغ
في التحريص على مواظبة العبادة والزجر عن ارتكاب المعصية ولا تغفل عن مثل تلك
الرموز ان كنت من اهل الفكرة وارباب الدقة ويجوز ان يراد من دخول الجنة
بالصبر على المصيبة الدخول ولو كان بعد عذاب بمقدار معصيته فتامل فيه

بالنظر الدقيق يطلع على التحقيق وقد عرفت في فوائد التخصيص المفصل والتدقيق
فلا يحتاج الى الاعادة اذ العاقل تكفيه الاشارة والغافل لا ينفعه تكثير العبارات
واختلف الشراح في قوله لا تحلة القسم قيل معناه لا يدخل النار الا مقدار تحلة القسم
اي لا يدخلها الا زمانا قليلا لانه مما لا يريد قصدا وسوء عنه لكن حلف على قصد
لا يسع فيه لك الفعل الا مقدار ما يحصل به التخلص عن الحنث وهو لا يكون الا في زمان
قليل وقيل ان الله تعالى قسم على فرد كل الناس جميعهم بقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا وبقوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا على ان يكون القسم مقدرا قيل قوله تعالى وان منكم ويكون المعنى لن يلج احد الا
على قسم الله اولا لتحلة قسمه وقيل في تقدير القسم خروج عن الظاهر بدون الضرورة
مع ان الاية لا تدل على الدخول وعدم الدخول في الحصول حول جهنم لما هو الورود
ايضا لا يدل عليه كما قال الله تعالى في حق موسى ولما ورد ماء مدين ولم يدخل
موسى مدين فيكون التوجيه الاول اولى ويجوز ان يكون التوجيه الثاني مستقيما
بان لا يراد من قوله عليه السلام الا تحلة القسم الدخول كما لم يرد من الاية
فمعناه لا يلج النار بل يحضر من ترك المقربين مع ان المحلوف عليه لا يجب ان يكون
في كل صورة فعلا منكرا ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا اي لكن تحلة القسم

يوجد

باب زيارة القبور

عن بريدة انه قال قال النبي عم
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ونهيتكم عن لحوم الاضاحي فوق ثلاثة
ايام فامسكوا ما بدا لكم ونهيتكم عن النبيذ الا في سقاء فاشربوا في الاسقية
كلها ولا تشربوا مسكرا فهذا دليل ظاهر على ان الحديثين اذا تعارضا ينبغي ان يجعل
احدهما ناسخا اذا علم التاريخ

باب من لا تحل له المسألة ومن تحل

قال النبي عم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في
وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال
خمسون درهما او قيمتها من الذهب وسأل البعض عما يغنيه في موضع
آخر فاجاب بقوله قدر ما يغديه ويعشيه وفي رواية شبع ليلة ويوم وفي
رواية من سأل منكم وله اوقية او عدلها فقد سأل الحافا وقال المسألة لا تحل لغني
ولا لذي مرة سوي الا لذي فقر مدقع او غرم مفظع وقال من اصابته فاقة فانزلها
بالناس لم تسد فاقته ومن انزلها بالله اوشك الله له بالغنى اما بموت عاجل او غنى
عاجل فان سألت عن جواب دافع للتعارض الظاهري المفهوم من الاحاديث فقد اضنيت
ما نفسك عن جوابه ولم يجد لكن لا باس لنا في ان نشرع في تفصيله وتحريره
فنقول اذا علم بان حد الاوقية والخمسين يكون ذلك بسبب المادة ونهيا للتوسعة

والرفق والا تدفع التعارض ببيان اختلاف الجهة بان يكون من حصل لسؤال الفقير
الصابر المتوكل فوات ما تعذر وتعسر ووصول الغرم المقطع والعيش
المدقع وللعامي المترف الذي يشوش خاطره فوات الاوقية وخمسين درهما
فواتهما وهذا الا سلوك كمثني في علم الحديث يعرفه المتدرب فيه وقوله عليه السلام
من اصابه فاقة الحديث يحض ويرشد الى سلوك سبيل التوكل والتعفف
لان ذلك عزيمة واصل وكمال ووصل فان حل فيه سد الفقر والفاقة لكثير من الناس
سؤاله وعرض فقره على الاغنياء الكرماء المتصدقين ولم يسد فقر كثير من المتعففين
المتوكلين بل بات على الفقر والضر وح قلنا المراد من الفقر والفاقة فقر القلب
اعتاد السؤال وعرض فقره على الناس للطمع في اموالهم يغلب عليه حرصه ولا
يشبع قلبه وان كان ماله اكثر من مال المسؤول ومن يتعفف واختار القناعة
وتوكل على الله غني قلبه وانقطع حرصه فهو غني القلب او يصل الى المطلوب او يعف
تعلمه ويتوكل على الله حق توكله فالمحروم من العطية هو المتعفف الصوري كما
يشاهد ان بعض اكثر المتعففين والمتوكلين املاقي وسع ولذا قال او يموت عاجلا
او غنى عاجل والموت العاجل يكون بعض الملك ايضا

باب الانفاق وكراهية الامساك

قال النبي عليه السلام ما من يوم يصبح العباد
فيه الا ملكان ينزلان فيقول لاحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر
اللهم اعط ممسكا تلفا فان قلت كم من ممسك لا يتلف ماله بل يتوارثونه قرونا
الى ان يموت وكم من منفق لا يحصل له خلف بل يموت بالفقر قلنا قد عرفت ان اكثر الاحاديث
صادر باعتبار الغالب فما نظرت الى العاقبة الا من يكون الامر على ما دل عليه الحديث
في الغالب او نقول المراد من الخلف بدل الفاني بالباقي وهو الثواب المؤبد والنعيم
المخلد فنعم الخلف ذلك والمراد من التلف الحرمان عن ذلك الخلف المفضل.
والمؤبد كما قال الله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وللآخرة خير
وابقى او نقول المراد من دعاء الملكين التحريض على الصدقة والتنفير عن الامساك
فلا يلزم من دعائهما وقوع الخلف والتلف لا كان استجابة دعائهما عن واحد ويمكن
ان يقال المراد من دعائهما الدعاء الحالي وتخصيص النزول لبيان رفعة الملكين
وتخصيص الصباح لان داعية الجود والحرص يتجدد في كل صباح ولذا ذكر
في عامة الادعية اصبح وامسى كما قال النبي عم من اصبح واكبر همه الدنيا فليس
من الله في شيء والدعاء يتبع حصاره وقال عليه السلام من صلى اربعين صباحا
ومن تصور في الصباح دعاء الملكين فيه يقوى فيه داعية البر والاحسان
ويضعف داعية البخل والامساك لكن قد عرفت ان الخروج عن الظاهر موقوف

على اضاعة نوبة عمله او بعلته فوتها او حسد طاهر وسائر ادابه من الخلف
السوال الثاني الكامل في معاملة القليل الاول ومن السلف عن مثل لا تسع ارادة الطاعة
فالاولى ان لا نعد لعنة حتى تسمحات دعاء الملكين انما قام في الاجوبة وفي اخرالحها
وما وجدت في الشروح التي عندي مثل السوال المفصل وكذلك الجواب المفصل
قال النبي عليه السلام خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال النبي عم
لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال قال
النبي عم لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان فان قلت البخل وسوء الخلق لا يخرج
العبد من الايمان والخديعة والمنة لا يكونان سببا لحرمان عن الجنان قلنا قد عرفت
جواب مثل هذا السوال من الضوابط المذكورة والقواعد المسطورة من ان الكبائر
سوى كلمة الكفر لا يخرج العبد من الايمان عند جمهور المتكلمين من اهل السنة
فالمعنى لا يجتمعان في مؤمن كامل بان يكون السوء بين للتعظيم او في مؤمن عامل
بمقتضى ايمانه او من سائر المؤمنين ان لا يجتمعا في قلبه والمراد من العبد ايضا عبد كامل
او المعنى بان العبد المؤمن ان لا يجتمعا في قلبه او المراد بان عدم حلفهما الايمان
بالشح والبخل وسوء الخلق او المراد من النفي النهي والخب والخديعة والمنة بالصدقة
والاحسان والعبادة مقيسة من شانها انه لا يدخل المتصف بها الجنة

ما دام تبعتها في ذمته بان لا تمحا تلك الخصال بالتوبة والسماعة او العفو
والمغفرة او لا يدخل الجنة من اول الامر او المراد من عدم الدخول لا تزينة وطوق المنع
بوجه يليق عن الاتصاف بتلك الخصال المذمومة والتحريض على ازالتها ان تصف
بها والمعاصي المانعة عن دخول الجنة كثيرة ويحصل لك منها لا يسعها المقام
وقد عرف بعضها لتفاصيل فيه قال الامام المحقق التوربشتي المراد من ذلك اجتماع
الخصلتين فيه مع بلوغها النهاية بحيث لا ينفك عنهما لا ينفكان عنه وافراد البخل
وسوء الخلق بالذكر لزيادة شناعتهما واذا عرفت ان عدم الانفكاك لا يخرج المؤمن
عن ايمانه بالنصوص القاطعة فاخذ من الاجوبة ايسرها ثم يمكن ان يقال قد يؤدي
الامر الى الشقوة وسوء الخاتمة ولذلك قال لا يجتمعان لكن قد عرفت ان اخراج
الكلام على عمل الغالب على العالب في عرف الشرع

باب فضل الصدقة

قال النبي عليه السلام من اصبح منكم اليوم صائما قال
ابو بكر انا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قال ابو بكر انا قال فمن اطعم منكم اليوم مسكينا
قال ابو بكر انا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر انا فقال عليه السلام
ما اجتمعن في امرء الا دخل الجنة فان قلت كل واحد من تلك العبادات سبب لدخول
الجنة مع زيادة رفع الدرجات فما الفائدة في جعلها سببا مع قيد الاجتماع

فلما قد عرفنا ان كل عبادة من شانها ان تكون سببا لدخول الجنة انا لم يمنع مانع فان
الاسباب الشرعية يجوز ان تكون متعددة وان جعلناه سببا مع الاجتماع لا ينافي
سببية كل واحد على الانفراد فنقول فائدة الاجتماع ارادة طريق العمر لان ذلك
يدل على قوة الاجتناب وتعاضدها او نقول لما كان ابو بكر وسائر المخاطبين عند صدور
ذلك الحديث من اصحاب التقوى والمتزينين اكتفى بذكر دخول الجنة في التحريض ولم
يذكر فضائل الاجتماع من رفع الدرجات وكمال المثوبات لما عرفت ان المحتاج
الى المبالغة في الترغيب والترهيب والوعد والوعيد العوام والاغبياء واما
الفقهاء والفضلاء المتزينون والاتقياء بل خواص الخواص لا يعبدون لخوف النار
وطلب الجنة بل لمجرد توفية مواجب العبودية وتعظيم المعبود والربوبية فان قلت
فائدة الكلام لا يختص بالمخاطبين بزمن قوله عليه السلام ما اجتمعن في امرء قلنا
ليس كذلك لان البلغاء يوجبون رعاية مقتضى المقام والخطاب وان انتشر كلامهم
وسمعه بعد ذلك المقام كل سامع ولو سلم قلنا لما كان دخول الجنة مشتملا الى جميع
اللذات الروحانية والجسمانية والكمالات لم يبق ابهم في بيانها على دخول الجنة
كما سمع الناس يقولون عند الوصول الى اعلى المطالب واللذات واعظم المآرب
والمشتهيات دخلنا الجنة ولتلك النكتة قال النبي عليه السلام في بيان فضيلة

لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب له الف الف
الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وبنى له بيتا في الجنة
ولو لم يكن بيت من الجنة اعلى واكمل من تلك الفضائل لما ختمت بناء البيت بها قال
النبي عليه السلام غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على راس ركي يلهث كاد يقتله العطش
فنزعت خفها فاوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك وقال النبي عليه السلام
عذبت امراة في هرة امسكتها حتى ماتت من الجوع فلم تطعمها ولا ترسلها فتاكل من خشاش
الارض فان قلت فلعل امراة زانية يكون فيها كبائر كثيرة ولو لم يكن لكفى في عذابها امرأة
في الزنا خسيسة وان سقي الكلب حسنة قليلة وكيف محيت بها الكبائر وقد عرفت
انها لا تمحى الا بالتوبة وحبس الهرة من الصغائر فكيف كان سببا لدخول النار مع
ان المرأة الحابسة يجوز ان يكون لها عبادات كثيرة قلنا قد عرفت ان لا سبيل الى جواب مثل
هذا السؤال بان رضاء الله مكنون بين العبادات فاي عبادة حصل فيها رضاء الله
يكون تلك العبادة التي كالترياق الاكبر والاكسير الاحمر يمحو جميع المعاصي كبيرها وصغيرها
قليلها وكثيرها وسخطه ايضا مخفي بين المعاصي فان معصية يكون سببا للقهر والعذاب
لا يسلم واذا كان سببا لا ينفع بعد كثير من العبادات لصاحبها واعتبر بما قال ما به
نفس بدون الموجب مغفور بطلب التوبة وخاتمة هرة عذب بمخ الجنس المودي

الى موت هو وان كان نادرا حتى لا يقع في ورطة الامن بكثرة عباداتك وخوف
القنوط بغفران سيئاتك وما قال المتكلمون والفقهاء ان الصحيح مذهب دافع الروافض
واحسان الكبائر والكفار يحتاج الى التوبة والمظالم لا يدرك الا بالاداء او الاستحلال
نظرا الى النصوص الشرعية الواردة باعتبار الغالب لانك قد عرفت ايضا ان العبد اذا
حصل له رضى ربه الكريم ولو كان ذلك باسهل عبادات يحشر وينجى خصومه ويعفو
عن جرائمه ويدخله الجنة كما ان الملك الجبار والغفور القهار اذا غضب على عبد ولو
كان ذلك بادنى المعاصي يقهره ويدخله النار ولا ينجيه كثرة عباداته فهو الرؤوف
الكلب حتى سقى الكلب اذا وقع في محل الرضا والقبول من جهة الفاعل او المنزه
كشف اخلاص فاعل او غاية رقة قلبه او غاية اضطرار المحل يمحو كل السيئات ويوصل
صاحبه الى اعلى الدرجات كما قال الله تعالى ورضوان من الله اكبر وجعل المرء
اذا صار سببا للغضب والقهر اقحم صاحبه في العقوبات ولم ينفعه كثرة الطاعات
واذا عرفت ذلك ايها العامل المجاهد والمسيء المعاند فاشتغل بكل العبادات
جليلها ودقيقها حتى تفوز برضاء الله تعالى فيها واحترز عن كل السيئات يتحقق عن كونك
مطهرا عن غضب الله اما سمعت ان المؤمن لا يعرف ان رضاه في اي عبادة وسخطه
في اي معصية ومن ذلك الباب قوله عليه السلام ان رجلا كان فيمن قبلكم

اتاه الملك ليقبض روحه فقيل له هل علمت من خير قال ما اعلم قيل له انظر قال
ما اعلم شيئا غير اني كنت ابايع الناس في الدنيا واجازيهم فانظر الموسر واتجاوز عن
المعسر فادخله الله الجنة وفي رواية قال الله تعالى انا احق بذا منك تجاوزوا عن عبدي
وقوله عليه السلام لقد رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق
كانت تؤذي الناس قال ابو برزة قلت يا رسول الله علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى
عن الطريق ومراد النبي عليه السلام على ما فهمت الاعلام لابي برزة ان كل عبادات
نافع وان سهلا ادنى ربما يكون ذلك سببا لرضاء الله وان الواجب على كل
مؤمن ان يعمل كلها ويواظب عليها من اعلاها الى ادناها والا لم يكن لامره ابا برزة
بعزل الاذى دون العبادات الفاضلة والقربات الكاملة نكتة وقال بعض
الشراح انما امره لان الامر بالادنى امر بالاعلى وقيل ابو برزة من كبار الصحابة
متصف بالاخلاق الحسنة ومواظب على العبادات الفاضلة فاللائق بحاله الامر بعزل
الاذى فقد بين في الاجوبة تطلع على ما يناسب المقام ويقارب الافهام ولا ينبغي ايضا
ان يعلق النجاة باسهل امر من العبادات للمنع عن القنوط عن رحمة الله تعالى
وان يعلق العذاب بادنى المعاصي للمنع عن الامن والتواني في طاعة الله ولذا
لم يصدر مثل ذلك الحديث الا نادرا

باب افضل الصدقة

قال النبي عليه السلام خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول وعن ابي هريرة
انه قال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال جهد المقل وابدأ بمن تعول فان قيل
الحديثان متدافعان اذ الاول يدل على ان يكون خير الصدقة صدقة الغني عما فضل
عما يحتاج اليه والثاني يدل على ان خير الصدقة صدقة الفقير عما يحتاج اليه قلنا
قد عرفت ان الاصول في دفع التعارض ان يصار الى الجمع والتوفيق ان امكن
فهنا يمكن ان يقال المراد من الغنى غنى النفس لا غنى اليد كما قال النبي عليه السلام
الغنى غنى النفس لا غنى اليد فمعنى الحديث الاول خير الصدقة ان يكون من جهة غنى النفس
بان يتصدق بكل ما في يده واما يحتاج اليه كابي بكر رضي الله عنه او يتصدق بطيب
نفسه بها بان لا يندم عليها ولا يضطرب قلبه ولا يتضرر لما ذهب عن يده من وجه
معيشة بل يفرح ويبتهج بصدقته فلا يلزم من هذا ان يكون المتصدق غنيا من كثرة
المال فلا يلزم التدافع فان عدت وقلت يلزم لان خير الصدقة اذا كان لاجل غنى النفس
لزم منه ان لا يوجد الخيرية في غير تلك الجهة وصدقة الفقير يجوز ان لا يكون من تلك الجهة
فوجود الخيرية فيها يدفعه قلنا الظاهر ان خيرية صدقة الفقير من جهة غنى النفس ايضا
لانعدام غنى اليد فيه ويمكن ايضا ان يقال صدور الحديث الاول بالنسبة الى اهل
الرفاه الذين لم يصلوا الى درجة حقيقة التوكل وقطع الاسباب فان بذل ما يحتاج

اليه مضر لهم لان ذلك يشوش قلوبهم ويذهب حضورهم في الطاعة فيكون
الصدقة من فضول اموالهم خيرا لهم والحديث الثاني خرج بالنسبة الى اهل التوكل
والتبتل الذين يساوي عندهم ذهب الدنيا ومدرها وبذل ما يحتاج اليه لا يضرهم
لانهم مستبشرون ومفتخرون بالفقر والعجز عن تكميل اسباب المعاش واللذات الدنيوية
وحال السائلين يؤيد ما قلنا فان السائل في الحديث الاول حكيم بن حزام وهو من
اهل الجاه والنعم ومن المعتادين باستيفاء اللذات الدنيوية والسائل في
الحديث الثاني ابو هريرة رضي الله عنه وهو من كبار الصحابة ومن المرتاضين
في التقوى والديانة والزهد والعبادة وعن ابن عباس قال قال النبي عليه السلام
الا اخبركم بخير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله الا اخبركم
بالذي يتلوه رجل معتزل في غُنيمة له يؤدي حق الله فيها الا اخبركم بشر الناس
رجل يسال بالله ولا يُعطي فان قيل فهم من هذا الحديث ان الجهاد افضل
من جميع العبادات وان منع الصدقة بعد السؤال بالله شر المعاصي والسيئات
وليس كذلك يمكن ان يقال خيرية الجهاد يجوز ان يكون باعتبار الوقت بان يكون
في ذلك مغلوبا واهل الكفر غالبا او يكون باعتبار السفر بان يكون المسافر
للغزو في ذلك الوقت افضل من سائر المسافرين او يكون المراد من الخيرية زيادة

الحرفي دار كقوله وهو ما هو عليه ويجوز ان يكون خبر العزل بالنعيم بالسالي
المعزل لاجل تكثر المال كاهل الاحسبة المعتزلين لتكثر المواشي له للاحسان عن
مصاحبة اهل الشر او الزيادة في ذاته ويجوز ان يكون زيادة سرية المسؤول المذكور
بالنسبة الى ساير البخلاء الذين لا يصدقون بعد السؤال بالله اذ لو سئلوا بالله
يصدقون فهذا امان البخل وحب الدنيا وهو شر ويجوز ان يراد من الاحاديث التحريض
على الجهاد والاعتزال للعبادة مع القناعة والمنع عن البخل بوجه بليغ وزجر ع

باب صيام التطوع

قالت عائشة ما رايت رسول الله
استكمل صيام شهر قط الا رمضان وقالت في رواية اخرى كان يصوم شعبان
كله ثم يمكن ان يجاب بان قولها الاول على سبيل تغليب ساير الشهور على شعبان
وقولها الاخر على سبيل الواقع والتحقيق او يقال المراد من الاستكمال على سبيل
العرضية او على سبيل الدوام والعادة او يقال لم يصم النبي عليه السلام كل الشعبان
عند قولها الاول وساعد عليه قوله ما رايت وصام شعبان كله
عند قولها الثاني هذا اذا علم ان الحديث الثاني متاخر قال النبي عليه السلام
ما من ايام احب الى الله ان يتعبد فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل
يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر فان قلت قد ثبت

بالاحاديث الصحيحة ان افضل الصيام صيام شهر رمضان وافضل القيام قيام
ليلة القدر فما وجه قوله عليه السلام يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة
وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر قلنا اذا كان كذلك فالمراد من الحديث
غير ظاهره بل المراد منه تعظيم الحديث بان فضيلة عشر ذي الحجة بوجه مرغب بليغ
لا بيان مقداره بالتحقيق حتى يلزم المحذور ويحتمل ان يراد ظاهره ويستثنى من الايام
ايام رمضان ومن الليالي ليلة القدر وان يقال يجوز ان يفضل عبادة عشر ذي
الحجة على صيام سنة وقيام ليلة ما من جانب وفضله حاصل لكن قد عرفت
ان ذلك من الاحتمالات العقلية لا من التاويلات الحقيقية

باب فضائل القران

عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اي آية من كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله
الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر قال النبي
قل هو الله احد يعدل ثلث القران عن عقبة بن عامر قال النبي عليه السلام
الم تر ايات انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب
الناس وقال عليه السلام لابي بن كعب ما انزلت في التورية ولا في الانجيل
ولا في الزبور ولا في القرآن مثل الفاتحة وانها السبع المثاني والقران العظيم

الذي اعطيته وقال عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب القران يس ومن
قرا يس كتب الله له بقراءتها قراءة القران عشر مرات وقال ان الله قرا طه ويس
قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام وقال عليه السلام اذا زلزلت تعدل
نصف القران وقل هو الله احد تعدل ثلث القران وقل يا ايها الكافرون ربع
القران فان قلت فهم من الاحاديث المذكورة ان يكون بعض السور مفضلا و
مفضلا عليه فما التوفيق والتاويل قلت قلنا اذا كانت جهة التفضيل متعددة
وسعادة لا يلزم ذلك اذ يجوز ان يكون اية الكرسي اعظم الايات بخصوصية
ولا يوجد تلك الخصوصية في سائر الايات فيكون تلك الاية مفضلة على باقي الايات
بتلك الجهة ولا يمنع ذلك ان يكون الباقي او البعض الاخر منه مفضلا على اية الكرسي
بخصوصية وجهة اخرى فيجوز ان يكون اعظمية اية الكرسي باعتبار اشتمالها
على كلمة التوحيد والاسماء العظمى والصفات العليا على ترتيب خاص لا يوجد
في غيرها ويكون افضليتها بالنسبة الى اي بعض يجوز ايضا ان يكون معادلة
قل هو الله احد ثلث القران مع وجازة نظمه وقلة عباراته باعتبار اشتماله
التوحيد والاوصاف المذكورة فيه على نظم وجه خاص به والا فقد عرفت ان
كل حرف من حروف القران عشر ثواب لا مفاضلة بين اي القران

وسورها بمجرد اعتبار النظم والحروف وكذا التاويل والنكتة في معادلة اذا زلزلت
نصف القران ومعادلة قل يا ايها الكافرون ربع القران وكون يس بمنزلة
قلب القران وعدم مثل المعوذتين والفاتحة فان قلت نسلم ذلك لكن ما حكمة
حصر الثلث والنصف والربع في المفصل دون غيرها والنسبة بالقلب دون
غيرها قلنا معرفة تلك الحكمة مخصوصة بنبينا عليه السلام وقد تكلم الشراح
فيه وقالوا القران منقسم باعتبار الى ثلاثة اقسام التوحيد والامر والنهي والقصص
والامثال فقل هو الله احد مشتمل على قسم التوحيد وهو منقسم ايضا الى اربعة
اقسام باعتبار الغير منسوخ الحكم والتلاوة وثابت الحكم والتلاوة ومنسوخ
الحكم دون التلاوة وعكسه فقل يا ايها الكافرون مشتمل على قسم منها
وهو منسوخ الحكم دون التلاوة وقيل هو منقسم الى صفات الله واحوال
العباد فاحوال الدنيا واحوال الاخرة وقل يا مشتمل على احوال العباد وهو منقسم
ايضا الى قسمين حكم الدنيا وحكم الاخرة واذا زلزلت مخصوص بحكم الاخرة
ولم يشتمل على حكم الاخرة وهو غير القلب بالنسبة الى حكم الدنيا وان توقف
ما فيه لان القارعة مخصوصة ايضا بحكم الاخرة ويوجد سورة مشتملة على حكم
الاخرة اكثر مما اشتمل عليه سورة يس ويحتمل ان يقال ان اشارة السنة لا يدل على نفي ما عداه

لكن التاويل المناسب عن التاويل بالاحتمال العقلي **كتاب الدعوات** قال النبي عليه السلام ان ربكم حي كريم يستحي من

عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وقال عليه السلام لا ترد دعوتهم الصائم حين

يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم وقال دعوة المرء المسلم لاخيه المسلم بظهر الغيب

مستجابة عند راسه ملك موكل كلما دعا لاخيه بخير قال الملك الموكل امين ولك

مثل وقال ان اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب فان قلت قد دل الحديث الاول ان

الله تع لا يرد دعاء العبد مطلقا كما قال الله تع ادعوني استجب لكم وقال الله تع

اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فما فائدة تقييد الداعي بكونه مسافرا او اماما عادلا

او مفطرا او مظلوما او والدا في الحديثين الاخيرين قلنا يجوز ان يكون معنى الحديث

الاول ان الله يستحي ان يرد دعاء عبده اذا وجد فيه شرائط الاستجابة واعلم

ان الدعاء قد يكون لطلب النفع والنعماء وقد يكون لدفع الضر والبلاء كما

قال النبي عليه السلام ما من احد يدعو بدعاء الا اتاه الله ما سال او كف عنه

من السوء مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وقال عليه السلام ان الدعاء ينفع

مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء واذا عرفت ذلك فاعلم ايضا ان

للدعاء شروطا كثيرا على ما ثبت في النصوص الشرعية ومنها ان يعظم رغبته

ويصمم همته في استجابة دعائه نظرا الى كمال رحمة الله وعنايته في حق عباده المحتاجين

ولا يتردد فيه نظرا الى قصوره كما قال النبي عم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت

وارحمني ان شئت وليعزم مسئلته انه تع يفعل ما يشاء ولا مكره له ومنها ان لا يدعو

لحصول معصية وانفصال مفرح على من لا يستحق لها كما قال النبي عليه السلام

يستجاب للعبد ما لم يدع باثم ومنها ان يكون عادته الدعاء في حالة الصحة والامن

والرجاء حتى يستجاب دعاؤه في المرض والعسر والبلاء كما اشار اليه الملك الحكيم

بقوله واذا مس الناس ضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان

لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون وقال النبي عم

من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء ومنها ان يكون

دعاؤه بحضور القلب والتضرع كما قال النبي عليه السلام ان الله لا يستجيب دعاء قلب غافل

لاه ومنها الدعاء في الاوقات الشريفة كما قال النبي عليه السلام لا تدعوا على انفسكم

واولادكم واموالكم ولا توافقوا من الله ساعة يسال فيها عطاء فيستجيب لكم

وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة ان منها وقت الصبح والثلث الاخير من الليل ويوم

الجمعة ويوم عرفة وليلة القدر ووقت الافطار والمحاربة مع الكفار وما بين

الاذان والاقامة في استجابة الدعاء ومنها اكل الحلال وصدق المقال

ورد المظالم والتحلل منها واداء الديون من حقوق الله وحقوق العباد والتوبة
عن باقي المعاصي كما قال النبي عليه السلام في شأن فضيلة طلب الحلال ان الرجل
يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك والمراد من اطالة السفر
سفر الحج فاذا منع اكل الحرام ولبسه اجابة الدعاء في سفر الحج فما ظنك في غيره
ومنها ان لا يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت
فلم ار يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قاله قدوة المشايخ والمحققين
الشيخ صدر الدين رحمه الله ومن شروط الدعاء تصور الحق المدعو ولذا كان اكثر
دعوات الانبياء مقبولة لكونهم تام المعرفة والشهود فان قلت اذا كان للدعاء شروط
كثيرة فما فائدة تخصيص الوالد والمسافر والمظلوم والصائم والغائب
بالذكر قلنا قد عرفت فائدة التخصيص المذكور مرارا فقل هنا فائدته الاعلام
بزيادة خصوصيتها شروط الدعاء لما عرفت من حق الوالد على ولده ومن انكسار
قلب المسافر والمظلوم واضطرارهما ومن دلالة الدعاء في الغيبة على اخلاص الداعي
وعدم عونه ورأفته على اخيه المسلم فان ذلك كله من المقويات المؤدية الى الاستجابة
او باقتضاء الحال والمقام ذكرها فان قيل قد يستجاب الدعاء بدون اجتماع تلك

الشروط قلنا اشتراط الامور المذكورة باعتبار الغالب اذ ربما يضطر العبد فينكسر
قلبه ويرق ويتذلل ويتضرع ويقوى ويكمل التفاته للاستجابة دعائه فيستجاب
دعاؤه لذلك ولا يتوقف على وجود الشروط الباقية وهذا كما عرف ان سبب
دخول الجنة باعتبار الغالب توبته والتائب جميع الطاعات والاجتناب
عن جميع السيئات لكن ربما يكون ادنى عبادة سببا لدخول الجنة كما سمعت
بعضه في القضايا المذكورة ويكون ادنى معصية سببا لدخول النار بسبب
تؤدي الى السخط والقهر فان قلت هل لا يستجاب الدعاء مع اجتماع الشروط المذكورة
كما حكي في دعاء الانبياء لاسيما في نبينا افضل الانبياء اذ حكي انه دعا
مرارا على رعل وذكوان ومضر وعصية حتى نزل ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ظاهره انه لا ينجز مسئوله اذا لم يكن من المعلقات
وان اختلف فيه المأولون وفي رفع القتال عن امته ودعاء العبد الله بن ابي
عند مرض موته لاجل استدعاء ابنه فقال الله تعالى ان يستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم قلنا للدعاء شرط اخر يخفى على الداعين وهو كون المأمول
من المعلقات فكل نبي بل كل مؤمن معتقد يعلم ذلك لكن لا يعلم ان مسئوله
من المعلقات حصولها بالاسباب حتى يحصل بسبب الدعاء ام المبرمات التي

تع في تحصيلها تحصيل الاسباب بحسب العادات واذا كان مسوله من المعلقات
بالدعا يستجاب والا فلا لانعدام ذلك الشرط فان قلت اذا لم يعلم الداعي ان مسوله
من المعلقات او من المبرمات فاي فايدة في ملازمته الدعوات والالحاح فيها
قلنا فايدة الدعا ليست محصورة على حصول المسول بل له فوايد اخرى عظيمة
وعوايد جسيمة وهي اظهار العجز والاحتياج الى مالكه ومعبوده في حصول
مطلوبه ومقصوده واظهار تعظيمه وكمال كرمه ورافته على عباده في انجاز
نعمه ولذا قال النبي عليه السلام الدعاء مخ العبادة الدعاء اعظم العبادة وان ربكم
حي كريم يستحي من عباده اذا رفع يديه اليه ان يرده صفرا وانه يثيب على اعظم الثواب
ولا ينفك عن الحكمة والدقة فان قلت ظاهر قوله عليه السلام ما من احد يدعو بدعاء
الا اتاه الله ما سال او كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم يدل على
ان احد الامرين لازم للدعاء قلنا قد عرفت ان ذلك عند اجتماع شروط الاستجابة
فلا تنس ذلك واذا عرفت مما ذكرنا ان دعوات الانبياء بل دعوات المومنين
مستجابة اذا وجد فيها شروط الاستجابة فاندفع الشبهة كما اذا قلت
كل صلوة لها ثواب عظيم فاذا لم يحصل لها ثواب لانعدام بعض شروط الصلوة
لا يحصل لها فلا نقول وجدت الصلوة ولم يترتب عليها الثواب والغفلة

عن تلك الحكمة ذهب كثير من العلما ولكن الى المجاهدات العقلية في تاويل النصوص
الشرعية المتعلقة الواردة في باب الدعا واستجابته كما قال الزمخشري المراد بالدعا
في قوله تع ادعوني استجب لكم وفي قوله تع اجيب دعوة الداعي اذا دعاني العبادة
ومن الاجابة الاثابة وقال الامام ابو حفص النسفي رحمه الله المراد من قوله تع اجيب
ان يقول لبيك يا عبدي كما يقول العبد يا ربي او يكون بعض الاجابة في الاخرة
وانت تعرف ان اجابة الدعاء والعبادة بالسنة والاثابة موقوفة على وجود الشرايط
وان ما قاله الفقراء اقرب الى التحقيق والدقة فان قلت قال النبي عليه السلام لن
الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فاذا ينفع فيما لم ينزل لا التاويل الذي ذكرت
ما فايدته في الدعاء قلنا فايدته اظهار العجز والعبودية وتعظيم ربه باظهار
كمال قدرته والربوبية واظهار الصبر والرضا بما انزل الله تع وقضى فان ذلك
يهون امر البلاء بل يلذذه اهل الحب والرضا فذلك انفع من الدفع عند الاولياء
فامر الرسول عليه السلام بالتداوي من هذا القبيل لان الانسان لا يعرف
ان زوال المرض ومرضه معلق بالدواء ام لا فيشتغل بالتداوي على موجب
امر الرسول لكنه يعلم ان علته ومرضه لو جعل في القضاء ليس موثرا لا ينفع فيه
الدواء فمن وصل الى مقام التسليم وحقيقة التوكل لا يشتغل بالدواء

ولا يلاحظ الاسباب لكن لما لم يكن ذلك المقام عشوا شاملا لها يلاحظ اسباب
اشيا لتاثير وعمم ان يقال فاثبت الدعاء وفيما لم ينزل الدفع وفيما نزل الرفع وقال عم
لا يرد القضاء الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر فان قلت قد جاء في الحديث الآخر
ان صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تدفع ميتة السوء فكيف يكون معنى الحصر في
الحديث الاول قلت قال بعض الشراح المراد من رد القضاء ان يهونه حتى صار
كانه لم ينزل او يرده بحسب زعم الداعي لان الداعي اذا خاف من مكروه يدعو
ويتضرع وينجو من ذلك المكروه فيظن انه دفع القضا ورد بالدعاء والمراد
من زيادة العمر حصول الثواب الكثير بالبر قال صاحب الكشاف في قوله تع
ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وفي قوله تع يمحو الله ما يشاء
ويثبت وعنده ام الكتاب المراد من الكتاب اللوح المحفوظ والمراد من
الزيادة انه كتب ان فلانا اذا حج او غزا ان يكون عمره ستين واذا لم يحج ولم يغز
يكون عمره اربعين واذا حج او غزا ان زاد [عشرين] الى ستين واذا لم يحج ولم يغز نقص عمره [عشرين]
من ستين وقال محيي السنة في معالم التنزيل هذا القول ثم اعترض وقال
قال الله تع اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف
يزيد العمر واجاب بان ذلك اذا جاء الاجل المسمى بعد بطول العمر وقد يعرف

المدقق ان فيما عند الاحقاف ام الى ان الاجل اجلان واهل السنة لا يقولون به ويمكن
ان يقال الزيادة والنقصان يجوز ان يكون بالنسبة الى علم الموكلين ببعض الارواح
بان كتب في اللوح المحفوظ ان عمر فلان كذا واطلع عليه الملائكة ثم علموا انه زاد
سنا ونقص سنا او يقال التعمير والنقص بالنظر الى العرف والعادة لا بالنظر
الى الحقيقة كما اذا مات صبي ومات انسان بآجال اخترامية كالحرقة والغرق
والحرق يقال نقص من عمره واذا مات في اوان الشيخوخة والخرافة يقال زاده
عمره وامثال هذا كثير في اعتبار الشارع كقوله تع العصب والشهات وهو اهون
عليه فتبارك الله احسن الخالقين فان قلت قوله تع الا في كتاب ينافي هذا
قلنا لا ينافي لان الموت في حال الصبا وبالآجال الاخترامية من الامور المقدرة
في كتاب الله تع كالموت بالمرض والخرافة وفيه رمز الى جهل من قال الاجل
اجلان وقوله تع يمحو الله ما يشاء ويثبت يحتمل وجوها كثيرة بان يكون ما عبارة
عن الامم والبلدان والمعاش ومراسم الناس ولو اتى على عمومه لعلنا نريد [العمر]
ونقصه باعتبار الحقيقة خارجان عنه ثم بعد علمه ونقله لان تغير معلوم علم الله [تع]
محال نعم يجوز ان يندرج فيه باعتبار علم الملائكة ويشمل الاعمال بان عمره من [الولادة]
الى حين الموت وعمره من حين الولادة الى مدة الحشر وعمره من ابتداء العالم الى انتهائه

والعمر الاول يزيد وينقص والثاني لا يتغير وقال الشيخ المحقق صدر الملة والدين
اعلم ان المقدرات على ضربين ضرب يختص بالكليات وضرب يختص بالجزئيات
المفصلة والكليات المختصة بالانسان وقد اخبر النبي عليه السلام انها محصورة
في اربعة اشياء وهي العمر والرزق والاجل والشقاوة والسعادة وقال
في الحديث المتضمن ذكر خلقة الانسان اذ يأتيه الملكان في الشهر الرابع
فينفخ فيه ويقول يا رب اذكر ام انثى شقي ام سعيد ما رزقه ما عمله ما اجله فالحق
يملي والملك يكتب وقال ايضا فرغ ربكم من الخلق والرزق والاجل و شقي
او سعيد وقال الله سبحانه وتعالى في الجزئيات سنفرغ لكم ايها الثقلان
فافهم واما اللوازم الجزئية والمفصلة لا تكاد تنحصر ولم يمكن تفصيل ذكرها
وانما فظهور بعضها وحصوله للانسان موقوف على اسباب وشروط
ربما كان الدعاء او الكسب والسعي والتوكل من جملتها بمعنى انه لم يقدر حصوله
بدون ذلك الشرط بخلاف تلك الاربعة الاولى ولا يؤثر فيها سعي وسبب
بل ذلك بمحض قضاء الله تعالى وقدره بموجب علمه السابق فعلى هذا يكون المراد
من زيادة العمر الانتفاع به واعلم ان كلا الامرين من الكليات الاجمالية والجزئيات
المفصلة متعلق بها علم الله في الازل وتقديرها على ذلك التسوية

ما يحال وكتبه الملائكة الاربعة عند نفخ الروح لا ينافي الزيادة والنقص
كما عرفت تأويل ما في كتبه في اللوح المحفوظ ويمكن ان يوجه كلام الشيخ الكاشف
بان الامور الاربعة يجوز ان تكون من المبرمات ولا يتعلق بها الاسباب والدعاء والزيادة
والنقصان المذكوران في الاثر باعتبار العارض او الانتفاع وعدمه والله يعلم
حقيقة المرام هذا ما قيل من محتملات الكلام واذا عرفت هذا القدر من التفصيل
في معنى قوله عليه السلام لا يزيد في العمر واعلم ان تأويل قوله عليه السلام
لا يرد القضاء الا الدعاء ان الدعاء يرد القضاء المعلق لدفاعه بالدعاء ولا
يرد المبرم وقد عرفت تفصيل ذلك ووجه تحقيقه فلا نعيدهما فان قيل قد يرد
القضاء غير الدعاء لما ثبت في النصوص الشرعية كالصدقة والاحسان قال النبي
ان الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء فكيف يكون معنى الحصر في قوله
لا يرد القضاء الا الدعاء قلنا قد عرفت ان لا تعارض في النصوص الشرعية
في الحقيقة فوجب عليك ان تدفع ما يتخايل من التعارض بوجه من الوجوه التي
ذكرت فلعل ههنا يجوز ان يراد من الرد الرد الكامل كما تقول لم يرد ابت
الرجل وليس غيرك رجل وانت تريد حصر كمال الرجولية عليه او الرد العام او
المطلق الاضافي اي بالنسبة الى غير الداعي كما قال الله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي

كذب وتولى او بالنسبة الى قوم مخصوصين اى قوم لا يقدرون فى دفع التصاعد على
الدعاء كما قال النبي عليه السلام لاصحاب الصفة الا انبئكم بخير اعمالكم وقد عرفت
التحقيق فيه الحاصل ان النصوص النقلية والعقلية متطابقة متظاهرة فى ان لا
تعارض فى النصوص الشرعية وكلما توهم التدافع بحسب الظاهر يحمل على المتروك
فالماول دفعه بما ذكر العمر من الضوابط المعدودة والقواعد المسطورة فان اعظم
ما ربح واهم مطالبه فى ما الفه هذا المحقق تعليم المسلمين طرائق دفع التعارض من
وجوه الكلام النبوي لانه اطلع فى اثناء التعليم تشويش قلوب اكثر المسلمين وتردد
خواطر جل المستدلين من التدافع الظاهري فى كلام سيد المرسلين فصرف
همه وثنى عزمه الى دفع تشويشهم وترددهم حتى لا يقع الخلل فى عقائدهم بتسويلات
شياطين الانس والجن لما سمعت وعرفت ان اهل الاهواء قد فسد عقائدهم
وضل ضمائرهم لغفلتهم عن ذلك الامر الذى هو مقتضى البلاغة وموجب الخطابة كما
عرفت بعض تفاصيله فى باب الايمان والاسلام باخر الكلام وسنمد بكلا الامر
من عنايته وسنحلل سلك الوسيلة شفاعة رسوله ولعل انتفاع ونهاية
انسهما على ذلك الاستمداد والاستجلاب بركة فى ذلك الخطب المعضل والشان
المشكل ولم يمنعه عنه معرفته بقصور بضاعته وفتور قريحته واعتماده على كله

كما ستره لان شغفا للعلك شغف اللب يعمى المرء ويصم ويخفى العيب بكم بل نريه
ويرى بل يكثره ويتم وهذا من اخفى مكايد النفس الامارة واقوى مصائد الهوى الغرار
وارجو من فضل ربنا الكريم وعون خالقنا الرحيم ان يلهمنا الحق والصواب
ويعصمنا عن الخطاء فى الكتاب ويخلصنا من اهواء النفس وتسويلاتها ونزعات
الشياطين وتضليلاتها انه مرشد المغرقين بقصودهم ومنقذ المنصرعين عن تعلقهم

باب ذكر الله والتقرب اليه

قال النبي عليه السلام
الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق
الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم
قالوا بلى قال ذكر الله وسئل النبي عليه السلام اى الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا
ولسانك رطب من ذكر الله فان قيل قد فهم من هذا الحديث ان الذكر افضل
جميع العبادات مع ان بعض الاحاديث يدل على ان افضل الحب فى الله والبغض فى الله
كما قال النبي عم افضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله وبعضها يدل على ان
افضل الاعمال الصلوة وبعضها على ان افضل الاعمال الجهاد وبعضها على ان افضلها
الحج كما اورد المصنف فى مناسك الحج ان ابا هريرة قال سئل النبي عليه السلام
اى الاعمال افضل قال الايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله

تلزم مادا فالحج مرور وبعضها على ان افضلها الصدقة وقد عرفت ايضا ان افضل
الاعمال الفرعية الصلوة ثم الزكوة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد فما وجه التوفيق قلنا
قد عرفت وجه التوفيق والترجيح من القواعد السالفة فعلى هذا ان التعارض انما
يلزم اذا كان جهة التفضيل متحدة واما اذا كانت متعددة متغايرة فلا يلزم فنحو ان
ان يكون افضلية الذكر وحسنه باعتبار ذاته مدح المعبود وتعظيمه
بالصراحة بخلاف سائر العبادات لانه وسيلة الى التعظيم ودال عليه بالرمز والاشارة
وتشكل لتكثير والدفعية صار الاول ازهر من الايمان بخلاف باقي الاعمال وقد عرفت
وجه او باعتبار شيوع لكل مكلف من العوام والخاص على الاعمال الباقية البدنية
والمالية او باعتبار سهولة المواظبة عليه باللسان او الجنان او باعتبار تحصيله في عموم
الاوقات والاحوال والازمان ولا يناقض تلك الفضيلة تلك الجهة المذكورة خيرية
سائر الاعمال عليه وافضليته بجهة اخرى كما عرفت تفصيل ذلك ولا تستبعد هذا
التوجيه لان امثاله في النصوص الشرعية كثيرة لورودها على اساليب كلام البلغاء
قد سئل النبي عليه السلام ما الحاج قال الشعث التفل وقال اي الحج افضل
قال العج والثج وانت تعرف ان الحج لا ينتهي بالشعث والتفل وان الحج ليس من اركان
الحج ومفضلاته وتعرف ايضا ان مراد النبي عليه السلام ان افضل اعمال الحج من حيث

الشعث والتفل ورفع الصوت بالتلبية والاذكار واراقة الدم ويمكن ان يكون معناه
افضل الحج ما تم فيه جميع اركانه وادابه وشروطه فمن فيه العداوة والمنتهى الشعث
والتفل واراقة الدم بالتلبية ومن ذلك القبيل قوله عليه السلام افضل الصدقات
ظل فسطاط في سبيل الله او منحة خادم في سبيل الله وطروقة فحل في سبيل الله
وانت تعرف ان صدقة عين الفسطاط والخادم والفحل افضل من صدقة منفعتها
وان صدقة اموال العظام جلا ان افضل من صدقة منفعتها وتعرف ان افضليتها
بجهة مخصوصة بها وان المراد ان صدقة تلك المنافع في سبيل الله افضل من صدقتها
في غيرها او يكون المخصص بحسب الوقت والحال او بالنسبة الى المتصدق او المحل
وقد عرفت تفصيل المفاضل فيه وان لم يصل فهمك الى تعيين الجهة الخاصة
في امثاله فعليك ان تراعي منه الفضيلة التامة في ذاته كما للسير الجامع
كقوله وهو اهون عليه واذا عرفت هذا الكلام الوارد على سبيل الاستطراد
واعلم ايضا ان النصوص الشرعية الدالة على خيرية الذكر كثيرة كقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقوله والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
وقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول

بالغدو والآصال وقوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم
اباءكم او اشد ذكرا وفي الايات المذكورة انواع دلالات على فضيلة الذكر
وان لم يطلع على الدلالات الدقيقة فافهم ان الامر بالذكر على وجه التاكيد
والتكرار والتشديد والمدح عليه يدل على فضيلته وكقوله النبي عليه السلام من
عجز منكم عن الليل ان يكابده وبخل بالمال ان ينفقه وجبن عن العدو ان يجاهده
فليكثر ذكر الله عز وجل وقوله عليه السلام لرجل قال ان شرائع الاسلام كثرت فاخبرني
بامر اتشبث به لا يزال لسانك رطبا بذكر الله وقوله عليه السلام لا يقعد قوم
يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله فيمن عنده وقوله عليه السلام سبق المفردون قالوا وما المفردون
قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقوله عليه السلام حاكيا عن الله انا مع
عبدي اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ
ذكرته في ملأ خير منه وقوله عليه السلام ان لله ملائكة يطوفون في الطرق
يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم
فيحفونهم الى السماء الدنيا واذا تفرقوا عرجوا الحديث واعلم ان دلالة الاحاديث
على فضيلة الذكر غير خفية وقد عرفت ايضا بيانها ووجه دلالتها واعلم ايضا

ان الايات والاحاديث دالة على فضيلة الذكر مطلقا اي بالجهر والاخفاء
لما ثبت في الاصول وجوب اجراء المطلق على اطلاقه حتى لا يصح تقييده بخبر الواحد
والقياس في مفهوم المخالفة كما فهم ترك الجهر من الامر باخفاء الذكر عند بعض الاصحاب
ولذلك الوجوب استدل العلماء على وجوب التكبيرات الجهرية في ايام التشريق باطلاق
قوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فان قلت اذا كان افضلية الذكر
وخيريته على سائر العبادات بجهة مخصوصة فما وجه بيانها على صيغة الاطلاق
قلنا قد جرى بعض الفاضلين فيه من ان المراد منه المبالغة في التحريض على تلك
الطاعة بحسب الظاهر وان كان السامع يعلم بعدها وتخصيصها بجهة خاصة
كما يقول لاحد عند المبالغة في التحريض على الاشتغال بامر ان فعلت ذلك
يحصل لك افضل الاشياء او يكون في يدك الامطار لك او يكون سلطانا او يحصل
لك جميع ما في الدنيا لكن قولك هذا مقبولا اذا اعتبر وجود في ذلك الفعل
وان كان يعلم ان ذلك الفعل والامر ليس افضل من جميع الاشياء وانه
لا يكون سلطانا ونحو ذلك بذلك الامر ويقول ايضا ان فعلت كذا اهلك او يكون
كافرا او يكون ملعونا في الدنيا والاخرة ويخاطبه بقوله انه لا يكون كافرا ولا ملعونا
بذلك وانت تشدد على قبله وان مراده من ذلك القول شأن عاية ذلك الفعل

وضوح وكونه مسموعا عندك وذلك من ضروب الفصاحة ولذا اقول الداعي
البليغ رحمك الله غفر الله لك بتضعيفه الماضي وان كان يعلم المدعو له ان المراد
من صيغة الماضي معنى المستقبل والعدول الى هذا لا يراد رحمه الله ونظائره في صورة
الحاصل للتفاؤل واظهار رغبته في حصولها لكن ان قلت قد فهمت النكتة والحكمة
فيه لكني اقول ما فائدة تفضيل بعض الطاعات على بعض بجهة خاصة لم تفضل
غيرها عليها بجهة اخرى وكذلك ما فائدة تقبيح بعض المعاصي وتغليظها على وجه يفهم
منه انه اعظم المعاصي قبحا وامام تقبيح غيره وتغليظه على ذلك الوجه مع ان قبح
كل واحد وغلظها بجهة مخصوصة لا على الاطلاق قلنا نكته ذلك وحكمته التحريض
على كل عبادة والتخويف عن كل معصية بوجه بليغ وزجر كامل حتى يجتهد السامع
في جمع جميع العبادات والتجنب عن جميع السيئات لما عرف ان رضاء الله يكون
في ضمن العبادات ولا يعرف العابد تعين حصوله في بعضها وغضب الله وسخطه
حتى لا يعلم تعين حصولهما في بعض السيئات ومن تلك الحكمة اسماء فلكل عابد
وتعويد اعتنة على عبادة يقدر على فعلها فان من عجز عن الجهاد كالنساء والمرضى
والزمناء يسكن قلبه عند معرفته فضائل الغزاة والشهداء قبل النبي عليه السلام
كثرة فضائل ذكر الله وكثرة فضائل ذكر الموت وافضلها على غيرها بوجه

من الوجوه حتى تطيب النفس العاجز عن الجهاد ويشتغل بمواظبة ذكر الله و
ذكر الموت ومن عجز عن الصدقة والحج لما انه انهما ويتشوش حاله عند سماع
فضائل الصدقة والحج سن النبي عليه السلام فضل الصلوة والصوم والذكر
بل بين افضلها على غيرها مطلقا وان كانت بوجه يخصها في الواقع حتى يقول
السامع العاجز عنهما ان عجزت عنهما ولم اعجز عن المواظبة على الصلوة والصوم
والحج فوجب علي ان اواظب عليها واظفر بالفضيلة والقربة والدرجة الرفيعة
عند الله بسببها ومن تلك النكتة بعث الطالبين فضيلة الكمال
والسالكين طريق الوصال على جمع جميع اسباب الكمال ووسائل الوصال
وعلى الاحتراز عن جميع المعاصي والسيئات حتى يفوزوا بذلك باعلى الدرجات
كما ترى طلاب العلم لا يقتصر على تحصيل بعض العلوم بل يجتهد على تحصيل جميع
ما يسمع من الفنون اذا قصد الكمال فيه وتبصر الحرامي انهمالك على حطام الدنيا
كيف يتحمل المشقات الكثيرة والمتاعب الكثيرة في تحصيل الكمال فيهما والرياسة
والتمتع بها ويرضى بتضييع عمر النفيس في جمع اسبابها ويركب في تكاسر قطع المفاوز
والفيافي والمسافات البعيدة ومفارقة اولاده ومحبوباته من ازواج
وجواري ومساكن الطيبة مع معرفته ان الغالب في ذلك التعرض الى الجماعة

بل هلاك النفس الهمام وان التجار الكثيرون خسروا في تجارتهم تلك المسافة ملكوا

في طريقها المخوفة الماوى وكثير قطاعها ومرصدها اللهب فالصادق وادا احمل الطالب

الرياسة الباطلة والفضيلة الزائلة سلك المشقات السديدة العديدة المديدة

كسفا لا يحمل طالب الدولة الدائمة الكاملة والرتبة الباقية الفاضلة في الا

الا حرج على مسافات العبادة العليلة الموصلة الى تلك الدولة الدائمة واللذة الكاملة

الباقية عن العاطل العسير للمدوم

باب ثواب التسبيح

قال النبي عليه السلام افضل الكلام اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

والله اكبر وفي رواية احب الكلام الى الله تعالى اربع فان قلت يلزم من عموم

هذا واطلاقه ان تكون الاذكار المذكورة افضل من كلام الله تعالى وليس كذلك

لما ثبت في الحديث الصحيح ان فضيلة كلام الله على غيره كتفضيله ذاته على سائر

الموجودات قلنا ذلك قرينة تعلية صارفة عن اجراء الحديث المذكور على عمومه

فيقول المراد من الكلام في قوله افضل الكلام واحب الكلام كلام الناس كما

جاء في رواية اخرى افضل الذكر بعد كتاب الله تعالى اربع فان قلت ما سبب افضليته

على سائر كلام الناس قلنا اشتماله على تنزيه الله وتحميده وتهليله وتكبيره

بالصراحة وقد عرفت فضيلة التصريح فان قلت اسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا

الدالة على عظمته وتنزيهه بالصراحة كثيرة فما وجه تفضيلها عليها قلنا وجهها

اشتمالها على نظم خاص وترتيب خاص لا يوجد في غيرها ولذا ورد في القرآن

والحديث التنزيه والتحميد والتهليل والتكبير على هذا النظم الخاص والترتيب الخاص وان

لم يرد على سياق وحد خاص فقيل المراد الا فضيلة والا حبية كمال فضيلته

ومحبوبيته في ذاته لا على جميع اعيانه او المراد بيان فضيلته بوجه بليغ لما عرفت

ان المجاز ابلغ من الحقيقة كما اذا اريد ان يبالغ في مدح شيء يقول ليس في الدنيا

افضل واحسن واذا اريد ذمه بوجه ابلغ يقول شر الاشياء واشرها

واهل اللسان يعرف مراده اذا سمع اجراء كلامهم على ظاهره وحقيقته وكشف

ما يقول الشارحون في تاويل مثله المراد اسم التفضيل الزيادة المطلقة اذا لم

يقصد تفضيله على ما اضيف اليه لكن ذلك خطاء لان معنى الزيادة المطلقة

ان يقصد تفضيله على جميع اعيانه بشرط ان لا يكون المضاف من جنس المضاف

اليه كقولك يوسف احسن اخوته وهذا لا يتمشى في مثل هذا الحديث لقوله افضل

الاعمال الحج او افضل الذكر او افضل الكلام لا اله الا الله لان المضاف فيه

من جنس المضاف اليه ولو قصد منه الزيادة المطلقة يصح دائرة الاعتراض ويلزم

منه تفضيله على ما اضيف اليه وعدم ما يسارع في فاصل المعنى فالمناسب فيه ان يحمل

المراد من اسم التفضيل الزيادة في حد ذاته كتواضع وهو اهون عليه واعلم ان اسم

التفضيل اذا استعمل من بحث لن يقصد تفضيله على مدخول من لكن اذا استعمل

بالاضافة او في بحرف التعريف يجوز ان يراد منه الزيادة المطلقة او الزيادة في حد

ذاته وعلى التحقيق الذي فضله ما ورد قوله عليه السلام افضل الكلام ما اصطفى الله

للملائكة سبحان الله وبحمده وقوله عليه السلام افضل ما قلت انا والنبيون

من قبلي لا اله الا الله وقوله عليه السلام في وقوف عرفة خير ما قلت انا والنبيون من

قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

وابسط منه ما يشار في التحقيق وسابت التوفيق بعطا سلك لصاحبه اذا العارف بكنهه

الاشارات والغبي يشوشه بكثرة العبارات قال النبي عليه السلام اول من يدعى الى الجنة

يوم القيامة الذين يحمدون في السراء والضراء وقال النبي عليه السلام من سبح الله مائة بالغداة

ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي

كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة

بالعشي كان كمن اعتق مائة رقبة من ولد اسمعيل ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة

بالعشي لم يات في ذلك اليوم احد باكثر مما اتى به الا من قال مثل ذلك او زاد على ما

قال وقال عليه السلام التسبيح نصف الميزان والتحميد يملاه وقال عليه السلام

من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات يوم القيامة احد

بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه ولو لم نوفق في الاحاديث المذكورة

بما قلت من ان فضيلة كل واحد من الاذكار على غيره بحسبه وخاصية لا توجد في غيره او

تفضيل كل على غيره صدر رعاية لمقتضى الحال والمقام او المراد بيان كثرة ثواب كل

واحد وفضيلته بطرق مجملة ومخصصات متنوعة بسلسلة الحال اي حال قائله الحكم

وحسن المقدار بنوع التدافع لان التدافع لان قوله عليه السلام اول من يدعى الى

الى فضيلة التحميد على غيره مع ان الاحاديث السابقة تدل على ان افضل الاذكار

التهليل وخصوص ما به حج بالتسبيح وتخصيص ما به فرس بالتحميد يدل على ان التسبيح

افضل من التحميد وقوله التسبيح يملا نصف الميزان والتحميد يملاه يدل على ان التحميد

افضل وقوله من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات يوم القيامة

احد بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه يدل على ان التسبيح والتحميد

افضل من غيرهما واذا لم يصل فهمك الى التوفيق باستخراج خصوصية تخصيص المخصصات

المذكورة بفضل الاعلم وجاء اختصاص كل نوع من المثوبات كالحج والعتق ووقف

الفرس في سبيل الله او بجهة المجاهد الاسود السود او قل المراد من الاحاديث

المذكورة بيان كثرة ثواب التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل بطرق مختلفة وتنويعا او يكون

هذا قوله عليه السلام لم يأت في ذلك اليوم احد بأكثر مما اتى به الا من قال مثل ذلك
او زاد عليها قال وقوله لم يأت يوم القيامة احد بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال
او زاد عليه فتأمل فيه تعلم ما قلت واعلم انك اذا تأملت في كل باب من ابواب العبادة
كالصلوة والصوم والزكوة والحج والجهاد وحسن الخلق والحلم والرفق وغيرها
من الاعمال والاخلاق وجدت فيه مبالغات في ثوابه ومدح فاعله حتى ظننت انه افضل
العبادات واعظمها وكذا اذا تأملت في كل باب من ابواب المعصية القلبية والقالبية وجدت
فيه تشديدات وتغليظات في عقابه وذم فاعله حتى اعتقدت انه افحش المعاصي
واشدها فلزم منه كون كل منهما مفضلا ومفضلا عليه فيتوهم التعارض والتدافع
لكل ذلك تريث وانعم النظر وتفكرت وامعنت في التوفيق بطائفك الكاملة
وقواك الشاملة تطلع على ان تفضيل كل واحد من العبادات وتشنيع كل واحد
من السيئات بجهة مخصوصة لا توجد في غيرها فينقمع عن ساحته توهم التعارض
وينقلع عن عرصته ظنك التدافع وان فائدة ذلك النظم البليغ ما ذكرنا من التحريض
على ملازمة جميع الطاعات والمجانبة عن جميع السيئات

باب الاستغفار والتوبة

قال النبي عليه السلام ان عبدا اذنب ذنبا
فقال رب اذنبت فاغفره فقال ربه اعلم عبدي ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به غفرت

لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا الحديث الحاصل انه اذنب ثلاث مرات وفي كل
تلك المرات قال الله تعالى غفرت لعبدي في كل مرة وقال في الثالثة فليعمل ما شاء قال فيه
قوله تعالى فليعمل ما شاء امر بالمعاصي كقتل المسلم البريء والزنا والشرك فلا يكون ذلك
مقتضى الحكمة قال بعض الشراح في تأويله انه لما صار مغفورا لا يكتب عليه المعاصي
فيما بعد ولا يصح الذنب وقال بعضهم معناه فليعمل ما شاء من الطاعة وقال
بعضهم فليعمل ما شاء كلام يستعمل تارة في معرض السخط واخرى في معرض التلطف
وليس المراد منه في كلتا الصورتين الحث على الفعل والترخيص فيه بل التعريض
بالترك له وقال الامام النووي في شرح المسكوت معناه فليعمل ما شاء فانه تبت
فاعلم انها الاخ الطالب للتحقيق والحازم الحريص على التدقيق قد عرفت فيما سبق ان المتعلم
لا يتخلص عن ربقة التردد ولا ينقضي عن ذيل التحير بسبب جريان الخوض في السؤالات المختلفة
فيجب عليك ان تعلم القواعد في دفع التعارض والتوفيقات وتحفظ الضوابط
في طرق الترجيح والتحقيقات حتى تقدر على التأويل المناسب والتحقيق اللائق في الجوابات
ولذا ذكر المصنف في اول الكتاب بعض قواعد الجمع والتوفيق وقوانين الترجيح والتحقيق
فاعلم في هذا المقام ايضا اصلا نافعا للكلام من ان الامر المطلق عند الاصحاب
ما اشتمل عليه من المصدر واذا تعذر ذلك تعين تعلقه او عمله او عادة تقصد

الى المعنى المجازي كالاباحة والندب والتهديد والامتنان والاكرام والتعجيز
والتسخير والاهانة والتسوية والدعاء والتمني والاحتقار والتكوين وكذلك النهي المطلق
عندنا للتحريم واذا تعذر التحريم بقرينة صارفة يحمل على المعنى المجازي كالكراهة
والترغيب والتحقيرات العاقبة والارشاد والشفقة وقد عرفت ان معرفة تعذر ارادة
المعنى الحقيقي من الكلام بقرينة سهل التيسر لكل من المفصل والخطب المشكل تعيين
معنى من المعاني المجازية مناسب للمقام مقارب الى الافهام ولذا توقف بذلك
التفاوت بين مراتب المستدلين ومناصب المأولين فتامل فيه فليعمل ما شاء
وانبسط المعنى المجازي الموافق للمقام والمقارب الى الافهام اذا تعذر ارادة المعنى
الحقيقي من الكلام فلنتفهم ان سياق الكلام يحمل على قرينة التلطف والرحمة وقرينة
التهديد والترهيب لان تكرار المغفرة وعدم المؤاخذة في اول الحكاية يدل على سعة
رحمة الله وكرمه في شان ذلك المذنب وتكراره ارتكابه الذنب وامرار قرينة
استعمال التهديد والتعذيب على كلا التقديرين لا تراد من الامر وقوع مضمونه فضلا
عن الاعمال لان عموم قوله ما شاء مع ذلك فيراد من الامر احد المعنيين المجازيين
لكن الانسب للسياق ان يراد به التلطف والمحبة لتكرار انابته وسرعة توبته ورجاء
المغفرة عليها فيكون بذلك مستوجبا للرحمة كما قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب

المتطهرين وقوله سبقت رحمتي على غضبي ولان النظر الى الماضي اولى من النظر الى
المحو ولان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وما قال الامام النووي من ارادة حسنة العمل
لانه لا يصح الدليل بل التوبة عليه عن مسعود بان تمام المطهر تكرار توبته يغفر اوابا
ولما وصل اليه معصية الله تعالى وقوله توبة نصوحا والمحو لا تعاقب عليه لكنك
قد عرفت الفرق بين التأويل المحتمل للصواب في عمل بعض الامام وبين المعتمد للمناسب
للمقام والمتقرب في الافهام مع انه يلزم ان تخصص ما شاء بالذنوب الماثلة زوالها
بالتوبة لما ثبت في الشرع ان المظالم وحقوق العباد بل ثواب الغزاة لا يزول غالبا
بالتوبة كما اشار اليه النبي عليه السلام ان جبريل قال ان القتل في سبيل الله يكفر
كل شيء الا الدين ويندرج في الدين حقوق العباد بل ثواب الغزاة لان توبتها
قضاؤها وما قال عن التأويل من ان الذنب لا يضر بعد ذلك فليعمل ما شاء
او فليعمل ما شاء من الطاعة بعيد عن الافهام غير مناسب لمقام الكلام وقال النبي عليه السلام
والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله
فيغفر لهم وقال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل
فاتى راهبا فسأله فقال اله توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت
قرية كذا وكذا فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة العذاب وملائكة

الجمه واوحى الى هذه ان تقربى والى هذه ان تباعدى وقال قيسوا بينهما فوجد
الى هذه اقرب بشبر فغفر له وسابقا لهذا الحديث ما قال النبي عليه السلام ان رجلا
رحل في المعصية واوصى بنيه ان يحرقوه ليتخلص عن خزي ربه فاحرقوه
ففعل كذلك وقال النبي عليه السلام قال الله تعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني
غفرت لك على ما كان فيك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم
استغفرتني غفرت لك ولا ابالي فان قلت بعض هذه الاحاديث يدل على ان
الذنوب مراد الله فيجب على العبد ان يعمل الذنب حتى يحصل مراد الله ويخلص
من الاذهاب والهلاك وبعضها يدل على ان المظالم يعفو بالتوبة وبعضها يدل
على ان الذنوب لا يضر لانه يعفى بقوله غفرت لك ولا ابالي وهذا كله خالف اصول
الشرع بل تهادم لان النصوص القاطعة متعاضدة في الدلالة على وجوب الاحتراز
عن الذنب وتركه وعلى ان المظالم لا يعفو بالتوبة لا يشمله العفو الذي قال الله تعالى
في حقه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها قلنا قد عرفت ان
بعض الاحاديث يحتمل احتمال بعضها وبعضه رافع له بينها بعضها وبعضها
مقيد ومخصص بعضها وبعضها قوي راجح يمنع عن العمل بمرجوح بمخالفته
فنقول في تاويل الحديث الاول ان الكلام المشتمل على العبد ثبتا كان

او منفيا يكون نصا في شان العبد وموردا له واسباب وعن مسوق ليعلم
فيكون سوق الكلام فيه لبيان فضيلة ترك الاستغفار على الذنب بتوبته
قوله فيستغفرون الله لا لاباحة الشروع في الذنب لدلالة النصوص الراجحة
القاطعة على وجوب الاحتراز عنه وفرضية تركه ويرشد الى ذلك قوله عم
وكل بني ادم خطاؤون وخير الخطائين التوابون وما به اقتضاء ومنفعة
لا نعرفه كما نعرف ان الله تبارك وتعالى يبالغ في ثواب الشهادة ورفعه درجة
الشهداء وكذا النبي عليه السلام لتحريض المؤمنين على الشهادة مع انها
متضمنة لغلبة الكفار عليهم وقتلهم لكن لما كان المقصود شهادتهم لا غلبة الكفار
لا يعبأ بها ولو سلم ان الحديث يدل على ان الذنب مراد الله تعالى بالاصالة يلزم
به لكنا نقول ليس كل ما يريد الله تعالى جائز الشرع لان كفر الكافر مراد الله تعالى
عندنا مع ان الشروع فيه اقبح المحرمات وابعد المنهيات لان ارادة الله تعالى
عبارة عن تخصيص احد المقدورين وترجيحه بالوقوع وترجيحه في اي وقت
شاء بعضه كان ذلك الاحيا وطاعة فعلا كان او تركا لكن ذلك التخصيص والترجيح
بعد احسان الفاعل ذلك الطرف على سبيل السنة الالهية فلا يلزم الجبر على الذنب والكفر
ولا قبح العقاب عليهما او وجه عن سوق العدل والحكمة ونقول ايضا

كلما كان رضا عند الله تعالى ببعضه يستحسن الشروع وبعضه واجب
الشروع كالعبادات المفروضة والمتطوعة فمدار الثواب والعقاب بوجه
الصدق والإحسان والإخلاص لله تعالى بعد ذلك وقد عرفت بعض التفصيل والتحقيق
فيه فلا نعيده فان التعمق في مثال هذا يفضي الى كشف سر القدر ولولا يكدر قلوب
المستفيدين بسماع كلام المبتدعين لما شرعنا في البحث عن هذا الكلام وان
اقتضاه المقام ونقول في تأويل الحديث المشتمل على قتل تسع وتسعين مغفرته
يحتمل ان يكون المقتولون مباحي الدم لكن القاتل لم يسأله ولا تبع قتلهم ولذا احتاج
الى التوبة وايضا الراهب الذي قال له لا تقبل توبتك يحتمل ان يباح دمه لاقناطه
القاتل عن رحمة الله تعالى وهذا من المحتملات العقلية فالاقرب ان يقال طلب
القاصد لتكفير ذنبه وتوبته رضاء الله تعالى لغاية تأسفه على ذنبه واستيلاء
الخوف والخضوع والمسكنة والرقة على قلبه وتوجهه بالكلية الى ملك رحيم
منقطعا عن الاسباب فلا يبعد ان يكون ذلك الامر سببا لارضاء الخصوم ايضا
كما ثبت في الشرع ذلك ويحتمل ان يكون له خلق خفي يصير سببا لرضاء الله
المؤدي الى ارضاء الخصوم وقد عرفت ان رضاء الله تعالى مخفي بين العبادات
وما حصل بيسير وما هو سهل ويدل على ذلك قوله تعالى ... وقربه

العالم ان يسمى حتى يزول لنك عبدي الآدم لان ذلك الوحي لم يصدر الا لوجه
حصل مقتضيه لذلك لما عرفنا ان مقتضى الحكمة ذلك وان امكن عند
ان ذلك لا يقتضي كما حكى النبي عليه السلام عن الله تعالى اذ قال اني عند ظن عبدي بي
ولهذا التأويل والتوجيه يصح قصة الرجل المسرف الموصي حرقه ونثر نصف رماده
في البر ونصفه في البحر واذا عرفت تأويل الاحاديث المذكورة الراجع الى طرف
الرجاء وسعة رحمة الله وشرعت في طرف الخوف والرهب الاحاديث المنبهة على الجد
في الاحتراز عن المعاصي للتعديل ولا اخراج عن الغلو في الرجاء المؤدي
الى التهاون في مهاوي الهوى فاعلم ان حكاية السائل الثابت في الجنس والمحترق
من السواد لا يطفي بها الا واحد من الالف وكالواصل الى ليلة القدر والغالب
فالمطلق الوصول الى القرب ونعيم الجنة بسبب اجماع العبادات والاحسانات عن
جميع الناس وان التارك في باب الدين والعبادات ما يغلب نظره في العادات الرغم
والسنة الالهية والمتمني لما سدد وينصر احمق واخرق كمن ترك حرفته التي يحصل
بسببها كل يوم وجه معيشته ودخل بيته وغلق بابه واستعمل ثقب
جداره وصحن بيته ودام وسأل الناس عن حاله وشغله فقال اريد ان
اجد كنزا في بيتي واظفر بكثير من الذهب والياقوت الاحمر والجواهر النفيسة وامثالها

عن تعب الكسب فان السامعين يسخرون منه ويضحكون وينسبونه
الى الحمق والجهل لتركه العمل بالامر المطرد والغالب واشتغاله بالشيء النادر وكان
بمكان لان كثيرا من الناس وجدوا الكنز فلو ترك انسان لها العامل المسقط والعاقل
المسقط الاشتغال بالامر المطرد من المواظبة على الاعمال الصالحة الجامعة شروطها
الظاهرة والباطنة والاجتناب عن الاعمال الصالحة المهلكة ولا يتشبث بالامر
النادر المستبعد فانه لعل رضاء الله تعالى يحصل له في امر يسير من العبادة فيعرض له
من عن اسباب السعادات في توفيقه وطاعات الطاعات وقهرها في المنع عن المنتهيات
حتى لا يكون من الحمقى المغرورين والكسالى المفتونين وضحكة للعقلاء المتوسمين
في باب العبادة والدين واذا لم يرض بكونك ضحكة للجهلة والعوام واحمق من
الانام في باب الدنيا ولن ترضى بالجهالة والحماقة في امر الدين والعقبى مع انك عرفت
ان ترك اسباب الدنيا جائز بل هو من وظائف المؤمنين وخصائص المتوكلين
ومرتبة العلماء العاملين وترك اسباب الاخرة جهل جلي بل كفر خفي كما قال الله تعالى
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك
كذب الذين من قبلهم وقال النبي عليه السلام والعاجز من اتبع نفسه وتمنى على الله
واذا عرفت هذا القدر من التفصيل في توجيه الحديث فالتاويل نقول ان قوله

عليه السلام حكاية عن الله تعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك
على ما كان منك ولا ابالي لا يدل على التوبة عن مجرد في مغفرة الذنوب اي ذنب كان على ما
يدل عليه قوله تعالى على ما كان لان ما عام والمغفرة عن مقيد بالتوبة لان التوبة عبارة عن
عزم القلب على ترك الذنب مع الندم لمعرفته قبح ذنوبه ومخالفته لامر مالكه وقوله دعوتني
ورجوتني يدل على ذلك ولو سلم عدم دلالته عليه قلنا وقد عرفت ان بعض احاديث
مقيد ومخصص ببعضها وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة ان حقوق العباد لا تغفر
بمجرد التوبة بل هي محتاجة الى الاداء او الاستحلال عن صاحبها وان مغفرة الذنوب مقيدة
بالتوبة كما قال عليه السلام لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك
وقال ايضا فمن علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا ابالي
وقال بعض الشراح مثل هذا الحديث صدر لغلبة الرجاء على الخوف لان صفة الرحمة
والعفو غالبة وقال بعضهم قال النبي عليه السلام مثل هذا الحديث عند غلبة الخوف
على الاصحاب وانت تعرف ان مثل التاويل لا يصح مثل تلك الاحاديث على ظواهرها
ولا يلتفت بها العاقل المتدبر والعامل المتحفظ على تطويل التاويل والكلام
في هذا الباب والمقام لان بعض علماء الانام سفهاء الاحلام ازالوا خوف العوام
واهلكوهم في مسالك التهاون والمنام بالافراط في باب الرجاء بظاهر الكلام

حتى سمعت ان يقول ان النار اعدت للكفار فلا يدخلها المؤمن وما نقلوا من
النصوص في باب التخويف والوعيد بمحض الزجر والتهديد كما قال الله تعالى فاتقوا
النار التي اعدت للكافرين وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
تجري من تحتها الانهار وقال النبي عليه السلام امتي امة مرحومة ليس لها عذاب
في الاخرة وقال الفقير للسامعين الناقلين كلامه لا تعتمدوا على كلامه فان العالم
الناقص والواعظ العام يفسد قلوب المؤمنين اكثر مما يصلحها كالطبيب الجاهل فانه كثيرا ما
يفسد ابدان المرضى بل يهلكهم فعلى حملة الشريعة طرفا من النصوص في باب الخوف
ليعدلوا قلوبهم واصلاحها وقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم
نارا وقودها الناس والحجارة ولو لم يدخل المؤمن النار لا يستقيم تخويفه منها
وبشر المؤمنون بالجنة بشرط مبادرة ايمانهم بالعمل الصالح وقال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في
السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
ولو كان قوله تعالى في حق جهنم اعدت للكافرين يدل على اختصاصها بهم لدل اختصاص
الجنة بالمتقين المتصفين بما ذكر في الاية الشريفة فلا يدخلها المؤمن العاصي المتصف بهما
فضلا عن المؤمن وقد علق الفلاح عن النار ايضا على من متصف بالاعمال

الشريفة الكثيرة في قوله تعالى قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون

والذين هم لفروجهم حافظون فهذا يدل ايضا على ان المؤمن لا ينجو من النار بدون
الاوصاف المذكورة واوعد المؤمن بخلود النار على القتل كما قال الله تعالى ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغلظ في حق تارك الحج كما قال الله تعالى ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر اي من ترك الحج بعد الاستطاعة
واوعد النبي عليه السلام على مؤمن ارتكب معصية بالنار كما قال عليه السلام
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر وقال
عليه السلام لا يدخل الجنة قتات ولا نمام وقال الصحابة في حق صحابي قتل
شهيدا هنيئا له الجنة فكذب النبي عليه السلام كلامهم وقال لعله تكلم بما لا يعنيه
وقال عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله بها
عليه سخطه الى يوم يلقاه وقال عليه السلام ان العبد ليتكلم بكلمة يضحك بها
الناس يهوي بها ابعد ما بين السماء والارض وقال بين العبد وبين الكفر
ترك الصلوة وقال من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر وقال عليه السلام في باب القصاص
من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها توجد من مسيرة اربعين خريفا
ولم يقسم النبي عليه السلام على الله بعدم دخولهم على المعصية بل اوعد بالخلود

فيما عليها وقال من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها
خالدا مخلدا ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه
في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وغلظ ايضا على بعض المعاصي وقال في شان حرم
المدينة من احدث في المدينة حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وقال اذا حضر جنازة من الصحابة
هل عليه دين قالوا نعم ولم يصل عليه وقال صلوا على صاحبكم وقال بعض
المحققين في تاويله لم يصل عليه لانه علم ان دعاءه لا يقبل في حقه لوجود الدين
في رقبته وقيل مدعم في الغزو بسهم عاير فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبي كلا
والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنائم لم يصبها المقاسم
لتشتعل عليه نارا يوم القيامة ومات كركرة فقال النبي عليه هو في النار
لعباءة غلها في المغانم قبل التقسيم مع ان مدعما وكركرة غازيان خادمان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومات ايضا رجل من الانصار يوم خيبر ولم يصل
النبي عليه السلام عليه فتغيرت وجوه القوم من الملالة فقال النبي عليه السلام
غل خرزا فوجدوا في ثقله خرزا لا يساوي درهمين وامثاله كثيرة وكم
ذلك التحمل على اهل العلم بظاهر الايات والاحاديث الذين يسلمان بان المومن لا يخلد

النار لاختصاصها بالكفار وان كل امة محمد عليه السلام مرحومة لا تعذب في الاخرة
لوجب عليه ان يحكم بالايات والاحاديث التي يدل على تكفير المومن بسبب ترك الصلاة والحج
ودخوله النار بل خلوده فيها بسبب المعاصي وهذان الحكمان متنافيان لا يذهب
على من له ادنى حظ من العقل والعلم اما قال المعترض ان حكمنا بتعارضهما ان
على زعم القائل والعامل بظواهر الايات والاحاديث والعاجز عن التاويل والتوفيق والحمل
بالترجيح والتحقيق لمنع السامعين عن الاعتقاد على قوله وحكمه والا
فقد عرفت ان لا تعارض في النصوص الشرعية وسمعت طرق دفع المعارضة
الظاهرية وتوفيق مثل تلك المدافعة بما ذكر مع المعترض الضوابط الشريفة والقواعد
المنيفة فاحفظها ولا تنسها فانا سنعيدها في مواضع متعددة من امور دينية
ونصونك عن البدع والزلل والضلالة والخلل لما عرفت ان سبب ظهور الاهواء
والبدع كان غالبا من العمل بظواهر النصوص الشرعية وعدم الاقتدار على التاويل
والتوفيق والترجيح والتحقيق بل كان ذلك سببا للاختلاف بين اهل السنة في الامور
الدينية والدنيوية بل للاختلاف بين اهل المذهب الواحد والملة الواحدة ومن ذلك
ما قال ايضا بعض العلماء بالنظر الى الظاهر والصورة والنظر عن الجمع والتحقيق
والدقة ان العلم المجرد افضل من العبادة ويحصل به النجاة ورفعة الدرجة

ولا يحتاج الى اتعاب النفس في التكاليف الشرعية الشاقة فصار ذلك سببا للضلال والا[ضلال]
كثير من المتعلمين والجهال يعتقدون على صدق هذا المقال الصادر ممن اشتهر بالدرس
والافضال في علم المجادلة والعقال فصار ذلك سببا للتكاسل في تحصيل النفس
وتكميلها بالتورع والاعمال وقد سمع العوام ان هذا السبيل الى اصل العلم يقول قال الله
تبارك وتعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال وهل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال النبي عليه السلام فضل العالم على العابد
كفضلي على ادناكم وفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ولم يتقيد تفضيل العالم
فيها باقتران العمل بالعلم فهم منه ان مجرد العلم سبب الكمال والفضل في الدنيا والا[خرة]
فان العقل والنصوص الدالة بظاهرها على فضائل العلم وكونه سبب النجاة والفوز بدون
القيد باقتران العمل اكثر واطلع مما ذكرت وكافيك في شان ذلك قوله تع الله الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل
شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقوله تع وعلم ادم الاسماء
كلها ثم عرضهم على الملئكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم قالوا سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم وفي الايتين انواع من الدلالة
على فضيلة العلم بالنص والاشارة يطلع عليها اهل الفطانة وان ادنى تان

يسمع بعضها فاعلم ان المفهوم من الاية الاولى ان المصلحة والحكمة من خلق العالم
وتنزيل الوحي وارسال الرسل وانزال الكتب العلم الديني لكن اقتصر على ذكر بعض
تفاصيل العلم لانها شرفه واكتفى به عن ذكر الباقي رعاية لاسلوب البلاغة بحسب طريق
الوجازة لما عرفت ان اصل العلوم الدينية علم العقائد وافضلها واهمها معرفة
ذات الله والصفات فاحصر فيهما على اثبات كمال القدرة والعلم لذاته المؤدي
الى معرفة وحدانيته وكمال ذاته وذلك باعث تام ومحرض قوي على معرفة الباقي
من العلوم الدينية وتوفيه وظائف العبادات الشرعية على اقصى الجهد والطاقة
فلذا اكتفى به في شان خلق العالم وتنزيل الوحي ولما امل ذكرنا ان نقول لما كان غاية
خلق العالم وحكمة العلم بكمال قدرة الله تع وعلمه يدل ذلك على فضل العلم الديني وكماله
بابلغ الوجوه واعلم ذلك كله قرينة عليه ولا تغفل عن النكتة البهية والحكمة
الرقيقة الخفية واعلم ايضا ان المفهوم من الاية الثانية تفضيل ادم عليه السلام على الملئكة
المشهورين الكاملين في العبادة بالعلم فالظاهر انه لو وجد تفضيل افضل واعظم
من العلم لفضل به وان جاز عقلا ان ذلك الفضل فيه حكمة خفية مخصصة وان لم يتوقف على
باقي المفضلات بفضلها الملائكة لما اطلعوا باعلام الله تع على ان بني ادم
يصدر منهم المعاصي المتنوعة فسالوا عن حكمة خلقهم وقالوا اتجعل فيها من يفسد

قربا ونقدس لك الدماء بل هي مصلحة خلق ذوي العقول معرفة الخالق والجد في المواظبة
على عبادته وهم اهل المعصية والمخالفة ونحن علمنا في الظاهر مصلحة خلقهم اذ لا
مصلحة فيه بحسب عقلنا الا الطاعة ولذا قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك والا لا
المقام ما يفهم منه عجبهم فاجابهم الله تعالى في جوابهم وتعليم مصلحة خلقهم اني اعلم
ما لا تعلمون يعني انتم تعلمون الظواهر والحواضر ولا تعلمون البواطن والغيبيات
وفيه رمز الى ان في خلقة ادم مصالح عظيمة جمة وفضائل جسيمة شريفة ومن
جملتها العلم الكامل وهو افضلها ولذا فضله عليهم ثم بين ذلك بقوله وعلم آدم الاسماء
كلها حاصل الكلام المناسب للمقام ان ادم خلق من اخس السفليات وهو الحماء
المسنون وهو قابل لصدور الفساد والسيئات والملائكة مخلوقون من النور
ومشرفون بانواع الذكر والعبادات واصناف المحامد والتسبيحات لا يفترون
عنها في المدد الطويلات ومطهرون عن المعاصي والمنقصات فاذا فضل ادم بالعلم
مع ذلك الاصل والعنصر الردي والقصور في الوصف والحال الوفي على اولئك الملائكة
المشرفين بالذات والانفس الشريفة والوصف والاحوال السنية فهم منه ان العلم
اليقين مفضل على العبادات المديدة الدائمة واذا فهمت هذا فلنا ان نقول هذا بالنظر
الى الظاهر الجلي والنقلية والقصور عن الجمع والتحقيق الحقي لان الايات والاحاديث

الدالة على فضائل العلم كثيرة جدا والمذكور بعض قليل منها لكن النصوص النقلية
والبراهين العقلية القاطعة الراجحة تدل على ان فضيلة العلم تقدح باقران
تحصيل النوافل من العبادات الا عبادته والخلقية والعملية والاحتراز
عن العوارض والقوادح المفسدة والعوائق والعلائق المنقصة كما بين
تفاصيله في العلوم الدينية وان اردت ان تعرف بعض الدلائل النقلية
والعقلية لعدم اطمئنان نفسك بمجرد سماع الاصول الشرعية فاعلم ان
الله تبارك وتعالى قال يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تعالى اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال تعالى ولقد
علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم
لو كانوا يعلمون وفي الايات تهديدات شديدة وتصحيحات عديدة على
على التاركين العمل بعلمه تعرف تفاصيلها من له حظ من وطائفة الاستدلال
وفيها ايضا رموز واشارات لا يطلع عليها الا ارباب القلوب والكمال
وما فهم من ظواهرها ان العلم الغير المقرون بالعمل سبب القهر والعذاب فكيف
يكون سبب النجاة والثواب لان المقت شدة الغضب والبغض ولم يكف

في الذم والوعيد بل هو بالكر لنهام الشديد وذلك بعيد كالانكار والتعيير عليهم
بصريح الاستفهام وفي الاية الثانية انكر العقلاء الامرين بالمعاصي والتاركين لها
مع وجود المانع القوي عن الترك والباعث التام على العمل من العقل وعلم كتاب
الله وفي ذلك توبيخات وتجهيلات متنوعة وتصريح بتضليلات شنعاء
من جعل امور انفسهم انقص من انفس الغير وترك اهتمامهم بتخليصها من القهر
والعذاب وعدم علمهم بكتاب الله وعدم استماعهم به مع قابليتهم له وحصول
استعدادهم بالعقل والعلم وفي الخطاب بهم في الايتين اشد زجر وتغليظ
وتغليظ فهم وتجهيل لما عرفت ان العتاب والتسخط بالمشافهة اغلظ واشد وفي الاية
الثالثة جعل علمهم بمنزلة المعدوم لعدم عملهم به وانت تعرف ان لا احترام للعلم
وفيها ابصار ان لهم احبوا انفسهم عن الكمالات الدنيوية والاخروية بعد
اتعاب انفسهم في المدد الطويلة في تحصيل اسباب الكمال والالة مع سهولة
الدخول في وقت الوصلة والى انهم اختاروا الامور الرذيلة الفانية العليلة على الامور
الجليلة الباقية الكاملة مع علمهم بذلك وفيها تشديدات وتوبيخات اخرى
وكل ذلك لعدم عملهم بعلمهم وان النبي عليه السلام قال من طلب العلم ليجاري
به العلماء او ليماري به السفهاء او ليصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار وقال

عليه السلام ان اول الناس يقضى عليه يوم القيمة رجل تعلم العلم وعلمه
وقرأ القرآن فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم
وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم وعلمته ليقال عالم
وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب الى النار وقال عليه السلام
من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد عند الله الا بعدا واذا فهمت ما ذكرنا من
الايات والاخبار علمت ان مجرد العلم بدون العمل لا يجدي بل يردي وان النصوص
الدالة بظاهرها على ان مجرد العلم يكفي في الفضل والكمال مقيدة بما ذكرنا كما ان ايات
الثواب الى العمل وتعليل الخلود في الجنة في مواضع كثيرة كما في قوله تعالى جزاء بما كانوا
يعملون جزاء بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
جنات تجري وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى خلق
الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا لا تدل على ان مجرد العمل بدون العلم
يكفي واذا سمعت هذا القدر من النصوص الشرعية الواردة في باب العلم والعمل
نسمعك طرفا من الدلائل العقلية الدالة على ان العلم المجرد لا يشفع
السالك ولا يرشد الناسك فاعلم ان العلم بضاعة نفيسة وفضيلة سنية لكنها
وسيلة الى السعادة اذ لا بد لكل من يطلب تكميل درجة السعادة وتحصيل مرتبة

الاستقامه من ان يعرف ولا عظيم معبوده بقدر الوسع والاحتمال كمال اتصافه
بنعوت الجمال والجلال حتى يجتهد في توفية وظائف طاعته على قدر وسعه وطاقته
ومقدار فهمه ومعرفته كما قال الله تع انما يخشى الله من عباده العلماء وقال النبي عم
اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له وافهم من ذلك بان نتيجة العلم الخشية والتقوى
وكل عالم لم يوجد له تعظيم الله بملازمة طاعته والخوف عن مخالفته لا يعتمد عليه
وكذلك لا بد له من ان يعلم العبادات الخلقية والعملية باركانها وشرائطها واداتها
ومفسداتها ومقتضياتها وفوائدها في الدنيا والاخرة حتى يجتهد فيها ايضا بقدر
معرفتها ويتصور فوائدها وان يعرف ايضا المعاصي ومضراتها حتى يجتنب عنها بقدر معرفته
بمضرتها وعدم قدرته على تحمل عقابها ولا يجترئ على ارتكابها فيها وان الوسيلة لا
تنفع بدون احراز المقصود بها كمن علم ان الاغذية والاشربة تسد الجوع والظماء ولم
ياكل ولم يشرب مع قدرته عليهما يموت بالجوع والظماء ولا ينفعه علمه بان الاكل
والشرب يسد الجوع والظماء ومن علم ان النار محرقة والبحار مغرقة والعدو في النار
والبحار هالك ولا ينجيه علمه من النار والبحار ومن ذلك ان من علم ان المعاصي مهلكة
والمعصية مردية ولم يشتغل بالطاعات ولم يجتنب عن المعصية لا ينفعه علمه فيحرم
عن النعيم في دار القرار ويقع في عذاب النار لعدم النفع في الامور الشرعية

اقوى وارجح لان ترك اسباب الدنيا جائز في الجملة وترك اسباب الاخرة غير
جائز لان التخلف فيها غير جائز شرعا وعقلا كما قال الله تع ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم ويعرف ان الكذب في خبره محال كما قال الله تع ان الله
لا يخلف الميعاد وقال ولن تجد لسنة الله تبديلا والتخلف في الاسباب الدنيوية
جائز كعدم حصول الشبع بتناول الاغذية كما فيمن له جوع الكلب وعدم حصول
الري بالاشربة كالمستسقي وجواز الشبع بدون اكل الاغذية والري بدون
شرب الماء كالملائكة ونقص الرى واذا سمعت ايضا طرفا من الدليل العقلي
الدال على التجرد العلم لا يسع اطمان في قلبك كما قال العمر ويعرف ايضا ان
العبادة لا تتصور بدون العلم وكيف تكون سببا للفضيلة والكمال بدونه
ويعرف الجمع والتوفيق والتاويل والتحقيق في النصوص الواردة في باب
العلم والعبادة الدالة بظواهرها على ان محض العلم ومحض العمل سبع وبحي
واعلم ايضا ان العالم في اصطلاح اهل الشرع من عمل الفرائض وصرف ما في
اوقاته الى تحصيل العلوم الدينية والفنون النفيسة والعابد من تعلم من العلم
بقدر ما وجب عليه تعلمه وصرف باقي اوقاته الى نوافل العبادات فهذا العالم
مفضل على هذا العابد فان قلت هذا العابد مشغول بالمقاصد وذلك العالم

مشغول بالوسائل فكيف يحصل عليه ولما قد عرفت ان جهات التفصيل والترجيح
متفاوت وسعا ويزاد بها ذلك بل تفاضل جهة واحدة على جهات شتى من المفضلات
كالعلم فان الكامل في العلم الديني مع الاقتصار على العبادات الواجبة
مفضل على من يجمع فيه حسن الخط والصوت والشجاعة والسخاوة والزهد والعفة
وانواع العبادة كما سمعت نصوصا شرعية تدل على ذلك وذلك باعتبار الثمرات
لان العابد يشتغل بتخليص نفسه وتكميلها والعالم يرشد الناس الى عبادة الله تع
ويكون سببا لقربهم ونجاتهم عن العذاب ويتخلقا بصفة العون والرافة على
خلق الله وهو في نفسه عابد ايضا فيكون كاملا ومكملا ولذا فضل
درجة الرسالة على الولاية وان كان الولي مشتغلا بعبادة الخالق ومشرفا
بالكشف والتجلي والرسول يشتغل بالخلق والمجادلة بالكرهم ولكل الحكمة والاكرم
من احسن عند فساد امتي فله اجر مائة شهيد فان قلت يفضل ادم عم على الملائكة
كان في اول خلقته ولم يصدر منه عبادة بعد فدل ذلك على مجرد العلم يكفي
في التفضيل قلنا لا نم ذلك لما عرفت ان العبادة بالاقسام اعتقادية وخلقية وعملية
وافضلها واصلها الاعتقاديات ولم يجب على ادم عم في ذلك الوقت سوى
الاعتقاد بوحدانية الله تع وصفاته وقد حصل له ذلك في ذلك الوقت

على وجه الكمال والقران فيكون علمه مقارنا لما وجب عليه من العمل واعلم
ان الملائكة نظروا الى مادة ادم وقابليته للمعاصي وغفلوا عن قابليته
للكمالات الحاصلة من امتزاج الامور الروحانية كالروح والعقل والقلب
والنفس الناطقة المطمئنة بالامور الجسمانية من الات العبادة وقواها
وعن كونه مظهر الجمع صفات الله تع وافعاله المختلفة التي لم يجمع في مخلوق
قبل ادم عليه السلام كما اشار اليه النبي عم بقوله ان الله تع خلق ادم في
صورة الرحمن وقوله تخلقوا باخلاق الله ولو لم يكن لادم قابلية لتلك
الكمالات العالية لما افاض عليه في لحظة واحدة علما عجز عنه الملائكة
المقربون ولتلك النكتة والدقيقة قال المحققون الانسان الكامل افضل
من الملك الكامل والمعتزلة ينكرون ذلك لغفلتهم عن تلك الدقيقة
ونظرهم الى مجرد المادة ولا نغفل انها الحجة المدرس والسامع المتذكر حين قال
لتلك ولا يهدرها بالتهاون في تحصيل المكملات من العلوم الدينية والعبادات
ولا يبذل العمر الى الايام بكثر العبادات لما عرفت ان باب العلم والعبادة
احرى باضعاف ما ذكر من التفضيلات والموهبات لان الانسان الذي
هو العالم الاصغر والسموات والارض وما بينهما الذي هو العالم الاكبر

لم يحصل الا للعلم والعبادة كما سمعت فيه بعض الدلائل والبينات

باب ما يقال عند الصباح والمساء

قال النبي عليه السلام ما من
عبد يقول عند صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه
شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلث مرات فيضره شيء وفي
رواية لم يصبه فجاءة بلاء فان قلت كم من عبد قال في صباحه ومسائه هذا
الذكر والدعاء لكنه لم يدفع عنه البلاء قلنا قد مر جواب مثل هذا الاعتراض
في باب الدعاء فلعله انما لم يدفع لانعدام شرط من شروطه كعدم حضور
قلب القائل وضعف اعتقاده او لانعدام كون البلاء من المعلقات وقد عرفت
ان خواص الاشياء وآثارها يمكن ان لا يترتب عليها لوجود المانع وقال النبي عم من قال
حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالهن
حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته فان قلت يفهم من عموم ما فاته ان بهذه الكلمات
الشريفة ما فاته من الفرائض كالصلوة والصوم وتلاوة جزء من القرآن قلنا
قد عرفت ان بعض الحديث مخصص ومقيد بالبعض ولا باس بالنصوص الظاهر

الراجح ان ثواب الفرائض لا يحصل بالدعاء والقراءة والذكر الكثير وان العمل
من العبادات اليسيرة لا يقوم مقام العبادات الكبيرة الكثيرة فيقول هنا المراد
منه بيان كثرة ثواب قراءة تلك الآيات الشريفة في اليوم والليلة على وجه المبالغة
لا بيان قيامها مقام كل الفوائت في اليوم والليلة ويمكن ان يقال معناه ادرك
ما فاته من شكر يومه وليلته كما جاء في بعض الاحاديث ذلك صريحا
فان قلت اذا كان المراد شكر اليوم والليلة لا يحتمل عموم التأويل قلنا ان لم
من شكر اليوم ثواب كثير ويحتمل ان يراد منه ما فاته من النوافل المؤدية في
اليوم والليلة لحصول تعدد الاسباب المرعية كما قال النبي عليه السلام خلق
كل انسان من بني آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله
وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس او شوكة
او عظما او امر بمعروف او نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلثمائة فانه يمسي
يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار وقال ان كل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة
وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر
صدقة وفي بضع احدكم اهله صدقة وكما قال من قال حين يصبح اللهم ما اصبح
بي من نعمة او باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر

فقد ادى شكر يومه ومن قاله مثل ذلك حين يمسي فقد ادى شكر ليلته
قال النبي عليه السلام اذا قال المؤمن بعد انصرافه عن صلوة المغرب
قبل ان يتكلم اللهم اجرني من النار سبع مرات ثم مات في ليلته ذلك كتب له
جواز من النار واذا قاله بعد صلوة الصبح ومات في يومه كتب له جواز من
النار فان قلت لعل القائل بهذه الكلمات هو ثابت بالمعاصي والكبائر من قتل
النفس بغير حق والربا وترك الفرائض فكيف يخرج هذا الدعاء من النار قلنا
قد عرفت مرارا ان بعض الاحاديث مبين ببعضها فالمراد ان دعاءه
يقبل اذا اجتمع شروطه او من شاء ان يخرج اذا لم يعارضه معارض
من فعل موجبات النار بمقتضى الوعيد فهذا التوجيه باول الزجر
عن النار في الحديث السابق ويحتمل ان يراد من المؤمن جنس المؤمن
فيعم باجات البعض ببركة عامة بدعوة وجزيه واخلاصه وتحصل
رضاء ربه فيه كما عرفت مثله في القضايا المذكورة وتدبر ايضا واشال
هذه التوجيهات مرت مرارا لكن العمر يكررها ويعيدها للتيسير على المبتدين
لان المتعلم اذا لم يحفظ في قلبه ما سبق يتردد ويحتاج الى الاستفسار
والعود الى مطالعة القواعد والاجوبة فيتعب في استنباط الجواب ويعسر

والتيسير من اسباب جلب رحمة الله تعالى كما قال النبي عم الله في عون العبد ما دام
العبد في عون اخيه المسلم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واذا
ذلك لا تعد العمر مملا ومكثرا بل اجعله مطنبا وميسرا

باب الدعوات في الاوقات

قال النبي عليه السلام من قال في سوق جامع
ساع فيه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة
ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وبنى له بيتا في الجنة
فان قلت قد ذكر فضائل هذا الدعاء في مواضع كثيرة ولم يذكر من المبالغة
في ثوابه مثل ما فائدة تخصيص ذكرها بالقول في السوق قلنا يجوز ان يكون هذه
المبالغة باعتبار الوقت والحال فان السوق محل الاشتغال بامور الدنيا وبيت
ازدحام الغفلة والوساوس النفسانية وتراكم الهموم والغوايات الشيطانية
فمن غلب في ذلك المكان والحال على هوى النفس الامارة واشتغل بالذكر والدعاء
يكون قوي القلب والثبات في باب العبادات فيكون فضيلة ذكره اكثر مما سواه
كما قال النبي عليه السلام افضل الاعمال اشقها وقال عليه السلام احب الصلوة
عندي صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ثم ينام سدسه واحب الصيام

صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وسر زيادة محبة صومه وصلوته على سائر
زيادة مشقة النفس فيهما لان الصائم والمصلي اذا استمر اعتاد النفس ولا سام
كما سام في صيام داود وصلوته وذلك معلوم ومنقول بالتجربة والوجدان
ويمكن ان يقال المراد من الالوف المذكورة بيان كثرة ثوابه لا الحصر لورود الاختلاف
في ذكر فضائل هذا الذكر كما قال النبي عليه في بيان الوقوف بعرفة خير الدعاء دعاء
يوم عرفة وخير ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال في موضع اخر من قال لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اذا اصبح
كان له عدل رقبة من ولد اسمعيل وكتب له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي وان قالها
اذا امسى كان له مثل ذلك وقال في موضع اخر من قالها في يوم مائة مرة كان له
عدل عشر رقبات وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من
الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء الا رجل عمل اكثر
منه واذا تاملت فيما ذكرنا من الاختلاف فهمت ان الالف والالاف بيان ثواب الالاف
من بيان ثواب ذلك الذكر باختلاف الصياغة لكثرة ثوابه لا الحصر كما علم

التدافع لانه عليه السلام قال من قال مائة مرة كان له عدل رقبة وعشر حسنات
وقال ايضا من قالها مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة والظاهر انه
يقول في الاول عدل رقبة من ولد اسمعيل وكتب له الف حسنة حتى يوفق الحديثين
لكن لما كان المراد بيان كثرة ثواب ذلك الذكر لم يوافق بين المقدارين ويمكن ان
يوفق ويقال ولم يراع المقدار الموافق في الثاني لعدم فوته ولم يات احد بافضل مما جاء
به الا رجل عمل اكثر منه مقام الزيادة ويقال يكون ثواب الثواب في السوق
لزيادة قوله يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير لكن يعرف الفرق بين الجملات
الفعلية والاسمية والجملات المخصصة فان قلت [illegible] الاولى التوقف لا تثبت لكن
[illegible] في شهر اخر في باب الدعاء وهي ان قراءة القران افضل من الاشتغال
بالاذكار المذكورة لما ثبت بالحديث من فضيلة كلام الله تعالى على كلام الخلق كفضيلة ذاته
على ذوات الممكنات فيجب على هذا ان يشتغل النبي عليه السلام بقراءة القران دون الاشتغال
بالاذكار لان ترك الافضل والاعلى الى الاشتغال بالمفضول والادنى لا يليق بشأن الهمة في العبادات
والامور الدينية قلنا لا نسلم ذلك اذا لم يكن فيه مصلحة اخرى مقتضية له اذ يكون
ان يكون الاشتغال بالاذكار والدعوات المعينة بعض عبارة القران لعدم وجدان عبارة
في القران موافقة للمقصود في الذكر والدعاء والتحميد والاستغفار والتسبيح

لما عرفت ان مقاصد الانسان ودواعيه وحاجاته تختلف وتتنوع وبها يقصد العبد
ان يحمد الله ويسبحه ويتضرع اليه ويسال حاجته بعبارات موافقة لمقصوده ولا يجد
في القران عبارات مناسبة له فيضطر الى ان يعبر عنه بعبارات غير قرانية واذا لم يطلع
عن قلبك ويسكن التردد بهذا الاصل المجمل والكلام المبهم نورد لك شيئا لا يمكن
في قلبك بالاصل ويبين في فهمك ما اجملت فاعلم ان النبي عليه السلام اذا اراد الركوب
يكبر ثلاثا ثم يقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون لا يجد
بجميع عبارات قرانية مناسبة لمقصوده ودعائه وقت الركوب وقال عليه السلام في بعض
اسفاره اللهم انا نسالك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون
علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني
اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال وذلك لا
يجد عبارات في القران تؤدي مراده في السفر بتلك العبارات وتعوذ ايضا في بعض
الاوقات بالمعوذتين لتوافق المعوذتين لاداء مرامه في التعوذ وتعوذ في بعضها
بقوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم وفي بعضها
تعوذ بغير من المعوذات المشهورة لانه قد يتعوذ من الحية والظالم والسباع
وغيرها من انواع المصائب فاذا لم يجد من القران ما يؤدي به مراده دعا بغير عبارته

وقس لما في من التحميدات والتسبيحات والتهليلات والدعوات في الدخول
والخروج والاكل والشرب واللباس والنكاح وغيرها من الامور الدينية والدنياوية
بما جاء في الاحاديث الصحيحة الثابتة بانه لم يمكن ان يوجد في كل واحد منها عبارات
قرانية تدل على مراده بالعموم والاجمال فلما وجدنا ما يصرح وان سلم قلنا مقام التصريح
والتفصيل غير مقام التعميم والاجمال ويجب على المبلغ ان يراعي كلا ويمكن ان يقال
نحو ان يكون العدول الى غير عبارات القران في بعض الوقت لكونه غير متوضئ او غير
طاهر او في وضع وحال ووقت ومكان لا يليق بها قراءة القران بان يكون مضطجعا
او في حمام او سوق وجماعة يشتغلون بامور الدنيا ولا يفهمون القران ويؤيد
ذلك قوله عليه السلام نهاني ربي ان اقرا القران في الركوع والسجود وقال بعض
المحققين لان الركوع والسجود من اوضع الاحوال او يكون العدول لانعدام
الذوق والنشاط وذلك امر وجداني وطبعي لا يقدر الانسان على دفعه ولذا
استراح النبي عليه السلام بعد التهجد ليعود نشاطه لصلوة الفجر وقال المحققون
يكره المجاورة في الكعبة لان كثرة الرؤية يوجب زوال التعظيم بالطبع لان الا
نسان وبما يؤيد ذلك ان ارباب الرياضة قالوا اذا سئم النفس من ملازمة
الذكر والطاعة والمطالعة ينبغي ان يشتغل بامر مساو او مشروع او مباح

كالمحادثة مع الاهل والاقارب والولدان او مع الصلحاء والاخوان حتى يعود البساط
والذوق في العبادة ثم يشتغل بها وللسالك الذي عليه السلام بالمزاح المباح في
بعض الوقت لدفع سامة النفس الطبيعي في الطاعة او تسلية قلوب الصحابة حتى
ودفع وحشتهم واستعماله خاطرهم حتى يشتغلوا بالوعظ والنصيحة وسائر ما
يهمهم من الامور الدينية والدنيوية المشروعة هذا ما خطر على الخاطر الفاتر
في وجه العدول والله الموفق للصواب

باب دخول مكة

قال النبي عليه السلام نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته
خطايا بني ادم وقال والله ليبعثه الله يوم القيمة له عينان يبصر بهما ولسان
ينطق به ويشهد على من استلمه بحق قال بعض الشراح في توجيهه يحتمل ان يكون
عبارة وسائر في تعظيم شان الحجر وشان شرفه وعينه وبركته وفي تعظيم
شان الذنوب يعني ان لها تأثيرا في الحجر فكيف في قلوب بني ادم وان يراد به الظاهر
الظاهر وقد عرفت ان عادة اكثر اهل الشرع اجراؤهم النصوص الشرعية على ظواهرها
وعدم اخراجها عن ظواهرها بدون الضرورة الداعية الذي من قرينة عقلية
سمعية ونقلية قوية راجحة لكن بعض الخائضين في العلوم الشرعية من العلماء
الرسمية يتكاسلون ويخرجون النصوص الشرعية عن ظواهرها بدون

الضرورة كما ترى الفلاسفة واهل الاهواء يخرجون النصوص الشرعية
القوية الدالة على ان المراد ظاهرها ويحرفونها بالتكلفات لمصادمة قواعد
اللغة واصول الشريعة والتاويلات السخيفة السفيهة الى ما يناسب هواهم كما
يناسب الزمخشري يحرف في كثير من الآيات الظاهرة في هدم مذهبه الى ما يناسب
زعمه الفاسد واصله الكاسد ومع ذلك الربع الظاهر والتعصب التام اكثر
اكثر العلماء على الكشاف يشرح بشرح واصلاح كلامه كاستحسانهم في تاويلاته
الراجعة الى الحل الراكب على اصل العربية واعتبارات الواردة على سائر البلاغة
والقواعد السابقة وغفلوا عن ان ذلك يؤدي الى تعظيم اهل الاهواء بل
الى ترويج مذهبه عند المبتدئين من العلماء فالاولى لهم ان يشتغلوا بالنقل
التفسير وايراد اعتباراتهم الدقيقة وتاويلاتهم الرفيعة فيه حتى لا يلزم المحذور
واذا عرفت ما ذكره بعض الشراح فاعلم ان الاحكام الشرعية اذا كانت من احوال
القبر والحشر والحساب ووزن الاعمال والمرور على الصراط وتكلم الاعضاء
واحوال الجنة والنار وغيرها من امور المعاد ينبغي ان لا يخرج النصوص الدالة
عليها عن ظواهرها بدون الضرورة الداعية من وجوه البرهان العقلي المستقيم
الدال على امتناع اجرائها وحملها ووجود نص نقلي شرعي راجح دال

على خلافها لان اكثر احكام المعاد والآخرة على خلاف احكام الدنيا والعادة لكن
النصوص الواردة في غير احكام الآخرة يمكن ان يخرج عن ظواهرها المخالفة للعادة كما عرفت
ان قربه المحال قد يكون عادة فعلى هذا يمكن ان يكون الحجر الاسود من احجار الجنة
وانه كان اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم على خلاف العادة لاظهار شأن
احجار الجنة ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ان الركن والمقام ياقوتتان من
يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا طمس نورهما لاضاء ما بين المشرق
والمغرب ويمكن ان يراد منه التمثيل المذكور لان ذلك من وجوه احكام الدنيا
وخروج عن ظاهرها بسبب العادة

باب النكاح

قال النبي عليه السلام الشؤم في المرأة والدار والفرس وفي رواية الشؤم
في ثلث في المرأة والمسكن والدابة واختلف الشراح في توجيهه قيل هذا على طريق المثل
لا القطع لما في حديث سعد ابن وقاص ان يكن الطيرة في شيء ففي المرأة
والفرس والدار وقيل ليس المراد منه الطيرة بل شؤم الدار ضيقها وسوء
جوارها وشؤم الفرس ان لا يذهب بها الى الغزو وشؤم المرأة ان لا تلد وقيل
شؤم الفرس شموسه وشؤم المرأة غلاء مهرها وسوء خلقها قال الخطابي
اليمن والشؤم اسمان لما يصيب الانسان من الخير والشر وهذه الاشياء الثلثة

ليس لها تأثير بل الناس يتشاءمون بها وخصت هذه الاشياء بالذكر لانها اعم الاشياء التي
يتشاءم بها الناس ولله در الخطابي ما اقرب كلامه الى التحقيق في الكلام الدقيق فاعلم
ايها الدقيق طالب التحقيق ان الاحاديث الكثيرة واردة في مدح المرأة والفرس والمسكن
كما في المرأة الصالحة وكون الغزاة بل في مطلقها وتكثير النساء والاولاد والمساكن
اللتي يحبها الله فيحتمل ان يقال شؤم المرأة والدار والفرس لا يمكن ان يكون باعتبار ذواتها لانها لا تلائم
الدافع بل يجب ان يكون باعتبار امر عارض ويقال ايضا تخصيص هذه ليس
للحصر وان دل قوله الشؤم بظاهره عليه لان الشؤم يوجد في غيرها من الشركاء
والرفقاء والخدام فيكون تخصيص الثلثة المذكورة للشؤم باعتبار الكثرة
وانما له كثير كما قال النبي عليه السلام خصلتان لا تجتمعان في مؤمن ... كتاب له
لا يكلمهم الله يوم القيامة اربع من كن فيه لعنهم الله ... من كن فيه
وجد فيهن حلاوة الايمان ثلثة من كن فيه نشر الله ... حقا سيظلهم الله في
ظل عرشه وليس المراد من الاعداد المذكورة الحصر لما عرفت بالنقل والحس ان الاحكام
المذكورة يوجد في غير تلك المعدودات فيكون فائدة التخصيص فيها ايضا
كثرة وجود تلك الاحكام فيها واذا عرفت ذلك فاسمع في تأويل الحديث كلاما ابسط
واظهر مما ذكره الخطابي من ان المراد من شؤم المرأة ما يتأذى به زوجها او مالكها من سوء

فعلها وحلها كما قال عليه السلام حسن الملكة يمن وسوء الخلق شوم ولا باعسار
ذاتها لان النبي عليه السلام قال الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المراة الصالحه
وكذا الامر في الفرس لكن الدار حاله لا تصدر منها الفعل والخلق السيء فيكون
المراد من شامها ضيقها او عدم موافقة هواها او سوء جارها بان تكون في مجاورة المزبلة
او الوحل والغور لما ان قوما سكنوا منزلا فرح هوا مسكنهم فقال عليه السلام ذروها
ذميمه وقال عليه السلام ان من الشوم والبلاء ان الفرس المنزل الوحشي
اللئام او يكون باعسار جوارها بان تكون في محلة الفساق واهل اللهو والظلم
فان الساكن فيها يتاذى من روية المنكرات وسماع الملاهي وان الطبيعه تسرق
منهم الميل الى المنكرات من غير ان يشعر صاحب الطبيعة على سرقتها وذلك وجداني
يوجد في غير اهل الثبات

باب المناسح

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اعزل امراتي فقال لم تفعل ذلك
قال اشفق على ولدها فقال عليه السلام لو كان ذلك ضارا ضار فارس والروم
عن جذامة بنت وهب قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في اناس وهو يقول
لقد هممت ان انهى عن الغيلة فنظرت في فارس والروم فاذا هم يغيلون اولادهم
فلا يضر اولادهم ثم سالوه عن العزل فقال عليه السلام ذلك الوأد الخفي

يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقتلوا اولادكم سرا فان
الغيل قد يدرك الفارس فيدعثره ما وقع بين الحديثين تدافع قلنا اجاب بعض الشراح بان معنى
قوله لو كان ذلك ضارا ضر فارس والروم انه ليس كون الضد موثرا في المرض وقوله
عليه السلام فان الغيل يدرك الفارس اعلام كونه سببا في المرض
وقيل نهى الازواج عن مباشرة المراضع وخصت الامهات في الارضاع
حال الحمل لئلا يهلك الرضيع وقد عرفت مثل هذا الجواب فيما قد مر من الضابط
في دفع التعارض باختلاف الجهة لان جهة المؤثر غير جهة السببية ويمكن الجمع
ايضا بحمل النهي عليه السلام عنه على الفعل ثم اطلع على مضرتها او بالعكس
لان ذلك يحصل في الامور الدنيوية بل في الدين

باب العتق

قال النبي عليه السلام من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل
عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وقال من اعتق نفسا مسلمة
كان فديته من جهنم ولا يخفى ان المحرر عن الرقبة سبب لتخليص الناس
للعتق فمن المتحقق بل مقتضاه من شانه ان يخلصه ادام يتعارض بمعارض
من مخصصات دخول النار او المراد به لازمه وهو التحريض على الاعتاق
بوجه بليغ وصريح فان تصور تخلصه يستلزم اعانته في العادة الرغبة

والعموم الا بنيته

باب الايمان

من حلف بغير الله فقد اشرك معناه فقد فعل فعل المشرك لانه يعظم
غير الله بقسمه بغيره ولو خصص غير الله بالقسم يكون كافرا حقيقة

باب فضل النذور

قال النبي عليه السلام
لا ينذروا فان النذر لا يغني من القدر شيا وانما يستخرج به من البخيل مال
فان قلت النذر امر مشروع حتى مدح الله به المومنين بالنذر بقوله يوفون
بالنذر وكيف نهى النبي عليه السلام عنه قلنا كون النذر امرا مشروعا
يدل على ان المراد من الحديث غير ظاهره معناه لا تنذروا على الوجه الاخص المخالف
لما هو حكم معتقدا على ان النذر يدفع الامر المقدر النبيه فيكون النهي
راجعا الى القيد وهو اعتقاد ان النذر يدفع كل بلاء وقوله فان النذر
لا يغني من القدر شيا وانما يستخرج به المال من البخيل يدل على ذلك القيد
والا لا يكون له وجه ربط بما قبله فان النذر المطلق لا يكون لدفع
القدر ولا بالمال حتى يبخل به فيكون الانذار للنهي عن النذر المقيد الذي
يدل على قبح البخل بقوله فان النذر لان بذل المال عند الاضطرار ليس
دفع البلاء والفساد دون بذل حاجة الفقير بالاحسان يدل على علو همته
على المال وانه لا يبذل الا لدفع الاضرار فبعد الكلام لا ينذروا بالمال
لدفع البلاء معتقدا على انه يدفع الشر لان النذر لا يدفعه بدون ذلك الاعتقاد
نحو فيكون النهي راجعا الى سوء الاعتقاد والبخل لا للنذر المطلق

باب القصاص

قال النبي عليه السلام اول ما
يقضى بين الناس يوم القيمة في الدماء فان قلت قال النبي عليه في باب العلم
ان اول الناس يقضى رجال ثلاث شهيد وعالم وغني مراءون قلنا
قد عرفت فاعرف التوفيق قيل يجوز ان يكون اول ما يقضى في المظالم
وحقوق العباد الدم واول ما يقضى من جهة الرياء الرجال الثلثة ويؤيد
ذلك قوله عليه السلام ان اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة من عمله
صلوته لان الاولى مقدمة فيها حسن العبادة ويطرح ما عسى في بعض الاحاديث
ان اول ما خلق الله العلم وفي بعضها اول ما خلقه الموس وفي بعضها
اول ما خلقه روح النبي عليه السلام فاول ذلك بان المعنى اول ما خلق من
جنس الاشجار العلم ومن جنس الافلاك الكرسي ومن جنس الارواح روح النبي
عليه السلام وقال النبي عليه السلام من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده
جدعناه ومن خصا عبده خصيناه فان قلت السيد لا يعاقب بالجناية على عبده

فكيف يأول هذا الحديث المخالف لاصل الشرع والبعض الشراح في تأويله
هذا الحديث منسوخ او المراد من العبد ما كان عبدا مع خروج عن ملك سيده
ويمكن ان يقال المراد من قوله قلنا جدعناه خصيناه جازيناه لكن سمي
الجزاء باسم سببه وهو القتل والجدع والخصي للمشاكلة وذلك من طرق البلاغة
كما قال الله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله او المراد
قلنا جدعناه خصيناه لانزجره وهو العقاب الشديد والزجر الاكيد كما قال
في شارب الخمر فان عاد بعد الرابعة فاقتلوه وقد احد بعد الرابعة فلم يقتله
لا عاقبه ويمكن ان يقال ذلك مخصوص بالنبي عليه السلام وحد السياسة

باب قيل ابل الرداء فالسعاده

فان قيل في الاجوبة قال النبي عليه السلام في حجة الوداع لا ترجعوا بعدي
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فان قيل ضرب بعضهم رقاب بعض
لا يؤدي الى حقيقة الكفر لما عرف ان المؤمن لا يخرج عن ايمانه بالكبائر الغير
كلمة الكفر وفعله قلنا ذلك قرينة دالة على ان المراد من الحديث
غير ظاهره فيكون قوله يضرب بعضكم فعلا مرتبا على الكفر لا علته
والمعنى لا ترجعوا ايها المؤمنون بعدي الى الكفر بالارتداد حتى يؤدي ذلك
الى فعل الكفار بان يقتل بعضكم بعضا او يكون المراد من يضرب

بعضكم رقاب بعض القتل مع الاستحلال فيكون يضرب بعلة للكفر
العامل او يكون من الكفر ستر نعمة الايمان وترك شكره بان لا يعمل بمقتضى
ايمانه فيشتغل بالمقاتلة او مجازا من يتصف بفعل الكافر كالكفار او يكون المراد من الكفار
من يتستر بالسلاح ويلبسه للمقاتلة او المراد من الرجوع الى الكفر تكفير بعضهم بعضا
حتى يؤدي ذلك الى المقاتلة او يكون المراد من الحديث الزجر عن المقاتلة بحجة
بليغة لان احدا من اهل الاعتقاد لا يخرج ولا يرضى بزوال ايمانه وحلوله في النار
بسبب فعل القتل فيحترز عن القتل بسبب ذلك فان قيل علم ان المراد خلاف ظاهره وقد
عرف بعض المحمول في مثله قال النبي عليه السلام سيكون في امتي اختلاف وفرقة
قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين
مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه هم شر الخلق والخليقة
طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قاتلهم كان
اولى بالله منهم قالوا يا رسول الله ما سيماهم قال التحليق فان قيل يفهم من هذا الحديث
ان المؤمن يخرج من ايمانه باعتقاده وترك العمل بكتاب الله والعمل المخالف لقوله
فيكون مخالفا لاصول الشرع ولقول المعتزلة لا يخرج المؤمن عن ايمانه بعمل
ولا يكفر به قلنا نحو ان يكون سبب خروجهم عن الايمان بطلوعهم في الاعتقاد الباطل

كفله المحجة والحجة أو لاستحلال الحلال المجمع عليه أو لتحريمه أو لاستخفافهم بأمر أمور
الدين هذا إذا أجري قوله عليه السلام طوبى لمن قتلهم ومن قتلهم أولى بالله وهم
شر الخلق والخليقة ولا يرجعون إلى الدين حتى يرتد السهم إلى فوقه ويحتمل أن
يراد من الدين أحكامه لا أصوله ومن القتل الأسر وعدم (الرجوع إلى الدين ح) التغليظ أو زجرهم على وجه
المبالغة قال يدعون إلى كتاب الله وليسوا منا في شيء ولم يقل ليسوا من كتاب الله
في شيء على مقتضى الظاهر لأن المذكور أبلغ إذ المفهوم الظاهر من الظاهر أنهم لا يعملون
بكتاب الله وذلك يجوز أن يكون لجهلهم كالعوام وقوله ليسوا منا يدل على أنه ليس
فيهم من آثار الإسلام شيء إذا أريد ظاهره ويكون أبلغ في التغليظ والزجر إذا أريد
ظاهره ويؤول بما يلي كان أولى بالله منهم الظاهر أن ضمير منهم يرجع إلى الأخير
المذكور في الرابعة فلا يكون الأولوية بالنسبة إلى شيء واحد بل المراد بولاية ما لهم
وفضله أو يراد قربه من عقابهم وكونهم كما قال العسل أحلى من الخل والصيف
أريد من التشدد معنى حلاوته وحرارته أريد والأبلغ بالنسبة إلى خصوصه الحلو أو يريد الشتاء
والمراد من التحليق (يعني) وسمهم واعتيادهم به أو حلقهم حلقا حلقا فإن قلت هذا ليس لازم
الكفر والضلال فما وجه قوله عليه السلام علامتهم التحليق قلنا المراد من كون
التحليق علامة لهم بدون نسبة لأن أهل الزيغ والضلال قد يكونون في زي الصلحاء

كالشيوخ المسندين والمرابطين وكونه علامة لهم لاعتيادهم به وجعلهم إياه
كالسنة المفروض والمسنون

باب شرب الخمر

قال النبي عليه السلام من شرب الخمر لم يقبل الله صلوة أربعين صباحا فإن
تاب تاب الله عليه وإن عاد لم يقبل الله صلوته أربعين صباحا فإن تاب تاب
الله عليه قال فإن عاد في الرابعة لم يقبل صلوته أربعين صباحا فإن تاب لم يتب
الله عليه وسقاه من نهر الخبال فإن قلت إن المعاصي سوى الكفر لا يذهب الحسنات
وإن العاصي يقبل توبته وإن تاب مرارا إذا كانت معصيته من حقوق الله مع
فكيف قيل هنا لم يقبل صلوته وتوبته بعد الرابعة قلت تأويله يحمل على التشديد
أو لكل عبادة اعتبارين وجهة من جهة سقوط القضاء عن المؤدي وجهة
ترتب الثواب والمراد من عدم القبول عدم ترتب الثواب وإنما خص الصلاة لأنها أفضل
العبادات إذ المرسل ذلك يقبل الباقي وقال بعض الشراح المراد من قوله
لم يقبل الله صلوته أربعين صباحا ولم يتب عليه الزجر والتهديد وسرائر ذلك
الذنب مما يبتنى عليه الاعتداد والرجس تحرجا ورعه حصر غايا مستحقا للزجر
والتغليظ وقد عرفت أن المراد من الزجر والتهديد أن يراد من قوله لم يقبل الله
صلوته ولم يتب الله عليه معناه المجازي وهو المنع عن شرب الخمر والتخويف عنه

بالوجه الاكيد لان النبي عليه السلام لو قال لا تشربوا الخمر فهم منه اهل اللسان
ان شرب الخمر مضر في الدين ولذا نهى النبي عليه عنه صرح من كان في ايمانه قوة
وفي قلبه رقة بمجرد النهي الدال على الحرمة لكن من ضعف ايمانه وقسى قلبه لا يترك عنه
بمجرد النهي الدال القبح والضرر طبعا فاحتاج الى الزجر القوي والتهديد البليغ واداء
ضرر الشرب عن معصية عظيمة وقبح معنى فقبح يرجعه بالكلية كما اذا
تصور المومن المنهمك في شهواته والمومن بالسفاء لو انها في ظاهر النظم ان شرب
الخمر يهدم قوام صلوة اربعين صباحا ويقع قبولها عند الله تع وان العود الى شربه
بعد المرة الرابعة تؤدي الى سخط الله تع حتى لا يقبل توبته تصدع تحاوسه خوفا
شديدا ويقوى فيه داعية الترك لان التخويف يسوط العاقلين وسببا للعقوبة من قبح
ذلك عن شربه على الوجه الاقوى والابلغ فاطلق لم يقبل ولم يثبت ذلك لانه
لان من تصور ذلك بالقصور المعين من شربه يلزم منه ان يتركه ويخاف من شربه
وهذا وجه بليغ ممدوح واسلوب لطيف يستحسن عند البلغاء ولا كذب ولا خداع
للسامعين فيه كما توهم ذلك بعض الحمقى واذا عرفت التخويف فيه فاعلم ان المأولين
كلما قالوا المراد منه التخويف والرعد والزجر والترغيب مرادهم منه ان اللفظ مستعمل
في معناه المجازي الذي هو ابلغ واحسن من ارادة معناه الحقيقي لا يفهم المراد

من المعنى الحقيقي بدون الدليل والمبالغة ومن المعنى المجازي بالدليل والمبالغة
والدقة وقد عرفت ان الدعوى المقرون بالبينة اثبت واقوى واقرب الى القبول والقرار
في ذهن السامع لانها يعقلها كل انسان وبدون البينة والدليل لا يقبلها الا سليم القلب
والحسان واما اطنبت الكلام فيه لان بعض المتعلمين لا يفهم تفصيل مراد المأولين
من ارادة التخويف والرعد والتهديد والترهيب **باب العمل**
والخوف منه قال النبي عليه السلام من طلب قضاء المسلمين حتى يناله
ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار المراد من غلبة جوره
عدله ان يقوى عدله بحيث يمنع جوره لا ان يكون العدل اكثر من الجور بالجمد
القليل يكفي في دخول النار ولانه الحساب على الاعلى على السائلين بعض العلماء رحمه الله
تع قلنا المراد من الجور تضييع حق العبد فلا يعفى عن ذلك بكثرة العدل فان قلت
طلب القضاء مذموم وان عدل فيه العامل ولم يخطئ كما قال النبي عليه السلام
يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها
عن غير مسألة اعنت عليها وقال عليه السلام انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة
يوم القيمة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة وعن ابي موسى ان رجلان من بني عمي
دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا امرنا على بعض ما ولاك الله فقال انا

انا والله لا نولي على هذا العمل احدا ساله ولا احدا حرص عليه فلما تمكن ان تعالى
نبينا عليه السلام مويدا بالقوة القدسية والكمالات لانه عارف بمقتضيات المقام و
الاحوال سابق كلامه على ملاحظة الطريقة والامارة فاذا علم في العامل صلابة في الدين وورع
في المعنى ومنافي شروط القضاء يوصل اليه الامان والقضا وان طلبه وان علم
فيه ضعفا او بلاء او وصفا اخر منافيا للقضاء لا يوصل اليه القضاء وان لم يطلب
ويشير الى ذلك ان ابا ذر قال يا رسول الله الا تستعملني فضرب بيده على منكب ابي ذر وقال
يا ابا ذر انها امانة وانها يوم القيمة ندامة الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها
وقال يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين
مال يتيم يفهم منه ان السؤال ليس مانعا بل المانع ضعف يؤدي الى الميل او عدم اجراء
الاحكام الزواجر كالقتل والحدود الباقية والتعزير ولولا العضا اشرف
العبادات المؤدي الى رفع الدرجات كما قال النبي عليه السلام ان المقسطين عند الله على
منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما
ولوا فهم منه ان المانع خوف الجور المؤدي الى النار كما قال النبي عليه السلام ويل
للامراء ويل للعرفاء ويل للامناء ليتمنين اقوام يوم القيمة ان نواصيهم معلقة
بالثريا يتجلجلون بين السماء والارض وانهم لم يلوا عملا وقال عليه السلام ان العرافة

حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء في النار فلما كان القضاء اشرف
العبادات والمانع منه ضعف العقل المؤدي الى الجور والجائر لم قال النبي عليه السلام
لا تسأل الامارة يا ابا ذر لا تأمرن على اثنين ويل للامراء والعرفاء في النار على الاطلاق
فلما قد عرفت مرادا ان اطلاق الكلام المفيد للمبالغة في التحريص والمنع والمدح
والذم اكتفاء بالقرائن المفيدة من العقل والنقل وان ذلك من اساليب البلاغة
وسائح الفصاحة او لابتداء الكلام على الامر العالي فعلى هذا لما قال النبي عليه السلام
في حديث اخر من طلب قضاء المسلمين حتى ينالهم غلب عدله جوره فله الجنة وقال
عليه السلام ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وقال ان احب الناس
الى الله يوم القيمة واقربهم مجلسا امام عادل فهم منه ان المنع عن سؤال الامارة لخوف
الحرص والجناية لا لكون الامارة مطلقا كما اشار اليه ايضا بقوله انكم تحرصون
على الامارة وستكون ندامة يوم القيمة وقوله عليه السلام ان ابغض الناس الى الله يوم
القيمة واشدهم عذابا امام جائر وقوله والله لا نولي على هذا العمل احدا حرص عليه
وقوله ومن غلب جوره عدله فله النار وقوله عليه السلام يا ابا ذر اني اراك ضعيفا
او قيل لما كان في طالب الامارة الحرص المؤدي الى الميل عن الحق وترك الصلاح غالبا
وفي رعاية امور الخلافة وشروط الحكومة صعوبة لا يقدر على اتمامها اكثر العلماء ولا يوفق

تلك الامور والشروط الا الافراد من الاقوياء قال مطلقا لا يسال الامارة ان
اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها والله لا نولي على هذا العمل احدا ساله ولا احدا حرص
الكلام باعتبار المطلبية والكثير لا باعتبار العموم والخصوص **كتاب**
الجهاد قال النبي عليه السلام مثل المجاهد في سبيل الله
كمثل الصائم القائم القانت بايات الله لا يفتر من صيام ولا صلوة حتى يرجع المجاهد
فان قلت قد ثبت بالاحاديث الصحيحة الراجحة ان افضل الاعمال الفرائض الصلوة وقد
عرف وجه من اسمائها على الطاعات البدنية والقولية الفاضلة والاذكار
والعوائد الشرعية الكاملة وبعدها الركوع والصوم والحج وبعدها الجهاد فكيف
يكون مرتبة المجاهد وثوابه مثل ثواب المصلي والصائم المواظبين قلنا قد عرفت جواب
مثل هذا السوال من القاعدة الممهدة في شدة العمل التبشير بالعمل الكثير لكن للناس لنا في
اعادة تصريحه وتزيينه وتفصيله وتحريض عوام المجاهدين وراغبي المتطلبين
للمعرفة ان اراد حيثيات القاعدة وتوبيخها واراد الامثلة وتكثيرها لحصول القواعد
وتوكيدها في ذهن السامع فنقول لا نسلم من الحديث مساواة ثواب المجاهد لثواب
الصائم الملازم والمصلي القائم في المقدار والدرجة للمعرفة ان فوائد التشبيه
ليست بحصر على بيان مساواة المشبه والمشبه به في مقدار وجهات فيحتمل ان يراد هنا

تشهير شرف المجاهد واشتراكهما في اصل الفضل والرغبة وان زادته لازم
الشدة وهو التحريض على الجهاد بالوجه البليغ لانك اذا قلت زيد حلو هي
كالشهد والسكر يقوى اثرها السامع في تناولها وانكان يعلم ان حلاوة
الشهد لا تبلغ حلاوة السكر والله من عرفك على عرف الشارع الوارد على اسلوب
البلغاء قال النبي عليه السلام كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا
في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيمة ويامن فتنة القبر فان قلت هذا
الحصر ينافي الحصر الذي في قوله عليه السلام اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من
ثلثة علم ينتفع به وولد صالح يدعو له وصدقة جارية قال بعض الشراح في توفيقهما
ثواب عمل المرابط ينمو ولا يحدث امثاله ساعة فساعة بخلاف الاعمال الثلثة فان
ثوابها لا يزداد ولا يحدث الامثال وقال بعضهم المرابط كمن وقف نفسه في سبيل الله
فيندرج في الصدقة الجارية وقد جاء في الحديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر
من عمل بها والسنة الحسنة اما من جملة العلم المنتفع به فيندرج التحديث في الثلثة
ولا يتهدم بنيان الحصر وتفصيل ذلك الوجه ان يقال على عدم انقطاع ثواب الصدقة الجارية
كالمساجد والرباطات والقناطر انتفاع الناس بها بعد الموت وكذا على عدم
انقطاع ثواب العلم النافع بان يتعلم الناس ذلك العلم ويعلمونه ويتعلم غيره وعلمه عدم

تنقطع عنهم الكفار وانذارهم ونشر العلم عليهم (?)
فيصل الابرار من عمل العبادات (?)

انقطاع ثواب الآباء الذين لم يولد منهم ولد صالح وحصول المؤمن لسنة وبر الذرية محمد عم

سيئة ويندرج في تلك السلسلة أمثالها بدلالة النص والقياس فيكون واحد من

السلسلة ذا أعمالها فلا محيص عنها ولا إلزام الدافع فإن الجمعة كالجماعة والأذان والمسواك

وصلوة الليل والاعتكاف وغير ذلك من شعائر الإسلام في موضع ترك فيه تلك

الشعائر والأعمال وإن جهاد الغازي ذات تحصيل المال ودفاع الجار والستر وعلى

ذلك يعد من المجاهد فيصل بذلك السنن سبيل أجور العمال والعباد إلى روح المحيي

والمجاهد فيكون الوارد في حق العالم المعلم والمتصدق بصدقة جارية كالوارد في حق

المرابط ومحيي السنة ويمكن أن يقال أيضا الحصر المستفاد من قوله انقطع عمله إلا من ثلثة

إضافي فيكون عدم انقطاع ثواب العالم المعلم بالنسبة إلى العالم الغير المعلم وعدم

انقطاع ثواب الولد الصالح بالنسبة إلى غير الصالح وبالنسبة إلى الآباء الذين ليس له

ولد وعدم انقطاع ثواب المتصدق بالصدقة الجارية بالنسبة إلى المتصدق بغيرها

وعدم انقطاع ثواب المرابط بالنسبة إلى من لم يغز لكن ظاهر قوله إذا مات ابن آدم

وكل ميت ينافي ظاهر هذا التوجيه ويحتمل أن يكون الحصر لغة سا (?) والمراد من

الحصر المبالغة في كثرة الثواب كما تقول لرجل ليس في الدنيا سخي إلا أنت إذا

أردت المبالغة قال النبي عليه السلام من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له

الجنة وقال عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع

ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا فإن قلت لعل المقاتل

فواق ناقة أو من بكى من خشية الله ترك الصلوة أو قتل مسلما بغير حق أو فعل كبيرة أخرى

يدخل النار بسببها فضلا عن وجوب دخول الجنة قلنا قد عرفت أن إذا توجه

مثل هذا الحديث بأن يحصل له حادث يعتقد بعضها ويخصص ويكاشف عنها موسى (?)

احتماله فلا بد من الجمع بين الحديثين المتدافعين في الظاهر لأن قائلهما واحد

مصون عن الخطأ فلا يجوز العمل ببعض كلامه وإهمال بعضه فنا وبين الأحاديث

المذكورة أن يقال من شأن الجهاد والبكاء من خشية الله أن يكون سببا لدخول

الجنة من حيث أنهما عبادتان شرعا ووعد عليهما بالجنة فإن لم يفعل المجاهد والباكي ما

يقتضي دخول النار يترتب عليهما مقتضاهما وإن فعلا كلاهما يدخل النار ولا إن لم يوجد

مزيل مقتضيها ويمكن فيها تقديرها ما صلح يدخل الجنة فيترتب على كلهما مقتضاهما

وقد عرفت أن الوجوب وعدي وأن كل عبادة سبب لدخول الجنة بوعد الله على

مقتضى رحمته وكرمه إن لم يحبط وأن كل معصية سبب لدخول النار بلا لم (?)

سبب وأن اختصاص بعض العبادة بالذكر دون غيرها واختصاص بعض المعاصي

بالذكر لبيان زيادة قوته في الدلالة بمقتضى الحال والمقام ذكره على ما سبق بعض

بما فضله ولا يتسع لذلك وقوله حتى يعود اللبن في الضرع وابدا يمد له قوله
وحب وتوجيههما كتوجيه في كونهما من مضيف الوعد بدخول الجنة على الشهادة
وكونه ذكرها للمبالغة في التحريض على الجهاد والبكاء من خشية الله لاظهار ان فيهما
لان بذل المال والروح في سبيل الله والبكاء يدل على قوة البدن وكمال رقته
وذلك من اعاظم الاوصاف ويمكن ان يقال لكل من قبيل الاكتفاء واما انها اشق الاعمال
واعظمها ولو بوجه خاص مقام كلما فيكون الشروع في الجهاد والبكاء من خشية الله
سبحانه ومسلما بان غيرهما من الاعمال والترك بحسب العالم والادعاء فيكون انا
بشر فقط فيبين لدخول الجنة بانتفاء الوعد وان لم يقبل ... الى الساقط
معنى خاص مناسب للمقام في تاويل الاحاديث السابقة فعل المراد منها الموازنة
وهو التحريض على الجهاد والبكاء وقد عرفت تفصيلها حتى يذهب الترديد عما لك
وينكشف الكدر عن حالك ثم هم يخالفها الاصل عن عبد الله بن حبشي ان النبي
سئل اي الاعمال افضل قال ايمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحج مبرور
قيل فاي الصلوة افضل قال طول القيام قيل فاي الصدقة افضل قال جهد المقل
قيل فاي الهجرة افضل قال من هاجر ما حرم الله قيل فاي الجهاد افضل قال من جاهد
المشركين بماله ونفسه قيل فاي القتل اشرف قال من اهريق دمه وعقر جواده

فان قلت قد ثبت بالنص الراجح ان الصلوة افضل الاعمال الفرعية كما قال
عبد الله بن مسعود اي الاعمال احب قال عليه السلام الصلوة في وقتها ثم قال اي قال
بر الوالدين ثم قال اي قال الجهاد فهم منه ان الصلوة وبر الوالدين افضل من
الجهاد ولا نزاع في ان الاحب افضل وقال في بعض الاحاديث الذكر خير الاعمال
وان كنها كما ذكر في الحديث السابق الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وقال في
بعض الاحاديث الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصدقة والصلوة
قالوا بلى قال اصلاح ذات البين فهم منه ان اصلاح ذات البين افضل من الصلوة والصوم
والصدقة فبالطريق الاولى يكون من الجهاد وقال في بعض الاحاديث ايضا
جهاد النفس افضل من جهاد الكفار وكيف قال هنا جهاد الكفار بالمال والنفس
افضل من سائر الجهاد قلنا قد عرفت مرارا ان لا تناقض في كلام الشارع وعرفت ايضا
وجوه توفيق الحديثين المتعارضين في الظاهر واطلاق جهاد النفس المفضل
واحسانا من كل واحد من العبادات الكثيرة بجهة مفصلة لا توجد في غيرها
فعل هنا الايمان افضل الاعمال العلمية بالاتفاق وكون الجهاد افضل الاعمال الفرعية
باعتبار ان فيه بذل النفس والالتزام بحر احاد السيوف والسهام والرماح للودى
غالبا الى الموت وتحمل سيف السيوف والانقطاع عن الاهل والاولاد والاقارب

والاوطان والحج ايضا افضل الاعمال باعتبار الالزام بتحمل متاعب السفر وقطع النفس
عن شهواتها في الاحرام والمفارقة عن الاوطان والاحباب من الاهل والاولاد والاقارب
والاخوان وجهاد المشركين افضل من جهاد النفس لان فيه بذل النفس والروح
والالزام بالجراحات وجهاد النفس افضل منه باعتبار استمراره وتجدده لان النفس
تدعو دائما الى الاشتغال بحصول المطعومات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات
والاعيان الصورية والحيوانات والمساكن الطيبة والرياسات والتمول
في اسباب كلها ويمنع النفس من كل واحدة منها على سبيل التعاقب والاستمرار بل كل
وهذا من جهة النفس وانت تعلم ان العوائق والموانع من جهة الشيطان والخلق
اضعاف ذلك وقد عرفت بعض التفصيل فيه واصلاح ذات البين ايضا افضل
من الصلوة والصوم والجهاد وساير ما لا يبلغ درجة الصلوة والصوم في الفضيلة
باعتبار وجه فضيلة لا توجد في غير اصلاح البين لما عرفت ان العداوة بين المؤمنين
اذا استحكمت تؤدي الى اشتغال كل واحد منهما باضرار الاخر باليد واللسان والقلب
والجنان بل ربما يؤدي الى القتل بالسيف والسنان وتزايده وبالاصلاح يرتفع
هذه المفاسد وتنظر الى المؤمنين بعين الرحمة والشفقة وجالب لرافة الله تعالى
وعنايته وقد عرفت جهة فضيلة الصلوة والصوم والركوع على غيرها بوجه

اخر فلا تلائم التعارض وصدقة الفقر افضل لزيادة اشتغال النفس فيها ودلالتها
على كمال التوكل وعدم ملاحظة الاسباب وذلك في اعلى الدرجات ولذا قال الله
في مدح الذين سألوا الرحمة يفعلون ما يحبون وقال ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما واسيرا وقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وسائر المدح في
كلها تدل باحتياجهم الى الله وتحمله الدال على كمال التوكل الدال على الكمال في التوحيد
وان اردت ان تحمل على مجرد دفع التعارض بالجواب الاول فالاولى ارجاع التعارض
الى الحال الموافق والتحقيق والتأويل المناسب والتدقيق في فضل المراد من فضل الجهاد
والحج وصدقة الفقر بصورة الاطلاق لا يريد وموارد الترغيب فيها بوجه يبلغ اكثرها والمراد
هو الافضلية باعتبار ذاتها لا باعتبار غيرها او يحمل كل واحد على صورة
الاطلاق باعتبار المخاطب بان يكون الاهم له الجهاد والحج او صدقة ما يحتاج اليه
او باعتبار الوقت والمقام كما طلب رجل من النبي عليه السلام الوصية فاوصاه
بترك الغضب وطلب اخر الوصية فاوصاه بترك البخل واحسان الساقي وطلب الثالث النصيحة
فقال اعزل الاذى عن الطريق وطلب اخر جهلا به افضل الاعمال فاجاب بملازمة الذكر
وقد عرفت كل ذلك باعتبار حال السائل وقال النبي عليه السلام ما من عبد [illegible]
[illegible] وسلم الا [illegible] ومن عارية او [illegible]

الا ان لهم اجورهم فان قيل الجهاد مع العصمة والتحفظ عن النكبة في سبيل الله افضل
لنقصان الدرجة فكيف يحصل لهما مثل اجورهم في الجهاد قلنا العصمة والسلامة في الدين
نقصان الدرجة في الجهاد اذا كان المجاهد يحصلها عرضا من الجهاد ولكن اذا حصلا
بدون القصد اليهما وحصلها عرضا لا يقدح في ثواب الجهاد كما اذا لم يحصل العالم
والعابد بسلامة قلوب الناس وتعظيمهم وحصول الدنيا منهم والرياسة عندهم مقصودة
وعرضا لانه حصولها لان الله وعدنا به الحسنى في الدنيا والاخرة ووعدهم
بهما وبقي فيه شيء اخر وهو اطلاق الاجر على العصمة والسلامة ويمكن ان يقال فيه المراد
من الاجر الحظ لا الثواب والمعنى يحصلوا على حظوظهم لان في الجهاد حظ البدن وحظ
القوى الحسواسية والدواعي الشهوانية وحظ الروح والقلب فالسلامة حظ البدن والعصمة
حظ القوى الشهوانية والشهادة واصابة النكبة في الجهاد الموصلة الى الدرجة الرفيعة
حظ الروح في الاخرة ولذا قال يبلغ اجورهم فان قيل بعض يحصون مرهم ويتخلون عما
طلبه وبعض مما فعل الكرم ولا يحصل له الثلثان فكيف قال اجورهم قلنا
ذلك من قبيل حصل اعظم الشيء بركته كله كما قال النبي عليه السلام الندم هو التوبة
والحج عرفة

باب حكم الاسارى

قال النبي عليه السلام عند فداء ابي العاص زوج زينب بنت رسول الله من خديجة
رضي الله عنها بقلادة زينب ليخلص نفسه من الاسر لزيد بن حارثة ورجل من الانصار
اذهبا مع ابي العاص واكمنا في بطن ناجح حتى يأتي زينب فيصحبها حتى تأتيا بها الى قال
كيف جاز النبي عليه السلام مصاحبة اسيع ورجلين احسن من يكد الحديث
وسهما اسامه وبعين لا ينقطع الاخر امام عبد الله مع انه منع بعضا واحدة عن رؤية ابن ام
مكتوم اعمى حتى قال فيه اعمياوان انتما ومنع دخول اقارب الزوج على زوجته حتى قال
فيه الحمو الموت معنى سوى ان تزال وحده عن مصاحبة اقارب الزوج كالهرب عن
الموت قلنا يحتمل ان يكون المنع من مصاحبة الرجل الاجنبي عن به وحولها جماعة اذا
اعتبر على المصاحبة ويحتمل ان يطلع النبي عليه السلام على امانة الرجلين وديانتهما فاجاز
مصاحبتها معهما ولا يحصل ذلك الحكم لغيره لانعدام علته ويجوز ان لا يكره مصاحبة
الاجنبي في ذلك الوقت ثم حرمت لان الامور الشرعية لا تدرك بالعقل ولذا قال الله
تع وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الا
يمان ولذا لم يمنع النبي عليه السلام ازواجه عن الخروج للحاجة بدون الجلباب حتى
اغار عمر رضي الله عنه على ذلك وتكلم فيه فانزل الله تعالى الامر بصيرتعاله وهي يا نساء
النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه
مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى

وروح الله الكافر وجاز شيء عليه السلام دعى عمر وسعتها السهام مع مسا
الاجابة ويمكن ان يقال لعل النبي عليه السلام سوط فيه مصاحبة ذي رحم محرم مع
ربه وان لم يذكر ذلك لان ترك ذكره لا يدل على انعدامه في نفس الامر

باب الجزية قال النبي عليه السلام لا يصلح قبلتان
في ارض واحدة وليس على المسلم جزية واختلف الشراح في توجيهه قال البعض معناه
لا يستقيم دينان في ارض على سبيل المظاهرة ولا يصح لمسلم ان يتوطن في دار
الحرب لكيلا يوضع عليه الجزية ونوائب الكفار ولا يمكن الحربي المستامن في دار الاسلام
الا ببذل الجزية ولا يؤذن للذمي ان يظهر شعائر دينه وقال البعض المراد منه اجلاء
اليهود والنصارى من جزيرة العرب واعترض عليه بان لفظ الحديث عام فلا وجه لتخصيصه
وقال البعض لا يوضع الخراج والجزية على المسلم وقال البعض المراد منه ان من اسلم من اهل
الذمة فلا داء الجزية والخراج لا يطالب منه قال الشارح المشكوة هذا القول سديد
ومناسب لايراد الحديث في فصل الجزية قلنا لا يلزم من ايراد محيي السنة هذا الحديث
في باب الجزية ان يكون معناه ذلك وقد بين في حديث اخر ان المراد من هذا الحديث
اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب قال عمر رضي الله عنه اني اريد ان اجليكم
من هذه الارض فاني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع اليهود

والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الا مسلما وفي رواية لئن عشت لاخرجن
ان شاء الله وقال ايضا في تلك القضية لا يكون قبلتان في بلد واحد والمراد
من البلد مكة والمدينة فيكون المراد من ارض واحدة ايضا مكة والمدينة
لما عرفت ان بعض الاحاديث مقيد ومخصص ببعض باعتبار الزمان والمكان
او بوجه او باعتبار اخر ويمكن ان يقال فيه ايضا لا يصلح قبلتان بان الاصل والوجه
ان الانسان خلق لطريق الاسلام والايمان وعدم جواز قبول الذمة على الايمان يصلح
واقتصاد زمان او المراد منه لا يصلح قبلتان على وجه ان يكون كل واحد من اهل
القبلة مستقلا بان يكون لكل واحد امر خاص وحاكم مخصوص لان ذلك يؤدي الى
الفساد والتقاتل وقوله ليس على المسلم جزية بان فادى احدى وهي ان لا يطلب
جزية الكافر بعد الاسلام او لا يوضع الجزية على المسلم ابتداء

كتاب الاطعمة قالت عائشة رضي الله عنها ما شبع ال محمد من خبز الشعير
يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت توفي رسول الله
وما شبعنا من الاسودين ارادت بهما التمر والماء على سبيل التغليب قال ابو هريرة
خرج رسول الله من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير فان قلت قد ثبت ان النبي عليه السلام
واهله ياكلون ليالي رمضان وعند الفطر الى حد الشبع واكلوا اللحم والمرق

والسمن وغيرها كما قال ابو هريرة في المشاجي التي كان ابو بكر وعمر مع النبي عليه
اكلوا من الشاة ومن العذق وشربوا من الماء العذب فلما ان شبعوا ورووا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن
هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم
من هذا النعيم عن عبد الله بن بسر قال كان للنبي عليه السلام قصعة يحملها اربعة
رجال يقال لها الغراء فلما اضحوا وسجدوا الضحى اتي بتلك القصعة وقد ثرد فيها
فالتفوا عليها فلما كثروا جثى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعرابي ما هذه
الجلسة فقال عليه السلام ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا ثم قال
كلوا من حواليها ودعوا ذروتها يبارك فيها فعلى هذا يكون معنى لم يشبع آل محمد
من خبز الشعير يومين وما شبعنا من الاسودين ولم يشبع النبي من خبز الشعير الشبع
المشبع المفرط ويجوز ان يكون المراد به نفي الاعتياد على الاكل الى الشبع
كعادة المسرفين وكذا المراد من قول انس ما اعلم النبي عليه السلام راى رغيفا مرققا
حتى لحق بالله ولا راى شاة سميطا بعينه قط وما راى النبي وما راى منخلا من حين
ابتعثه الله حتى قبضه لان النبي عليه السلام قد اكل الحلوا والشواء والخبز المرقق
والخبز المتخذ من حنطة في بعض الاوقات كما قال عمرو بن امية ان النبي عليه السلام يقطع من

كتف شاة في يده فدعي الى الصلوة فالقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام فصلى
ولم يتوضأ وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل
وقالت اول ما حل الشراب الى رسول الله الحلو البارد وقالت كان ياتي علينا الشهر ما نوقد
نارا الا ان نؤتى باللحيم وقال ابن عمر قال النبي عليه السلام وددت ان عندي خبزة
بيضاء من برة سمراء ملبقة بسمن ولبن فقام رجل من القوم فاتخذه فجاء به فقال
في اي شيء كان هذا قال في عكة ضب قال ارفعه قال ابو ايوب كان النبي عليه السلام
اذا اتي بطعام اكل منه وبعث فضله الي وطلبه ما ذكرنا يدل على ان النبي عم
ياكل لحما سمينا وخبز حنطة نقي وياكل حلواء وعسلا كما اشتهر ذلك
الا انه لا يعتاد على ذلك ولا يطلبه وانما يرد ذلك بدون الطلب والتكلف باكل
والا لا انه اختار الرياضة والقناعة ومقدار سد الرمق في المطعم والمشرب
والملبس والمسكن والفقر والفاقة والتواضع والمسكنة ويكون بها نفي عائشة
وابو هريرة رضي الله عنهما شبعا باعتبار علمهما وروية الا باعتبار نفس الامر مع
ان النبي امره جراى لا يطلع على جميعه الا الاكل وكذا يأول قول انس
ما اعلم النبي عليه السلام راى رغيفا مرققا وشاة سميطا وخبزا نقيا لان انا لم
نصاحب بيننا من حين بعث الى ان توفي بحيث لا ينفك عنه في يوم وليلة

او يقال المراد من الشبع المنفي الشبع الذي يعتاد عليه الكفار كما قال النبي عليه السلام
المؤمن ياكل ويشرب في معا واحد والكافر ياكل ويشرب في سبعة امعاء لان
المؤمنين ينبغي ان ياكلوا على قدر الكفاية والطاقة على الطاعة لا على قدر النعم
وتكثير الشهوة كما قال النبي عليه السلام طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي
الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية او المراد من نفي الشبع عن حد السعة لا رتبة وهو
احسان النبي عليه السلام الجوع والرياضة

كتاب اللباس

قال النبي عليه السلام من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه
من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فان قلت الخطايا لا تمحى الا بالتوبة
والكبائر لا تمحى بالطاعة بدون التوبة فكيف العمل بعموم قوله غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر قلنا قد عرفت من القواعد السالفة ان بعض الحديث يقيد بالبعض
فعلى المراد مما تقدم وما تاخر الصغائر فان قلت الصغائر ايضا لا تمحى الا باداء الفرائض
واجتناب الكبائر كما قال النبي عليه الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان
الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر قلنا ذلك الحديث لا يدل على الحصر
والتخصيص وهذا الحديث الحمد ايضا يدل على ان الصغائر تمحى به وقوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات يدل بظاهره على ان الصغائر تمحى بكل حسنة وطاعة وبعض المفسرين

يقولون المراد من الحسنات الصلوة بقرينة قوله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا
من الليل وهذا ليس بدليل قطعي في التخصيص اذ يجوز ان يراد من الحسنات
جميع الطاعات ويندرج فيها الصلوة اندراجا اوليا وبعد ما قلنا ولا علم
ان الحمد المذكور يمحيها ولو سلم تخصيص الطاعات بالفرائض واجتناب الكبائر
في محو السيئات الصغائر قلنا الحمد على النعمة واجب لوجوب الشكر لما عرفت ان الحمد
والشكر على النعمة والتوكل والصبر على البلاء وترك الحسد والرياء والبخل
والشح والكبر والكذب والغيبة والرياء وامثالها من الاخلاق المحمودة والمذمومة
واجبة لما ورد فيها من الاوامر والنواهي من الاخبار والايات فان لم يسلم ذلك
لكن في محو الصغائر ترك الكبائر شرط فلعل الحامد المذكور لم يراع ذلك الشرط
قلنا قوله عليه السلام من لبس ثوبا فقال الحمد لله يدل على ان ذلك اللابس عبد شكور
ومتوكل على الله لانه من حمد الله تعالى عند وصول نعمة اللبس يحمد في غيرها
من النعم العظام وقوله من غير حول مني ولا قوة يدل على انه لا يلاحظ الاسباب
ولا يرى لغير الله تعالى قدرة ولا تاثيرا في وصول نعمة اللبس ولا في غيره وذلك اعلى
مقامات التوكل فلا يبعد ان يكون ذلك الحمد التام والتوكل العام سببا
لغفران الصغائر بل لمحو الكبائر اذا وقع في محل القبول لما عرفت في حديث او قلنا ان بعض

ذلك المقام بفعل جميع الفرائض ويجتنب عن جميع الكبائر فيصير مستحقا للحمد
والتوكل فان قلت اذا فعل الفرائض واجتنب الكبائر يكون مستحقا بسببهما لا بالحمد
قلنا يكون بعدد الاسباب الشرعية واضاف الشكر الى كل واحد منهما او قلنا
المراد من غفران ما تقدم وما تأخر لانه وهو المحرض على الحمد والتوكل بالوجه الابلغ فان قيل
الوجوه المذكورة لا تستقيم في قوله ما تأخر لان الذنب المتأخر الموجود لا يتعلق به غفران
ولا غفران قلنا المراد من المغفرة الحفظ عن المعصية فهي الحاصل بالمحو وفي المتوقع
بالصون فتامل فيما قلت من تحملات الكلام والمسطة منها ما ناسب المقام وقد عرفت
ان امثاله لتشييد اقدام بعض الائمة قال النبي عليه السلام ان الله يحب ان يرى اثر
نعمته على عبده عن ابي الاحوص الجشمي عن ابيه قال رآني النبي عليه السلام وعلي
اطمار فقال هل لك من مال قلت نعم قال من اي المال قلت من كل قد آتاني الله من الابل
والابل قال فلير اثر نعمة الله وكرامته عليك قال ت قد قال النبي عليه السلام
ان البذاذة من الايمان وقال من لبس ثوب شهرة في الدنيا البسه الله ثوب مذلة له
يوم القيمة وقال من تشبه بقوم فهو منهم وقال من ترك لبس جمال وهو يقدر عليه
وفي رواية تواضعا كساه الله حلة الكرامة فهذه الاحاديث تدل على ان لبس لباس
الاغنياء ليس محمودا والحديث السابق يدل على ان لبس لباس الجمال وثياب الاغنياء

ممدوح قلنا قد عرفت توفيق مثل ذلك التدافع الظاهري بتخريج جهة المعاني من
الحكمين المتعارضين فعلى هذا يجوز ان يكون البذاذة اي رثاثة الهيئة وترك
الزينة محمودة وممدوحة بالنسبة الى الفقراء ومبغوضة بالنسبة الى الاغنياء وقوله
وهو يقدر عليه لا يدل على التفاضل بل على قدرته على لبس لباس الجمال وهو مباح بعد
من الحوائج الاصلية بالنسبة الى العوام واهل الدنيا ويجوز ان يكون ترك لبس لباس الجمال
محبوبا للاغنياء الذين ظهر غناؤهم ولبسه مرغوبا للذين لم يظهر غناؤهم لمصلحة
ان يسأل المحتاجون حوائجهم عنه وقوله عليه السلام يحب ان يرى اثر نعمته
على عبده يرشد الى ذلك وقد عرف حول اجتماع الوجوه المتنافية في شيء واحد
فيكون لبس ثوب الجمال مباحا بل ممدوحا اذا تضمن امرا مشروعا كاظهار الغنى
لمصلحة الفقراء او لاظهار شرف العلم والجلالة ومهابتهما ولصون العوام عن الاثم
لاغتيابهم بازدراء من كان في زي الفقراء او لاستمالة قلب وحد ودفع كرا
هيتها وغيرها من المصالح المشروعة التي يطلع عليها ولا يبصرها الا العلماء مكشوفوا
القلوب واهل الاعتبار فانهم يثابون بالامور الشهوانية لتصحيح نياتهم ومشروعية
اغراضهم كما ان الجهلاء كثيرا ما يعاقبون بطاعاتهم بسبب الرياء وطلب الدنيا وحظ
نفوسهم بها وتفاصيل هذا الباب طويلة جدا لا يرى تفاصيله الا علم الاخلاق الذي هو اشرف

واهم من علم الاعمال فاصرف همك وعزيمك الى معرفة تفاصيلها ففيه اصلاح عملك

باب الترجل

عن ابن عباس قال مر على النبي عليه السلام
رجل قد خضب بالحناء فقال ما احسن هذا قال فمر آخر وقد خضب بالحناء والكتم فقال هذا
احسن من هذا ثم مر آخر وقد خضب بالصفرة فقال هذا احسن من هذا كله عن ابن عمر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السبتية ويصفر لحيته بالورس
والزعفران وكان ابن عمر يفعل ذلك فان قلت قال انس نهى النبي عليه السلام ان يتز
عفر الرجل قال عليه السلام لا يقبل الله صلوة رجل في جسده شيء من الخلوق
عن عمار بن ياسر قال قدمت على اهلي وقد تشققت يداي فخلقوني بزعفران
فغدوت الى النبي عليه السلام فسلمت عليه فلم يرد علي وقال اذهب فاغسل هذا وعن ابي
هريرة قال قال النبي عليه السلام طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر
لونه وخفي ريحه قالت عائشة كان يكره ريح الحناء وقال النبي عليه السلام
لا اركب الارجوان ولا البس المعصفر وراى على عمرو بن العاص ثوبا معصفرا فكرهه
فانطلق فاحرقه فهذه الاحاديث تدل على ان استعمال الحناء والزعفران والمعصفر
مكروه والاحاديث السابقة تدل على انه ليس بمكروه بل هو حسن فلا بد من التوفيق
بينهما قلنا وجه التوفيق هنا يحتمل ان يكون بيان اصله والمحل بان يكون

لون الصفرة مثلا في الرجال فيما سوى اللحية كاليد والرجل واللباس
وكذا الحناء والكتم يحتمل ان يكون نهيهما في غير اللحية وشعر الراس لا فيهما
موسه ان النبي عليه السلام امر بتغيير شيب الراس واللحية مخالفا عن اليهود
ونهى ايضا عن تغييرها بالسواد لان ذلك فعل الكفار ايضا وايضا قيل ثم غير لحيته
بالحناء والكتم والصفرة وغيرها ايضا الحديث بالورس والزعفران فيفهم المراد من قوله
نفعله وقد عرفت ان بعض الاحاديث يزيل ابهام بعضها ويفسره او يخصصه
ونظير ذلك ان النبي عليه السلام نهى عن النتف والمياثر مطلقا ثم قال في بعض الاحاديث
ان سوال لا يتبطنه ونهى في بعض كلامه عن مياثر الارجوان وعن الميثرة الحمراء فيفهم منه
ان المنهي نتف شعر الوجه واللحية والحاجب والميثرة الملونة بالحمرة وقال في بيان
مهر الزوجة التمس ولو خاتما من حديد ثم راى رجلا يتختم بالخاتم من الشبه والحديد
وانكره وقال مالي ارى عليك ريح الاصنام وحلية اهل النار فعلم منه ان المراد من قوله
ولو خاتما من حديد بيان انه لا يدع النكاح من المهر ولو كان شيئا قليلا كعشرة دراهم
ونهى عن نتف الشيب ثم غير شيبه بالصفرة وقال حين راى ابا قحافة يوم فتح مكة راسه ولحيته كالثغامة
غيروا هذا الشيب واجتنبوا السواد فهم منه ان المراد من نتف الشيب ما الصفرة والحناء وقال
عليه السلام اوفروا اللحى ثم قص من لحيته من طولها وعرضها ما شاء وخرج من امثاله

فيعم منه ان المنهي قص اللحية كفعل الافرنج والاعاجم وقال لعن الله الواصلة والموصولة
ثم من ظاهر الحديث انه مطلق وصل الشعر الى شعر غيرها حرام لكن من يحدث
اخر ان الحرام وصل شعر غيرها من النساء لا شعر المعز والابل

كتاب الطب والرقى

قال النبي عليه السلام الشفاء في ثلاث في شرطة
محجم وشربة عسل او كية نار قال الرواة عن بعض في الثلاث المذكورات لان النبي
اخبر عن حصول الشفاء بعدها كما قال الحبة السوداء شفاء من كل داء الا
السام وقال عليه السلام لو ان شيئا كان فيه الشفاء من الموت لكان في السنا
قلنا قد عرفت مرارا ان بعض الاحاديث كاشف عن ابهام بعض الاحاديث بالتقييد
والتخصيص فعلى ما ذكر الحديثان الماضيان على ان ليس المراد من قوله الشفاء في ثلث
الحصر وقد عرفت امثاله كثيرا من ان اثبات الحكم لبعض الافراد لا يدل على انتفائه فيما
عداه فان عدت وقلت ما فائدة ذكر الثلاث على الخصوص والبلغاء لا يحمل
كلامهم في امثال هذا على الاتفاق من غير قصد نكتة وحكمة قلنا يحتمل ان يكون
فائدة التخصيص المذكور اظهار ان الامراض يندفع بواحدة منها غالبا وقد
عرفت ان البلغاء يقيمون الغالب مقام الكل وذلك كثير في اخبار الشارع
ومن ذلك قوله عليه السلام من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين

كانت شفاء من كل داء لانك تعرف ان الاخلاط الثلاثة يخرج بالدم فيكون الحجامة
سببا لدفع الامراض غالبا وهذا اظهر من ان يقال المراد من الداء المرض الحادث
من الدم او قلنا قال ذلك باعتبار عادة اهل ذلك الموضع يؤيده قوله عليه السلام
انا انهاكم عن الكي وحكمة نهيه ايضا مبالغة لكل القوم في بادي فالظاهر النهي
ان الكي عن سعل في ازالة المرض حتى لا يستعملون به الا في مرض مناسب دافع الحكما
حسم النبي عليه السلام اكحل سعد بن معاذ فنقصه ثم ورمت فكوته ثانيا وكوى
سعد بن زرارة من الشوكة وهي حمرة تعلو الوجه وذلك لضرورة داعية الى الكي ويمكن
ان يقال المراد من قوله عليه السلام الشفاء في ثلث ان الثلث يكون سببا للشفاء في امراض
يناسبها لما عرفت ان الحجامة تنفع الصفراوي وقليل الدم والبلغمي ضعيف المزاج والشيخ
والاطفال والعسل ايضا يضر الصفراوي ومن غلب عليه الحرارة الغريزية والعارضة
والكي ينفع لمن كان مرضه في احشائه لا في ظاهر بدنه فالمعنى ان شفاء المريض الذي يموت علته
الدم في شرطة محجم وشفاء المريض الذي يموت علة البلغم او تراكم الفضلات الرطوبية
في المعدة في شربة عسل وشفاء المرض الحادث الحادث من فضول مادة منصبة على جارح
البدن او من فساد عرق وعضو الكي وامثال ما ذكرت ح واعلم ايضا ان الحبة السوداء
والسنا المكي لا يكون دواء لما سوى الموت لما عرفت ان فائدة السنا في اسهال

الا اخلاط البلغمية ولا تنفع في علة الدم والسل والبطن وان قال ان الحبة السوداء في
تحليل الرياح الغليظة وتذهب الرطوبات الكثيرة عن المعدة وتنفع كل علة السوداء
والصفراوي ويومي الى ذلك ما قال سلمى خادمة النبي عليه السلام ما كان احد يشكي
وجعا في راسه الا قال النبي عليه السلام احتجم ولا وجعا في رجليه الا قال عليه السلام
اخضبهما وما قال كبشة ان النبي عليه السلام كان يحتجم على هامته وبين كتفيه ويقول من اهراق
من هذه الدماء فلا يضره ان لا يتداوى لشيء فانه لو اذا كان المراد من الاحاديث المذكورة
ما ذكرت فما فائدة ارادها على الاطلاق والمبالغة حيث قال شفاء من كل داء الا السام
ولو ان شيئا كان فيه الشفاء بالموت لكان في السفاء من اهراق هذه الدماء فلا يضره
ان لا يتداوى لشيء قلنا قد عرفت ان المراد من امثال هذه المجازي لتعذر الحقيقة
من جهة عقلية او نقلية او حسية وهنا وجه صرفه عن ارادة الظاهر فيكون المراد
من الامور المذكورة لوازمها من التحريض على استعمالها عند عروض الامراض التي جعلها
الله سببا لرفع تلك الامراض والمبالغة في فائدتها لرفع الادواء المناسبة بفضل ذكر
ان من تصور ان الحبة السوداء شفاء لما سوى الموت وفي السناء شفاء فيه وان اهراق الدماء
يقوم مقام كل الادوية في ازالة الامراض تقوى داعيته في المعالجة بها ويعلم ان فيها
منافع تؤدي في دفع المرض وان علم انه ليس المراد منها معانيها الحقيقية وقد عرفت

تفصيله ولا تغفل عنه فان من لا يقدر على ادراك تلك النكات في اخراج كلامهم
على خلاف الظاهر يتسوس باله ويتكدر حاله لان العلم محمول على معرفة الدقائق
ولذته محصورة عليه فاذا لم يحصل ذلك سالم بل يقع في قلبه زيغ والخلاف بسوء فهم
التعارض والخلل والقصور والزلل في كلام نبينا عليه السلام لكن من علم ان طبيب
الابدان كما انه طبيب القلوب يعلمنا معالجة ابداننا لازالة المضرة الدنيوية كما
يعلمنا معالجة قلوبنا لازالة المضرة الاخروية وعارف بمقام المبالغة والايهام ومقام
المسامحة والابهام وازال لا تطمئن قلبك بتمام المرام ما لم تسمع كلاما على عرف
كل مقام فاسمع ظرفا منه جاريا فيه مناسبا لما قلت من الكلام واعلم انك واذا
اردت ان تحرض صاحبك على شيء او تبالغ في مدحه ومنفعته تقول لا منفعة
ولا خلاص لك الا في هذا الشيء او تقول كل المنافع والمطالب تحصل فيه او
تقول لو امكن دفع الموت لرفعه مع انك ومخاطبك تعرفان ان ذلك الشيء ليس
على تلك الصفة وتعرف مخاطبك ايضا ان مرادك من ذلك الكلام التحريض والترغيب والمبالغة
في المدح والنفع فيه عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما ابالي ما اتيت ان شربت ترياقا او تعلقت تميمة او قلت الشعر من قبل نفسي
عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتوى او استرقى فقد

بري من التوكل وروي من تعلق شيئا فقد وكل اليه فان قلت قد اباح النبي عم
التداوي والاسترقاء بل حرض عليهما وقال بهما كما قال عليه السلام الشفاء في ثلث
وقال لرجل مبطون اسق عسلا فرد ثلث مرات فلم يشف ثم قال في الرابعة صدق
الله وكذب بطنك فسقاه فبرأ قلت العسل مسهل لما في المبطون فكيف
امر بشرب العسل قلنا يجوز ان يكون اسهاله من كثرة البلغم فلم يشفها العسل
في المرات الثلثة فقلع كلها في الرابعة فزال اسهاله وقال ايضا في العود الهندي
سبعة اشفية وقال عليه السلام ان الله تع انزل داء ودواء فتداووا ولا تداووا
بالحرام وقال عليه السلام لا رقية الا من عين وحمة ودم وقالت اسماء بنت عميس
يا رسول الله ان العين تسرع الى ال جعفر افاسترقي لهم قال نعم لو كان شيء
سابق القدر لسبقته العين وقال عليه السلام ما انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت وقال عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فكيف
نهى بعد ذلك عن التداوي والاسترقاء والتعلق بالشيء والشعر على وجه المبالغة
قلنا قد عرفت مرارا ان لا تناقض ولا تدافع على سبيل الحقيقة في كلام الشارع
لان ذلك انما يلزم عن جهل او يتوقف على السهو والنسيان ونبينا عليه السلام
مصون عن ذلك بعون الله تع وتوفيقه وعونه ايضا وجوه دفع التعارض

الظاهري فمنها يجوز ان يكون النهي عن التداوي والاسترقاء والشعر منسوخا
او اباحتهما ناسخة للنهي هذا اذا علم التاريخ فان قيل النهي يجوز ان يكون ناسخا لكن
ما كان من الاحاديث في صحة الاخبار لا يجوز ان يكون ناسخا قلنا الاخبار
التي وردت لبيان الاحكام يكون في معنى الانشاء فيجوز النسخ بها وان لم
يعلم التاريخ يجب علينا ان نشتغل في التوفيق ودفع التعارض الظاهري
بوجه اخر فيمكن ان يقول بعض قوله عليه السلام ما ابالي ما اتيت ان شربت
ترياقا او تعلقت تميمة ما ابالي ما اتيت اي لا يكون فعلي على سنن الشرع
بل افعل ما اشتهى نفسي ان اعتقدت ان الترياق والتميمة مؤثر وتامة في دفع المضار
كما زعم ذلك اهل الطبيعة وارباب الجهل ويرمز الى ذلك قوله عليه السلام
ان الرقى والتمائم والتولة شرك اي فعل اهل الشرك لانهم يزعمونها مستقلة في
دفع المضار وامر عليه السلام بالتداوي بقوله اسق عسلا فتداووا والشأن
ان الاسباب دخلا في حصول بعض الاشياء وامثال هذا كثيرة كما قال عم
فر من المجذوم كما تفر من الاسد واراد مجذوم من وقد نقل انه لما رفع اليه
قال النبي عليه السلام قد بايعناك فارجع ولم يصافحه بيده والظاهر انه
ذلك ايضا للاعلام ان للاسباب دخلا في حدوث بعض الاشياء وان امكن ان يكون

ذلك لا يستكره طبعه اياه من المصافحة والملابسة لتقذري وجه
المجذوم او لباسه او بدنه وقال حل انا كنا في دار كثير فيها عددنا واموالنا
فتحولنا الى دار قل فيها عددنا واموالنا فقال عليه السلام ذروها ذميمة وذلك
ايضا لاعلام ان للهواء الوخيم تعلقا في تعليل ابدانهم وموتهم وقال عليه السلام
ان من القرف التلف اي التلف قد يكون من اقتراف الوباء والهواء ولهذا ترى
العصفور في القدر الصالح من تعلق اثرها في بعض الصور بالاسباب على السنة
الا لهذه العلة لما عرفت ان خلق قوة الاحراق في النار وقوة الارواء في الماء
وقوة الاغذاء والافساد في الهواء يدل على كمالها وعجائب اثارها فلا تغفل
عن ذلك وقال عليه السلام ايضا لا عدوى في المرض وكل مع مجذوم
لاعلام ان السبب غير موثر ويمكن ان يقول من يقوله ما بالي ما اتيت ان مقامه
ومرتبته اعلى من ان يتعلق بالاسباب في بث تعطيه السماء في بلد واسع عطاء
فداووا امتثالا امته لما عرفت ان مقام المقربين غير مقام المبتدئين ولذا قيل
حسنات الابرار سيئات المقربين ولذلك المقام الاعلى اشار بقوله فقد برئ من
التوكل فقد وكل الله لان التعلق بالاسباب لا ينافي توكل العوام لان
توكلهم ان لا يرون الاسباب مستقلة كما ان توكل الخواص ان لا يرون

الاسباب ملحوظة والى ذلك اشار الصديق بقوله الطبيب امرضني وهذا ليس عيبا
اثباتا لها وان كان جريا بحالها ويعني انه ان شر من قبل نفسي ان لا يقول شيئا بالحضر
اولا بقيا ديرا ولا يقول الا لاقتضاء مقام وحال لا لاشتهاء نفس وبالجملة
فتداوى النبي عليه السلام وكيف يكون التداوي غير مناسب لمقامه قلنا فعل
ذلك لتعليم امته بالفعل والحال كما علمهم بالتصريح بالمقال ويكون تداويه لاظهار
كمال صنع الله في تخليق قوة ازالة المرض في بعض النباتات كما خلق خاصية اثارة
الداء في بعضها وقد عرفت ان اهل الغفلة يكتسبون الثواب بالامور العادية والاعمال
العامة لرقة نظرهم واطلاعهم على الرموز الخفية وكيف لا يقصد اكمل العلماء وافضل
الانبياء بالتداوي لاسرار مناسبة لمقامه من اظهار كمال قدرة الله واثار حكمته
وقد عرفت ان الشيء الواحد قد يوجد فيه جهات شتى يكون ذلك الشيء
ممدوحا ببعضها ومذموما ببعضها فلا يلتبس عليك حتى تسمع بذلك في كثير من
المطارح والمعارج وان تقول معنى قوله عليه السلام من اكتوى او استرقى فقد
برئ من التوكل ومن تعلق شيئا وكل اليه ان من زعم ان الاسباب مستقلة
في دفع الاشياء او جلبها ولا يعلم ان تاثيرها باذن الله تعالى كما قال النبي عم
لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله برئ من التوكل

ويفوض حقيقة الامر الى الله تعالى وفوض الى نفسه ولا يتصل الله نصر الله وعونه
وحفظه وان يقول الامر بالتداوي لمصلحة العوام الذين لا يقدرون على الصبر على
البليه والمصائب وقوله فقد برئ من التوكل ووكل الله لبيان ان الاصل
والعزيمة للخواص قطع النظر عن الاسباب لانهم يصبرون على البلاء بل يلتذون بالمصائب
النفسانيه والعناء ولا يحركهم ولا يزعج قلوبهم نوائب الايام ولا يغيرهم في العبادة
عوارض الالام لاستيلاء محبة الله على قلوبهم وكونهم كالميت في الاسباب وعدم النعم
كما اشار الى ذلك ربنا الرحيم بقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
وقوله الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقال النبي عليه السلام
ايضا في حقهم سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون ولا
يسترقون ولا يتطيرون حتى لو لم يعمل بذلك الاصل يخرج من التوكل الواجب
عليه المناسب لمقامه ولو اعتبر بالسبب في بعض الوقت يكون للتعليم او لاظهار
حكمة الله تعالى وارجو من فضل ربنا الكريم وجاء الرحيم ان يحشرنا في زمرتهم
ويحشرنا بسيرتهم

باب الرؤيا

قال النبي عليه السلام رؤيا المؤمن جزء من اربعين جزءا من النبوة وهي على
رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت واحسبه قال لا يحدث الا حبيبا
اولبيبا قال الامام التوربشتي رؤيا المؤمن يخبر عن صورة ما قدر له من الخير والشر
والتيسير وعدمه لا يغيره واجاب بان ذلك كالسعادة والشقاوة المقدرتين لكن
العبد مامور بالجهد والسعي في تحصيل اسباب السعادة وان قدر له الشقاوة وهذا
التاويل كاشف عن معنى قوله لا يحدث بها الا حبيبا لا عن معنى قوله فاذا حدث بها
وقعت واجاب شارح المشكوة بان الرؤيا يستمر على ما يسوق التقدير اليه من
النفع وعدمه وهذا يناسب قوله لا يحدث بها الا حبيبا لكنه ليس بتحقيق لان التقدير لا يتبع
التعبير ويمكن ان يقال التعبير لا يغير المقدر لكن المقدر مخفي عن ادراك الانام فيعتمد
قول المعبر فالجاهل بتعبير الرؤيا لعدم معرفته المناسبة بين الصورة والمعنى ربما عمم
من صورة الشيء المرهوب فاول الرؤيا بذلك فتشوش قلب الرائي ولا يجد الحصول
والفراغ في امر دنياه ودينه وربما يتوهم الخير والمعنى النافع من صورة الرؤيا فيعبر
الرؤيا بذلك فيغتر صاحب الرؤيا بذلك ويغفل ولا يشتغل بالاسباب الدافعة
لذلك الشر وقد عرفت ان للاشتغال بالدعاء والتصدق اثرا في دفع الشر والبلاء واشد
حمية فيحرم عن تلك الفوائد بسبب الغفلة فيكون معنى قوله وقعت وقع اثار
الرؤيا من الفرح والفزع او من الترح والتشويش في قلب الرائي ويمكن ان يقال
مراد شارح المشكوة ان حكم الرؤيا على حسب ما يعبر المعبر كما ذهب اليه البعض

في حكم المجهولات وظاهر قول يوسف عليه السلام قضي الامر الذي فيه
تستفتيان يرشد الى ذلك وقال

باب الجلوس

قال عباد بن تميم رايت النبي عليه السلام مستلقيا في المسجد واضعا احدى قدميه
على الاخرى فان قيل قال جابر نهى النبي عليه السلام ان يرفع الرجل احدى رجليه
على الاخرى وهو مستلق على ظهره فكيف يفعل النبي ما نهى عنه قلنا يحتمل ان يوفق بينهما
بان يحمل فعله لبيان الجواز ونهيه لبيان الكراهة والنهي مقيد بان يكون وضع
الرجل بعد انتصاب الركبة او بدون السراويل وذلك التقدير لم يوجد في وضع النبي
عليه السلام او يقال لما كان غالب الاحوال انكشاف العورة في ذلك الوضع
منع عنه بعد فعله

باب الضحك

قالت عائشة ما رايت النبي عليه السلام مستجمعا ضاحكا حتى ارى منه لهواته وقال
جابر بن سمرة كان النبي عليه السلام لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح
حتى تطلع الشمس فان قيل قد صح ان النبي عليه السلام ضحك حتى روي لهواته وقام
من مصلاه قبل طلوع الشمس قلنا يحتمل ان يكون ضحكه الضحك الموصوف وعدم القيام
باعتبار معرفة الراوي لا باعتبار نفس الامر فلا يلزم التعارض لاختلاف الجهة

باب البيان والشعر

قال النبي عليه السلام
لان يمتلي جوف رجل قيحا يريه خير من ان يمتلي شعرا وقال ان الله يبغض البليغ
من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما يتخلل الباقرة بلسانها وقال النبي عليه السلام
لقد امرت ان اتجوز في القول فان الجواز خير فان قيل قد مدح النبي عليه السلام الشعر
وحرض حسانا عليه ومدح البليغ ايضا وقال ابن عمر قدم رجلان من المشرق فخطبا
فعجب الناس لبيانهما فقال عليه السلام ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة
وقال ابو عمرو الشريد ردفت رسول الله يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت
قال نعم هيه فانشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت وقال لحسان
يوم قريظة اهجو المشركين فان جبرائيل معك فكيف ذم الشاعر والبليغ مطلقا
قلنا يمكن ان يقال في بيان التوفيق بان محل قبح الشعر المذموم ما يقال لمدح اهل
الدنيا لاجل حطامها كما قال عليه السلام احثوا التراب على وجوه المداحين وقال
عليه السلام من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الناس لم يقبل الله منه يوم القيمة
صرفا ولا عدلا او يقال الشعر المنهي ما قال في غير اهله وموضعه كمدح اهل المعاصي او
مدح شيء كالشرب فيه فيؤدي الى الكذب ويعتاد بذلك فانه يسوس القلب
ويفسده ولهذا المعنى يبغض البليغ كما يبغض العلم والقول لعدم وقوعهما في
موقعهما او للافراط فيهما بان يؤدي ذلك الى ترك بعض الفرائض كما قال النبي عم

ان من العلم جهلا وان من القول عيالا ويجوز ان يكون محمل بلسان انشا
الى ان بعضه لتكلمه فيه لاستماله قلوب الناس كما كان حال انشا لنا كذلك ويجوز
ان يكون ذم الشاعر والبليغ لاستعمال كلامهما على غير مشروعه كالمدح المشتمل
على شجاعة اهل الغصب واسراف اهل الدنيا وسائر الافعال والاقوال الغير
المشروعه المستقبحه في الشريعه واما الشعر والكلام البليغ لمدح الانبياء والاولياء
والمومنين الصالحين على معالم المحمودة واوصافهم الممدوحه واعمالهم المشروعه
او للتوحيد وصفات الله تعالى او للموعظه والنصيحه والتحريض على الطاعه والزجر
عن المعصيه وبيان احوال القبر والحشر والقيمة محمود وجائز ومستحسن في الشريعة
كما اشار الى ذلك نبينا المختار صلى الله عليه وعلى اله الاخيار بقوله ان من البيان
لسحرا وان من الشعر لحكمة شبه البيان بالسحر والشعر بالحكمة على الوجه الابلغ
اذ الظاهر ان يقال ان بعض البيان لسحر وان بعض الشعر لحكمة فقلب الكلام
للمبالغه المعنى ان بعض البيان كالسحر في تحريك القلوب واما لتها الى قوله واستحسانه
لحسن نظمه ومعناه في الشرع وان بعض الشعر كالكلمه الحكمه المشتمله على المنافع
الدينية من المواعظ المستحسنة والتحريض على الطاعة والزجر عن المعصيه وذم الكفار
واهل المعصيه وقد عرفت ان الكلام المشتمل على الحكم والمواعظ والمنافع الدينيه

او الدنيوية ممدوح نظما كان او نثرا مدحا كان او ذما كذم المشركين
كما قال النبي عليه السلام المومن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما
ترمونهم به نضح النبل والمراد به الشعر وقوله عليه السلام امرت ان اجوز في القول
المراد منه ان يوجز كلامه في موضع الايجاز ولا يعتاد على التطويل والاكثار
في كل موضع لان يسلك الاطناب والتفصيل في موضع يقتضي بسط الكلام
لما عرفت ان اكمل البلغاء افصل الخطباء يطيل كلامه في موضع الاطناب

باب الشفقة والرحمة

قال النبي عليه السلام
خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه
يتيم يساء اليه قال في شرحه بيت فيه يتيم يحسن اليه ليس افضل من بيت يصلى فيه
ويصام على وجه المواظبه والكمال وبيت يساء فيه على اليتيم ليس باشر من بيت
يشرب فيه الخمر ويزنى فيه ويسفك الدم ولما ورد في حق امثال هذا الحديث يحمل على المبالغة
او الزيادة في ذاته او التفصيل بجهة مخصوصة بان يكون خير البيت بالنسبة
الى باقي الصدقات وشره بالنسبة الى ترك الصدقات المعنى خير بيت يتصدق فيه بيت
فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فيه يتيم بترك الاحسان اليه فيه يتيم يساء اليه
او المراد التحريض على صدقه على الايتام والتحذير عن تركها او كدر [illegible]

صارفة عن الاجراء على الظاهر وتاول على ما ذكرنا من التوجيهات قوله عليه السلام
من احسن الى يتيم او يتيمة عنده كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين
اصبعيه وقوله عليه السلام من اوى يتيما الى طعامه وشرابه اوجب الله له الجنة
الا ان يعمل ذنبا لا يغفر لما عرفت ان المحسن الى اليتيم لا يبلغ الى درجة النبي عليه
السلام ولا يحل له ما يضاد دخول الجنة بمجرد اطعام اليتيم على اي وجه كان
سوى الشرك واسبح وجها مناسبا وان عجزت عن معرفة دقته فقل المراد منه التحريض على
احسان الايتام بوجه ابلغ واقوى وقد عرفت وجه الابلغية فلا نعيده
قال النبي عليه السلام ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان
يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم قرأ وكان حقا علينا نصر المؤمنين فان قلت
يحرم الرد عن عرض اخيه لا ينجي عن النار فضلا ان يوجب على الله انجاه قلنا
قد عرفت توجيه مثله بوجوهه وتاويله فقل معناه من شان الرد ان ينجيه
لولا يعارضه معارض يعيق حوله النار لما عرفت ان شان كل عبادة
ان ينجي عاملها من النار كما ان شان كل معصية ان يدخله فيها اذا لم يوجد
المانع الشرعي فيهما او المراد التحريض على حماية عرض المسلم بالوجه الابلغ وقد عرفت
بعض ذلك الوجه مرارا فان اردت سماع نصيحة هنا من لوى للسعرين فاعلم

انه عليه السلام لو قال للراد عن عرض المسلم ثواب عظيم لا ينبعث به الشوق
والتوجه الى الرد كما ينبعث عن سماع قوله عليه السلام كان حقا على الله
ان يرد نار جهنم عنه لان الانسان ضعيف ونار جهنم شديد الالم لا يقدر على الالم بها
وشدتها الحالة الراهنة فيجتهد في تحصيل الرد باقصى السعي والطاقة والثواب العظيم
مجمل [illegible] يعرف بالوجدان ان التعيين والتفصيل اقوى في التحريض لكن
اذا قلت لم يذكر في التحريض شيئا من نعيم الجنة وهو محرض على التعيين ايضا
قلنا لرعاية مناسبة الرد للرد فتأمل عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي عليه السلام
اذ قال ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والنبيون بقربهم
ومقعدهم من الله يوم القيمة فقال اعرابي حدثنا يا رسول الله من هم قال
هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون
بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا و
يجعل لهم منابر من نور قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون
فان قلت المتحابون لا يبلغون مقام الشهداء والانبياء فكيف يغبط الانبياء والشهداء
منزلتهم والانبياء والاولياء لا يفزعون يوم القيمة لقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وقوله وهم من فزع يومئذ امنون وظاهره يفزع الناس

ولا يرعون بل لا على ان يرع الناس الذين سواهم قال بعض الشراح في توجيهه
يجوز ان يغبطهم الانبياء مع انهم وان كان مرتبتهم اعظم من تلك المجالس ويجوز
ان يكون تلك الغبطة والبجاه في موضع من مواضع القيمة كموضع
اشتغال الانبياء بحال امتهم والجواب عنهم وهذا التوجيه من جزئيات بعض
القواعد السالمة لان معناه ان ذلك يحصل المتحابين لجهة خاصة ومكان
مخصوص فلا يلزم منه ان يكون منزلتهم افضل من منازل الانبياء او بحسن النجات
عن الخوف بهم ولا يوجد في غيرهم فالتوجيه الاول اولى توضيح ذلك الوجه
ويحصله ان يقال لكل عبادة مخصوصة ثواب خاص مناسب لها لا يوجد في غيرها
كما ان لكل معصية عقاب خاص وكون المتحابين من بلدان شتى وقبائل شتى
وليس بينهم قرابة ومصاحبة ومناسبة سوى جامع شرعي كاتحاد دينهم ويد
حبهم يجوز ان لا يوجد ذلك في الانبياء والشهداء فلا يوجد لهم الثواب المخصوص
بتلك الامور فيغبطون فيهم ويثنون لهم لتلك الخصوصية وان كان منازل الانبيا
والشهداء اعظم واعلى من منازلهم لجهات شتى لم يوجد شيء منها في المتحابين كما ان
بعض الرجال يسر ويغبط بنا صغير لاجل الخصوصية فيه مع ان له قصورا
موسعة وغرفا عالية مزينة وبيوتا واسعة منقشة ويجوز ان يقال معنى الغبطة

الاستحسان لانه لازمها كما قال النبي عليه السلام لا حسد الا في اثنين والمراد منه الاستحسان
والاستعظام ويجوز ان يراد منه التحريص على التحابب بالوجه الابلغ ويجوز ان يراد
من الناس في قوله يغبطهم الناس غير الانبياء والاولياء فيكون كالحكم الاضافي
او المراد منه التحريص لا معناه الحقيقي وقد عرفت ان مع وجود عدم ارادة الحقيقة
والظاهر بقرينة صارفة سهل لكن الشان في استخراج وجه مناسب للمقام ومقارب
الى الافهام فتامل فيه تطلع على وجه تناسب الكلام قال بعض الشراح المراد من روح
الله القران وقيل المحبة والاوجات يراد منه عون الله وتوفيقه للتحاب قال
النبي عليه السلام لابي ذر يا ابا ذر اي عرى الايمان اوثق قال الله ورسوله اعلم قال الموالاة
في الله والحب في الله والبغض في الله فان قيل الحب في الله والبغض في الله ليسا
من اجزاء الايمان وتشبيههما بالعرى يدل على انهما من اجزائه قلنا يجوز ان يراد من العرى
توابع الايمان لان العروة من التوابع او يكون التقدير اي عرى اعمال الايمان
وغيرها اوثق فان عدت وقيل الحب والبغض في الله ليسا من اوثق الاعمال
الوعر واقومها لما عرف ان الصلوة افضل من باقيها وايضا يعارض هذا
هو قوله عليه السلام في سؤال معاذ عن عمل يدخله الجنة الا اخبرك براس
الامر كله وعموده وذروة سنامه قال بلى يا رسول الله قال عليه السلام راس الامر

الاسلام وعموده الصلوة وذروة سنامه الجهاد ثم قال عليه السلام الا اخبرك
بملاك الامر كله قال بلى يا نبي الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا فقال يا نبي الله
انا لمؤاخذون بما نتكلم قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم
او على مناخرهم الا حصائد السنتهم وايضا قال النبي عليه السلام بني الاسلام
على خمس ولم يذكر الحب والبغض في الله فيها فلما تبين وقد عرفت ان الاحاديث المذكورة
تدل على ان الاعمال المذكورة فيها افضل واقوى من الحب في الله والبغض وجب
ان يدل ايضا على انها اقوى من باقي العبادات لكنك عرفت ايضا ان لا تعارض
في الحقيقة بين النصوص الشرعية وعرفت ان النبي عليه السلام بالغ في كل باب
من العبادات على وجه يتوهم منه انها افضل من باقي الاعمال على الاطلاق وعرفت
ان ذلك بوجه خاص وان فائدة ايراده في صورة الاطلاق ما هي وعرفت ان النبي
عليه السلام افصح البلغاء واكمل الخطباء يصوغ كلامه على نسق مقتضى المقام
وسؤال مقاصد الانام واذا احطت ذلك كله تطلع على توجيه هذا الكلام
فلا باس لنا في ان نشرع في تعيين الجواب وتفصيل الخطاب فنقول بالله التسديد
واراده ترد المتعلمين فنقول يجوز ان يكون الحب في الله والبغض في الله اي
في حق الله لا في غرض الدنيا اقوى الايمان باعتبار ان ذلك دليل على قوة الايمان

المؤدية الى الجد في عبادة الله والامتناع عن مخالفته على اقصى الوسع والطاقة
لما عرفت ان المحب الصادق يجتهد في خدمة المحبوب ويحصل مراده ويجتهد في الاحـ
تراز عن مخالفته بقدر طاقته ويكتفي حتى يبذل ماله وروحه في سبيله ليحصل مراده
ونفسه فيكون الحب في الله والبغض في الله افضل من باقي العبادات بتلك
الجهة المخصوصة ويجوز ان يكون باقي الاعمال يفضلان عليهما بجهة اخرى كما يوجد
فيهما كما انه يفضل الصلوة والجهاد وكف اللسان عليهما بجهات اخر وقد عرفت
تفصيلها قبل هذا هكذا من ان الجهاد افضل الاعمال باعتبار ان فيه بذل الروح والتحمل
على المقارعة بالسهام والسيوف والصلوة اكمل العبادات باعتبار اشتمالها
على التعظيمات للبدن والقلب كالركوع والسجود والانتصاب على وجه
الخشوع والوقار وقراءة القرآن والتسبيحات والتحميدات والتهليلات والتكبيرات
والدعوات وفي كل ركعة واداب صلوتية تعظيمات وتذكرات ومزيد حالته
لو شرعنا في تفصيلها يطول الكلام ويلزم الخروج عن مقتضى المقام واما قوله
عليه السلام الا اخبرك بملاك الامر كله يدل على ان كف اللسان اصل العبادات
واقواها فما توجيهه ذلك قلنا ذلك بوجه خاص ايضا لما عرفت ان اللسان
اخف الاعضاء واعلاها في تحصيل الخير والشر والنفع والضر كما عرفت بعض

ما يحصل الحجر في الحال فصل الذكر فان اردت معرفة ما يحصل الشر والفحش المتعلق
باللسان فطالع في كتاب مصنف في بيان آفات اللسان وهي عشرون صنفا
ومن اعظمها الكذب والغيبة والنميمة والمضاحكة فان قيل لم خص النبي عليه السلام
في بيان ملاك الامر كف اللسان مع ان اطلاقه في الاذكار وقراءة القرآن والدعوات
وتعليم العلم والوعظ والنصيحة من ملاك الامر قلنا لان امر الكف اهم
واعظم اذ اصعب واعم لان منع المعاصي المتعلقة باللسان لا يتيسر الا للاقويا
ولصعوبة المنع وضع ابو بكر الصديق رضي الله عنه قطعة حجر في فمه حتى
لا يصدر منه شيء مما لا يعنيه وذلك امر وجداني فان اكثر الناس لو منع عن
المباشرة في الممازحة والحكايات والملاهي بل عن الكذب والغيبة والمناهي
لتكدر حاله وتضيق بالمنع انه عالم بان ذلك يضر في امر دينه ودنياه ولعل
ذلك المنع وغلبة وقوع المعاصي من جهة اللسان قال النبي عليه السلام
هل يكب الناس ولم يخصص الكب وارد على وجه الحصر وقدح بالمناخر والقعود
لان الطبيعة تميل على حسب الراي فلما كان آفة اللسان من اعضل الامر
ولا قال الطاهرة عالم في منع اللسان عنها بابلغ الوجوه بكيفية تدل على انكار
المؤاخذة على وجه الاستغراب المؤدي الى تأكيد الرد بالخطاب في القول ثكلتك

امك في الجواب ولكون ترك المعاصي اصعب واعظم واستعمال الناصح براولي واهم
وصف النبي عم والقرآن في اكثر الامر بصفة الانذار وقال النبي عم والله اني لاخشاكم
واتقاكم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وقد عرفت ان كل انسان
يحتاج الى الانذار والاستغفار وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لانه لا يقدر
على رعاية شرائط العبادة اللائقة بشان الملك الجبار لكثرة العوارض والعوائق
والقوادح وعروض اسباب المكملات من كمال الاخلاص والحضور والثبات وغيرها
ولذا قلما يوجد الانسان الكامل المستحق للبشارة بالفلاح الكامل واذا عرفت
ان النبي عليه السلام بالغ في ثواب كل طاعة وتنفيره وعقاب كل معصية
ومقربه بوجه مخصوص وفضل بعض سور القرآن واثابة على بعض باعتبار المعنى
والجهة الخاصة فافهم منه ان جهة الاثابة باللذة والثواب والعذاب والعقوبة في بعض
العبادات والسيئات مدرك بالعقل فلا وجه لمن انكر الحسن والقبح العقلي والا لزم
ان تعالى يوجه دفع التعارض الظاهري والتوسل الشارع حاكم مطلق وله ان
يفضل بعض العبادات على الباقي ويغلظ بعض المعاصي بالنسبة الى الباقي
وعكس الامر ايضا بدون جهة مخصصة والمراد من التفصيل والتغليظ مجرد
البعث والزجر وانت تعرف ان لا وجه لذلك كما لا وجه للانكار والله الموفق

والهادي الى طريق العدل والانصاف

باب ما نهي عن التهاجر

قال النبي عليه السلام لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث
فمات دخل النار وان قيل قد هجر النبي عليه السلام زينب ذي الحجة والمحرم وبعض
صفر مع انها زوجته عليه قسمها وصحبتها قلنا المراد من الهجر التي لا يحل فيها
ان يجاوز عن الثلث الهجر لامر الدنيا فان كان الهجر لامر الاخرة فان يرى احدكم
على معصية يجوز ان يهجر عنه مدة عمره وهجر الرسول عليه السلام كانت
لمكان عيرها في زينب وسبب تلك الهجرة ان صفية انقطع ظهرها ومركبها في بعض
السفر وعند زينب فضل مركب فقال لزينب عليه السلام اعطى فضل ظهرك صفية
فقالت زينب انا اعطي تلك اليهودية فغضب النبي عليه السلام فهجرها عنها في تلك
المدة على وجه التاديب والتوبة واعرف مرارا ان بعض الاحاديث يقيد بعضا
لبعض بعضها يكون وجه التقييد والتوفيق لان تقييد المطلق لا يكون الا في
حادثة واحدة وحكم واحد في بعض ما ذكرنا من التقييدات لا يوجد
الشرطان فاعلم منه ان مرادنا من تقييد البعض ان البعض يكون قرينة
الجمع والتوفيق كما ان خبر الواحد والقياس يكون وجه البيان والتقييد
للنصوص القاطعة وان لم يصلحا ان يعارضها ولا يخفى عليك ان دفع التعارض

الظاهر في اكثر المواضع يكون بذلك الاصل ولذلك كان حفظ النصوص عن تعيين
باسرها شرط الاجتهاد وبذلك يكشف قوله عليه السلام الاناة من الله والعجلة
من الشيطان وقوله عليه السلام لعائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش
فان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه وقوله عليه السلام
المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف لما عرفت ان الاناة والتؤدة ليستا
بمحمودة وحسن على الاطلاق لان كلا منهما يكون حراما على القطع كما في التعجيل والاناة
كما في الواجبات الموقتة او سيئ كما في الواجبات المطلقة ولذا قال النبي عليه السلام
التؤدة في كل شيء خير الا في عمل الاخرة وهذا ليس حاكما على الاطلاق وايضا لان
ذلك مقيد بما يكون خيرا وطاعة اذ حث في المواظبة على النوافل تؤدة وتاملا
كثيرا لا يلزم الراجح وحاصل ذلك ان الاناة كثيرا ما ايضا والرفق ايضا لا يكون
محمودا على الاطلاق كما ان العنف ليس بمذموم على الاطلاق لان الرفق وترك
العنف ممدوح في المخاصمة والمكافاة في حق نفسه لا في حق الشرع لوجوب العنف
وترك الرفق في اقامة الحدود ونهي المنكرات كما قال الله تعالى ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله وقوله تعالى ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض
وقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وكذا اللين والهينونة والانقياد

السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة

ليست بمرضية على الاطلاق لان اللين والانقياد يجب ان يكون في اتباع الحق
والدعوة الى الطاعة وترك المكافاة والخصومة لا بعد المنكرات والدعوة الى
المعصية قال النبي عليه السلام الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصدقة
والصلوة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة والاثم
في تفسيرها لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين قال واياكم والحسد فان
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب فان قلت اصلاح ذات البين
عبارة عن دفع العداوة بين المؤمنين وذلك ليس بافضل من الصلوة والصوم
والصدقة لانها من اركان الاسلام بالاتفاق دون الحسنات ايضا
لا يحبط بغير الكفر والحسد وفساد ذات البين كيف يحبطها ويزيلها
بها قال الاشرفي في الجواب ان اصلاح ذات البين افضل من نوافل الصلوة
والصوم والصدقة وان يعرف انه ليس بافضل من نوافلها وان المراد بيان
افضليته بوجه خاص وان فايدة الاطلاق مقتضى المقام من غاية كون الاصلاح
مهما او السامع انه محتاج او فايدة التحريض على الاصلاح بالوجه القوي
قال الامام التوربشتي الحسد لا يحبط العمل بل يؤدي الى ذلك لان الحسد يؤدي الى
سم المحسود وهتك عرضه وغيبته واتلاف ماله فيذهب بذلك ثواب نفس

حسناته او نقول يضعف المثوبات بعد ترتبه العابد واذا احد يحرم
عن بعض الاضعاف وقال بعض الشراح كل حسنة يضاعف بعشر
امثالها واذا انتقصت واحدة من تلك العشر وقيل يعطي بعض ثواب
الحاسد المحسود يوم الجزاء بقدر حسده وقيل الحسد يمنع الحاسد عن فعل الحسنات
وتاويل الحالقة ما ذكر ايضا وانما ذهبوا الى التاويلات المذكورة لعلمهم بان
ثواب العبادة لا يذهب بدون الارتداد ويمكن ان يقال يجوز ان يكون
بعض شروط قبول عمل العابد بل ثوابه خلوص قلبه عن العداوة والحسد
في حق المؤمن الصالح وان لم يكونا مزيلين ثواب العبادة ومحبطين اياه فيكون
المراد من الحلق والاكل كونهما مانعين من القبول وترتب الثواب ولا يبعد ذلك
فان ترتب الثواب لما يتعلق بحصول الشروط الظاهرة وجميعها كطهارة الثوب
والبدن والمكان وستر العورة والوقت والنية يجوز ان يتعلق بحصول الشروط
القلبية الباطنة كتخلية القلب عن الريا والحسد والعداوة والكبر والعجب والندم على فعل
العبادة لما عرفت ان امر القلب اهم واعظم لان المقصود من العبادات الظاهرة
كونها سببا لاصلاح القلب وشروعه او سببا لتخلية القلب عن العداوة والحسد شرط
كمال العبادة واذا لم توجد تكون العبادة ناقصة والناقص عند طلاب الكمال

عن له المزال والمعدوم ولا اقال هي الحالقة وباكل الحسنات فاذا علمت اذا كان تحلية القلب
عن الاخلاق المذمومة المفسدة شرط الثواب او القبول او الكمال اتفاقا وجه تخصيص
العداوة والحسد من بينها بالذكر قلنا لاقتضاء المقام ذلك لما عرفت ان البليغ لا يترك
النكتة في التخصيص الذكري كما في الجزري فان قلت المظالم اشنع من الاخلاق المذمومة
فلم يكن الاحتراز عنها شرط الثواب كما قال النبي عليه السلام ان المفلس من امتي من ياتي
يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا واكل مال هذا وسفك دم
هذا فيعطي هذا من حسنات الحديث فلم كان الاحتراز عن الاخلاق المذمومة
شرطه دون الاحتراز عنه قلنا لان التحلية عنها شرطها مع ان ملاك المظالم
والنصوص الشرعية المصرحة بما ذكرنا كثيرة مذكورة في علم الاخلاق
وان لم يذكرها المعلول بيان ... الاعمال الظاهرة كالفرائض الاربع
ولا يسهل في الجواب ان يقال المراد من الحلق والاكل لازمهما وهو المنع عن
العداوة والحسد بابلغ الوجوه لوجود الوسم الصارف عن ارادة الظاهر

دينار من حسناته

باب الرفق والحياء

قال النبي عليه السلام
من يحرم الرفق يحرم الخير وقال عليه السلام الحياء لا ياتي الا بخير وقال ان مما
ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت ... الانعدام

الرفق لا تؤدي الى انعدام الخير مطلقا وكذا لا تؤدي الحياء الى اتيان الخير مطلقا
اذ قد يصاب الخير بترك الرفق والحياء كما لا يلبس ولا يستحي من هتك ستر المرتكب
في المنكر عند المنع عنه بالوعظ والنصيحة والرفق بل يسلط ويهتك ستره
بالشهادة او باقامة الحد عليه وقد يصاب بالشر والفزع بسبب الرفق والحياء بان
يلبس ويستحي في نهي المنكر ... وقوله فاصنع ما شئت يدل بعمومه على جواز
فعل المعاصي وذلك لا يجوز قلنا قد عرفت ان المراد من الرفق الممدوح هو الرفق
الواقع في محله وكذا في تركه فمن حرم عن الرفق في موضعه يحرم عن الخير المتعلق
بالرفق لا عن مطلق الخير لما عرفت ان اتيان الخير كثير والمراد من الحياء الحياء
الايماني وهو مانع قوي عن الاذى كما ثبت في الصحاح شرعا فلا يترك الحياء النهي عن المنكرات
واقامة الحدود على شارب الخمر والزاني والقاذف لانهما قبيحان شرعا فيحمل
على من له حياء عن فعل المعاصي فلا يترك الخير بسبب حياء لا بمعصية وقال
اذا كان ترك الرفق سببا للحرمان عن الخير المتعلق حصوله بالرفق فما وجه
ارادته في صورة الاطلاق قلنا قد عرفت مرارا فائدة الاطلاق ولا بعد
لكن نفصل لك بعض فضائل الرفق حتى تهتم بترك الحماقة بايراد الخير في صورة
الاطلاق واعلم ان الرفق من امارة الملك فقوة واسه واداره على العاقل.

يسوره ويشرح ويعمل بما علمه ويتبعه من الحرج نشاط ولذة ويواظبه
ولا يتهاون فيه واذا غلظ طبعه وقسى قلبه لا يميل الى طاعة ولا يقبل النصيحة
ولا يتأثر في قلبه سهولته وسرعته ولا يمتنع عن المعصية ولا يخاف منها
ان فعلها ولا يتوب عنها على سرعة ولذا قال النبي عليه السلام من اعطي حظه
من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه
من خير الدنيا والآخرة واما تعرف ان اسباب خير الدنيا والآخرة كثيرة وكل
طاعة سبب لخير الدنيا والآخرة وان كان بينها تفاوت فالمراد من الحظ الحظ المنوط
بالرفق ويكون من بعضه وفائدة الاطلاق بيان كثرة ثواب الرفق في باب
الخير لما عرفت بعض تفاصيله ويمكن ان يقام الحظ الكثير مقام الكل فيكون من
بابه واما تعرف ان حول العامرين في امثاله الحمل على التحريض اللازم لسماع
المبالغة الظاهرة ومعرفتها والجاف بعض الشراح عن قوله فاصنع ما شئت
بان ابا عبيد قال فاصنع ما شئت صيغته امر والمراد منه الخبر وقال ابو العباس المراد
من الامر هنا الوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وقال ابو اسحاق معناه انظر الى ما تريد
فان كان مما لا تستحي فافعل والا فاترك ويمكن ان يقال المراد من الامر
التوبيخ والتوبيع اي ذا المرتبة وذا المنكر للحياء الايماني خرجت عن محل التكليف

وتمام الانسان وما زال العبودية فلا يمنع فيك كلام الشارع فاصنع ما شئت
وفيه توبيخ عظيم وتوبيخ شديد يمنع عن ترك الحياء الايماني بابلغ الوجوه و
قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين وقوله تعالى ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون

باب الغضب والكبر

قال النبي عليه السلام الا اخبركم باهل الجنة
كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل
جواظ متكبر وقال عليه السلام لا يدخل النار احد في قلبه مثقال حبة من خردل
من ايمان ولا يدخل الجنة احد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقال
الكبر بطر الحق وغمط الناس وقال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم
شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر فاذا علمت اوصاف اهل الجنة واهل النار كيف
لا تعرف ان كل طاعة سبب لدخول الجنة وكل معصية سبب لدخول النار فما فائدة
تخصيص الضعفاء بكونهم اهل الجنة وفائدة تخصيص العتل والجواظ والمتكبر
بكونهم اهل النار فلما عرفت مرارا ان تخصيص مثل هذا الكلام وجود مقتضى من
مقتضيات المقام بان يكون ذكر الضعيف لتسلية قلوب الضعفاء او بيان
ان الضعف والمسكنة والفقر والفاقة من اكبر اسباب دخول الجنة لان المراد من الضعف

وقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء

ذلك لا يصف المزاح و بالغ في الصفة بقوله المستضعف اي الذي يحتقره الناس
لعدم جاهه وماله وغاية سكنه وفقره ولذلك قال لو اقسم على الله لابره وذلك
يدل على كمال قربه ومرتبته عند الله حتى يبر له ما حلف عليه بلا حنث وذلك
امارة العناية والمحبة وكذا الحصص الثقل الذي هو شديد الخصومة بالباطل
والجواظ الذي هو الصياح المهذار المختال فاحشه والمتكبر يعظم نفسه على الغير
ويسهل امر العبادة ولا يبالي بتركه للتوبيخ على ما اتصف بها والزجر عن مقاربتها
او لبيان ان اكثر اهل النار متصف بتلك الاوصاف وقد عرفت انه عليه السلام
ابلغ الخطباء لا يترك الاعتبارات اللائقة بمقامات الكلام كما ان الطبيب الحاذق
لا يترك في العلاج مقتضيات الامراض المختلفة ولذا قال رجل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصني قال لا تغضب فردد مرارا وقال في كل ذلك لا تغضب وقال
رجل اخر اوصني قال خذ الامر بالتدبير وقال ابو برزة علمني شيئا انتفع به قال اعزل
الاذى عن الطريق وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله
قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم وقال اي
الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله وقال اخر
ان شرايع الاسلام كثرت فاخبرني بامر اتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله

وانت تعرف ان مراد طالب الوصية والتعليم ان يرشد الى انفع المطالب له وحاصلها
على المعلم المسؤول عنه ان يدله على ما هو اهم وانفع له فلما كان نبينا عليه الصلوة والسلام
اكمل البلغاء افضل الحكماء وعلم ان الاهم لبعض المستوصي ترك الغضب لافراط
غضبه ولبعضه ترك العجلة لافراط عجلته في امر الدنيا فقال لاحدهما لا تغضب
وللاخر خذ الامر بالتدبير ولا يتوهم من ذلك ان ترك الغضب والعجلة افضل العبادات
واهم الطاعات وهما يكفيان لهما في باب العبادة كما ان الطبيب الحاذق
والحكيم الصادق يرشد المرضى الى ما يلائمهم فيامر بعضهم باكل العسل وينهى
عن شرب الخل وسائر المطاعم والمشارب لنادر ويامر بعضهم بخلافه والجاهل
يحمل كلامه على الدائم والعارض والعالم يفهم من معالجته على حسب الامراض
انه طبيب كامل ومعالج فاضل وقال لابي برزة في التعليم اعزل الاذى ولا يتوهم
منه انه افضل الاعمال او قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم افضل الاعمال
او نبه على الاقتصار عليه بل افهم ان مراده عليه السلام نبه على جميع العبادات
لان اماطة الاذى اذا كان عملا لا يحصل الا لنا النفس فانه فيه لم يعمل كل
الطاعات اذا كان مراده ذلك فكان معنى اجابه عليه فعل كل العبادات بترك
الطريق بكثرة خفته وحكمته بهذا لان قوله شيئا يرشد الى ان النافع عند بعض

الاعمال وهو الاكمل والاعلى من الطاعات فارشدهم النبي عليه السلام الى ان الواجب على طالب
الكمال ان يجتهد في فعل جميع الاعمال اذ لا يعرف ان رضاء الله مستور فيها لا يعرف
العبد باي عمل يحصل له ولذا اوجب الاعلى والاكمل بما يجاب الاجود والاقل وجه
من وجه تقريبه بل يحصل ما عرف ذلك كله وحيث بعض السائل والطالب وبعضه
على سوء الظن على الذكر لكونها مناسبة لحاله لا لكونها افضل الاعمال ولا لبعثه على
الاقتصاد عليها من بين العبادات فاذا علمت هذا لا يكفي الايمان المجرد في المنع عن
دخول النار فما معنى قوله لا يدخل النار احد في قلبه مثقال حبة من خردل من
ايمان ومجرد الكبر لا يمنع عن دخول الجنة فما معنى قوله لا يدخل الجنة احد
في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر والطوائف التي لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم
يوم القيامة كثيرون فما معنى تخصيص الثلثة وما معنى قيد الزاني بالشيخوخة
وقيد الكذاب بالملك وقيد المستكبر بالعيل والقوم مع ان مجرد الزنا والكذب
والكبر سبب لدخول النار وكذا ما معنى ضم الجواظ والمستكبر الى العتل مع ان
العتل يكفي في السبب قلنا قد عرفت مما سلف من القواعد فائدة التجرد والضم
وذكر العلة وتقدير على استخراج الغرائب والنكت فههنا نذكر الاولى
ان نفصل ونفرع بعض القواعد والنكت عونا للمسترشدين حتى لا يتكلفون

في الرجوع الى التأمل في القواعد والتدبر في استخراج الغرائب والنكت المخصوصة
المناسبة لما ذكر في هذا الموضع من التجرد والتعدد فنقول مجرد الايمان يكفي
في الدخول في الجنة ان لم يمنع مانع ويكفي الكبر في المنع عن دخول الجنة ان لم
يوجد مزيله من التوبة او العفو او غلبة الحسنات ولا يدخل المتكبر الجنة ما لم يعاقب
عذاب قبحه وتخصيص الثلثة بعدم التكلم والنظر لا ينافي عدمهما في حق غيرهم وفائدة
التخصيص بيان زيادة شناعة الزنا والكذب والكبر وقبحها لا الاخراج عن غيرها
والنكتة في ضم الجواظ والمستكبر العريض للمتصف بالاوصاف الثلثة القبيحة
او للمنع جمعها او لبيان قوة شبه ذلك الاجتماع للعذاب ولبيان من
مقتضيات المقام التي عرفت بعض تفاصيلها وحكمة قيد الزنا بوجوده في الشيخ
وقيد الكبر بوجوده في الفقير والكذب في الملك غلظها غاية ساء المتصف بها
لان ذلك يدل على فساد الجوهر وخباثة الذات لان الكبر اذا وجد في الغني ربما يقال
لعل ذلك لعارض وهو بطر المال وطغيان الغنى والكذب اذا وجد في غير الملك
قد يكون لعرض الدنيا من جلب النفع او دفع الضر والزنا اذا صدر من الشاب فلعل
ذلك لغلبة شهوة الفرج لا لخباثة الطبع فيكون قيد الاوصاف المذمومة بوجودها
فيمن ذكرنا لما ذكرنا وامثال هذا كثير في عبارات الشارع كما قال النبي عليه السلام

بين العبد عند بخل واحسانه وبين اكثر المساكين بين العبد عند بحر واعدى ونسي
الجار لاهله بين العبد عند سهو ولهو وبين المعاصي والبلاء بين العبد عند غنى وطغى
وبين المبدا والمنتهى فان كل واحد من الخصال المذمومة بين الذم فيكون
فايدة ضم الغير لبيان زيادة فساد الجامع لها والنهي عن جمعها او التعريض لجامعها او
لبيان ان الاولى من كل منها مذموم وموصل الى الاخرى غالبا فيه ابلغ منع منها العلة
لجمعها بتلك الاوصاف في المخاطبين او في ذلك الموضع لما اشعر فان اطاع كل
قوم ببعض صفات من الصفات المذمومة وحدها او المذمومة في كلا تدل اسماء الذم لا بيان
الذم بالاتفاق لان شرط العمل بمفهوم المخالفة عند القائلين به ان لا يوجد فايدة سوى
اخراج المطلق والمقيد عن ترتب الحكم عليه وهنا وجدت ونحن لا نقول بمفهوم المخالفة
لكنا لا ندع المعدد من فايدة اذا لم يكن شرطا في وجود الحكم ولذا اشعر بالتنبيه
الكلية في امثال ذلك

باب الظلم

روى ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من
لا درهم له ولا متاع فقال عليه السلام ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة
وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا
فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ

من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وقال لتؤدن الحقوق الى اهلها
يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وفي الحديث تنبيه على ان
المفلس في اللغة من لا درهم ولا متاع له لكن لما كان ذلك الافلاس ومن لم يطالب
والافلاس عن بضاعة العبادة في الاخرة فقد كاملا ومن يعطها سالما قال ان
المفلس من ياتي على طريق التقرير لان الناقص في حق الكامل بمنزلة المعدوم فان قلت
من ياتي بصلوة وصيام وزكوة ليس بمفلس قلنا اذا ذهب ولم يبق صاحبها
بمنزلة المعدوم فان قلت تعذيب الظالم بوزر المظلوم مخالف لظاهر الاية لان
الله تعالى قال ولا تزر وازرة وزر اخرى فان الامام التوربشتي في جواب المعاقبة
بسبب ظلمه ولم يعاقب بغير جناية قلنا هذا تاويل وتوفيق لكن لم يكشف بعض
الطرح فيمكن ان يقال معنى الاية ان النفس الوازرة لا تحمل وزر نفس اخرى بان
تقول احملوا علي فافعل ما شئت فطرح وزر المظلوم على الظالم كان على سبيل
العدل وتوفية حق المظلوم فلا ينافي ذلك معنى الاية والاولى ان يقال المراد
من طرح ذنوب المظلوم على الظالم تعذيب الظالم في مقابلة ظلمه وتخفيف عذاب
المظلوم لا تحمل خطاياه فيكون من باب اطلاق السبب وارادة المسبب الا ترى
والظاهر اقوى الرابع غير ان الطرح على الظاهر

باب الأمر بالمعروف قال النبي عليه السلام

من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه
وذلك أضعف الإيمان قال أهل الإيمان عبارة عن التصديق بوجود الله تعالى وصدق
رسوله على سبيل الجزم لا يقبل الزيادة والنقصان والضعف والقوة مع أن الاقتصار
المغير على إنكار قلبه كان لعدم استطاعته وقدرته على التغيير باليد واللسان فكيف
قيل أضعف الإيمان قال بعض الشراح المراد من الإيمان أعماله وثمراته وهذا توجيه جيد
لأن النهي عن المنكر من ثمرات الإيمان والاقتصار على الإنكار القلبي فيه أضعف
من النهي باليد واللسان باعتبار الظهور والتأثير ويمكن أن يقال أضعف الإيمان
باعتبار الوصف لما عرفت أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص باعتبار الذات والأجزاء إذا لم
يجعل الأعمال من الإيمان كما عرفت تفصيله في أصله لكن يزيد وينقص ويقوى
ويضعف باعتبار الوصف والقوة فإن إيمان جبريل وعيسى عليهما السلام ليس
كإيمان العامي المقلد في القوة والشدة وبذلك الاعتبار قال النبي عليه السلام لو وزن
إيمان أبي بكر بإيمان سائر الناس لرجح لأن قوة يقينه في الإيمان بلغت إلى مرتبة لا
يمكن التغير والتزلزل فيها وإن تراكم عليه جميع المعارضات وتزاحم عليه كل الشبهات
من قبل النفس والشياطين وأسباب الدنيا وإذا عرفت ذلك فاسمع تفصيل ما حصل

والإقرار بها حاله الإحسان [illegible]

ما ذهب إليه فاعلم أن اقتصار الناهي على إنكار قلبه إما لخوف هلاكه أو هلاك
ماله وجاهه أو لانتهاك عرضه أو غير ذلك من منافع النفس ومقاصد البدن
وذلك يدل على ضعف إيمانه لأن من قوي إيمانه واستولى على القلب نوره
لا يبالي كل شيء في موضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيأمر وينهى ويجتهد
فيهما بيده ولسانه ولو علم هلاكه في ذلك الباب بعضهم ولم يكن هذا خطابا
لنا وإن كان خطابا لنا ودليلا على قوة إيماننا وبالنا وقد قال النبي عليه السلام
في مدح العاملين بالنهي بقوله فإن وراءكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض
على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قالوا يا رسول الله أجر
خمسين منهم قال أجر خمسين منكم والمراد من أيام الصبر أيام ظهر فيها الفتن والمنكرات
ولم يوجد فيها معين في أمر الدين حتى يشتغل فيها بالطاعة والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر فيكون أجره أجر خمسين من الصحابة وذلك التضاعف لزيادة التعب
والمشقة في الطاعة والنهي عن المنكرات والنصيحة وإلى ذلك أشار النبي عليه السلام
بقوله من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد ويمكن أن يقال أيضا المراد
من أضعف الإيمان إيمان العاصي المانع عن إقامة وظيفة نهي المنكرات باليد
واللسان أو أضعف ثمراته بالنسبة إلى المانع لا إلى الناهي لكن ما عرفت

الرفق من التحقيق المناسب للمشي والكلام والمعارف الى السوق والمقام ومن المأول
المنصف على دفع المعارض الظاهري وتصحيح الكلام التالي فان قيل ما وجه ضعف ايمان
غير المستطيع للنهي باليد واللسان وذلك لا يحصل لان الله تعالى قال لا يكلف الله نفسا
الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر قلنا الاتم عدم ضعف ايمان العامل بما وجب عليه فان النساء يخرجن
عن منع عروض الحيض لا بنفسهن وعن التخلف بنقصان عقلهن مع ان النبي عم
قال في حقهن من ناقصات العقل والدين لذاتهن ونقصان دينهن نقصان
عبادتهن بسبب الحيض وهذا لا ينافي قوله لا يكلف الله نفسا لان النقصان والذم
في الحديث لا لعدم شرط الكمال بسبب العجز ومعنى الآية بيان عدم التكليف عند انعدام
القدرة لا بيان عدم النقصان والضعف في الصفات وعدم الفرق بين العزيمة
والرخصة في الثواب والفضيلة ولو سلم ان الضعف لا يحصل بدون العدم قلنا المتقي
قدر على النهي عن المنكرات باليد واللسان وان لم يجب عليه لكنه لا يشرع
فيه للخوف عن الضرر في امر دنياه فيعمل بالرخصة وهي بالنسبة الى العزيمة ضعيفة
وقد عرفت بعض فاصله فلا يكون امره كامل النسبة

باب الرقاق

قال النبي عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر كم من مؤمن يعيش في الدنيا برفاهية وطيب عيش الى ان يموت
فيكون الدنيا كالجنة له وكم من كافر يكون في جميع عمره مبتلا بالفقر ومحنة
بالمرض فيكون الدنيا كالسجن له اجاب بعض الشراح بان المراد ان للمؤمن من نعيم
الجنة باق لا يزول وكامل لا يشوبه ونعيم لا يعارض والدنيا مع نعيمها الفانية
المشوبة بالعناء سجن بالنسبة الى الآخرة ونعيمها الكامل والدنيا مع جميع بلائها جنة
للكافر بالنسبة الى عذاب القبر ولقائل ان يقول كل مؤمن لا يتخلص عن عذاب الآخرة
ولا ينعم بنعيم الجنة فكيف يكون الدنيا في حقه بمجاله من كمال الاعتقاد ومعنى الحسن
ويقول من ختم عمره بالايمان يدخل الجنة اما اولا او اخرا فيشرف بنعيم الجنة
فيكون الدنيا كالسجن له بالنسبة اليه او المراد من المؤمن المؤمن الكامل لكن
الاولى ان يعبر بمقابله بالكافر لا الفاسق قال فخر الاسلام الدنيا للمؤمن كالسجن
لانه مكلف بالاوامر والنواهي والكافر غير مكلف بها فيكون الدنيا كالجنة له ولقائل
ان يقول كل مؤمن لا يعمل بالاوامر والنواهي ولا يشتغل بالعبادات ولا يجتنب السيئات
فلا يكون الدنيا بمنزلة السجن ويمكن ان يقول من شأن المؤمن ان يكلف
بها فيكون الدنيا كالسجن له بخلاف الكافر واعلم ان الحديث من باب التشبيه البليغ
وقد عرفت ان وجه الشبه قد يكون الامر المشترك في الجسم او في جزئها او في وصف

خاصة بهم وجه الشبه هنا وصف خاص للجنة والسجن فللسجن اوصاف
ولوازم من تضيق قلب المسجون لعدم الوصول الى مراده ومن الحرص على خلاصه منه
لظلمته وضيقه وعدم المونس والمطلوب فيه وقد اشار اليه عليه السلام في بعض
كلامه الى بعض وجه الشبه بقوله الدنيا سجن المومن وسنة السنة عبارة عن القحط فيستوفي
فيه قلب الانسان ويغتم لانعدام وصوله الى شهوات النفس وللجنة ايضا صفات
شهوتها ولوازم مخصوصة من فرح الداخل فيها ووصوله الى ما يشتهيه من اللذات
الروحانية والجسمانية من انواع المطاعم والمشارب والمناكح والملابس والمساكن
والمناظر الكاملة البالغة والفاضلة الرائعة واذا عرفت بعض ما حصل وجه الشبه فهمت
ما يأتي منه في السجن الطبع من اعتبار البعض والكل بالتأمل اليسير لكن لا بد لنا من
بيان بعض التحقيق فيه فاعلم ان المراد من المؤمن المؤمن المطلق بوجه مقابلته
بالكافر فيكون الدنيا كالسجن للمؤمن المنهمك في المشتهيات لذات بدنه والغافل
عن نعيم الجنة وعذاب النار في نفس الامر وان كانت في الصورة كالجنة له
بسبب الغفلة لان الادنى من اللذات الفانية يكون سجنه وغم اذا عرفه لانه على في
منها ويكون للمومن الخادم المراقب العالم بحال الدنيا والاخرة كالسجن دايما
لتضيق نفسه فيها ودوام حرصه على التخلص من عنائها كما اشار الى ذلك بسم الله الرحيم

وما لكنا الكريم بكلامه العظيم قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم
اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين المفهوم من الاية
ان من زعم انه حبيب الله يجب عليه ان يجتهد في رفع المانع عن الوصول وكذلك
والمانع منه حبوة الدنيا فيكون كسجنه فيود التخلص منها وكذا حكم الكافر
فان الدنيا جنة الكافر عالم بحاله في الاخرة باعتبار نفس الامر لا في علمه لانه يزعم انه
يتنعم في الاخرة وجنة الكافر عالم بحاله في الاخرة باعتبار علمه انه انما يرتب بلا لذة ما النعم الى
ما فوقه فمن يتقي عن عذابه فيه يكون كل المصائب والصابر عنده بمنزلة نعمة ولذة
ويجوز ان يكون المعنى من شان الدنيا ان يكون كالسجن للمؤمن او من شان المومن
واقتضاء ايمانه ان يكون الدنيا له كالسجن وكذا الحكم في الكافر وقد عرفت
ان التخلف لمانع لا يقدح ذلك الحكم الكلي باعتبار الاصل واعلم ان الانسان مركب
من العالم العلوي الروحاني اي روحه وعقله وقلبه من ذلك العالم ومن العالم
السفلي الجسماني اي بدنه واعضاؤه وقواها من هذا العالم فالامور العلوية الروحانية
جنود الله والسفلية الجسمانية جنود النفس والشيطان والتطارد والتخاصم دائما
بين الجندين والجهاد الاكبر عبارة عن تلك المحاربة المستمرة فيجب على المومن ان يشتغل
بافعاله ويتصف باخلاقه وعقائد تودي بكل الى نيل جند الله والسلام ثم

على حبائل الشيطان وبعض تلك الامور مدرك بالعقل وبعضها لا يدرك والرسول
بعث لمصلحة تعليم الامور المقوية والمكملة لنفس الانسان والمقربة الى مالكها وخالقها
فاذا استعمل الانسان تحصيل تلك الامور المقوية المكملة ينبعث من قلبه الشوق
والمحبة الى وصوله الى مقامه الاعلى الروحاني ومنزله الاصلي الابدي ويحصل
التنفر والكراهة للعالم الجسماني ويحب التخلص منه كما يحب المحبوس تخلصه
من السجن بل شوقه ومحبته اكمل واقوى لان الشوق والمحبة يكون بقدر لذة
المطلوب وحسن المحبوب وبقدر انفعال النفس من العائق واما اذا لم يستعمل الانسان
تحصيل العبادات المقوية حبا لله بل استعمل تحصيل ما تشتهيه نفسه وعمل غير عبادة
حالتها تقوى نفسه على عمله وقلبه وسعيهما في تحصيل اسباب لذاتها من حيل
كسب الدنيا كما انها اذا استوليا على النفس والا تنبهوا فانهما الى العادة وذلك
معلوم بالحس والتجربة عند ارباب الرياضة واصحاب المراقبة وتفاصيل ذلك لا
يدرك الا بمعرفة علم الاخلاق ومقصودنا من ذكر هذا المقدار توضيح معنى قول نبينا
عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واشارة الى ما ذكرنا في
شان وجه الشبه اذ هو يشير الى ان شان المؤمن ومقتضى ايمانه ان يستعمل بافعال تودي
الى الاشتياق والمحبة لدار الاخرة والوثبة عند مالكها ويتنفر عن الدار الناسـ

ولذاتها فيكون له كالسجن ومن شان الكافر ان يستعمل بافعال تجر الى الغفلة
عن لذات الاخروية الباقية والتلذذ باللذات الفانية وشهواتها وفيه تسلط عظيم للغافلين
المنهمكين في لذات الدنيا بحيث لها حاجة الكفار وحظهم ولا تشغل عن الكثرة والعيش قال النبي
ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات
ما عمل بها في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يجزى بها ومعنى لا يظلم لا ينقص
وهو لازم ويتعدى الى مفعولين ويريد نطقي في الاخرين فالمعنى والله لا ينقص
مؤمنا ثواب حسنة بل يعطيها ثوابها على وجه الكمال اذ يعطيه ثواب حسناته في الدنيا
ويجزى به ايضا في الاخرة فان قلت كم من مؤمن عابد ذهب جميع عمره بالفقر والعنا
والزحمة والبلاء ولم يجد ثواب حسناته في الدنيا قلنا انت لم تعرف ثواب الحسنة اذ زعمت
انه محصور على ما تشتهيه النفس من الصحة والنعمة الجسمانية وذلك قصور في نظر ارباب
البصيرة فان اجل ثواب الحسنة واعظمه ان يكون العابد في الدنيا محبوبا في قلوب اولياء
الله معه ويكرما عندهم وقد عرفت بعض تلك المثوبات الكاملة في باب المحبة ولو سلم
انحصار الثواب في الدنيا على ما زعمت قلنا التخلف لمانع لا يقدح لا سيما وقد عرفت ان
الاسباب الشرعية يجوز ان يكون متعددة ومتراجحة فيجوز ان يحرم المؤمن
عن ثواب حسنة في الدنيا لمانع كعدم التقوى او مجاورة الظلم فان شأمهم ومعصيتهم

تصل الى المؤمن البرى كما ترى الوباء والقحط تصلان الى البرى وغيره ومانع
الصدقة وغيره ولذا قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
او نقول اعطاء ثواب المؤمن فى الدنيا لا يدل على الاستمرار ولو صح ادنى الاعضاء
ويرتقى فى جميع حسنات عمره ولو كان تلك الصحة فى يوم او ليلة لما تعرف
انك لو كنت ملكا عظيما من ملوك الدنيا ثم زال نور عينيك وحاسة سمعك او نطق
لسانك يوما مجتهد فى طلب الطبيب ولو اليوم طبيبا عاد نور عينك فى ذلك
اليوم لاعطيته مملكتك اياه لاعادته ولو لم يعد الى عينك او سمعك وافرط
تعطى ايضا اياه مملكتك لازالة بل تعطى بيع درجة معه فافهم منه حصول ثواب
حسنك فى الدنيا مع ان فقر المؤمن ومصيبته سبب رفعة درجته وقربته لانه
يصبر على البلاء بسبب ايمانه ومعرفته فذلك من وجه ثواب حسنه كما اشار الى
ذلك نبينا عليه السلام بقوله اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته وقوله
من كان صلبا فى دينه اشتد بلاؤه قال ابو هريرة قال النبى عليه السلام
من ياخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن قلت انا يا رسول
الله فاخذ بيدى فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما
قسم الله لك تكن اغنى الناس واحسن الى جارك تكن مؤمنا واحب الى الناس

ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال النبى
ان الله تعالى يقول ابن ادم تفرغ لعبادتى املاء صدرك غنى واسد فقرك وان لم
تفعل ملات يدك شغلا ولم اسد فقرك فان قلت تلك الكلمات الخمسة لا تكفى
فى كونها سببا للمسائل الخمسة وايضا كم من متفرغ للعبادة لا ينقطع
فقره بل قد يمتد ويستمر وكم من مشتغل بالدنيا غير متفرغ للعبادة يكون مستغرقا
فى حطام الدنيا ومتاعها فما معنى الحديثين وتاويلهما قلنا قد عرفت ان كلام
البلغاء كثيرا ما يصاغ على خلاف مقتضى الظاهر او يراد منه المعنى المجازى لان
الدقة فيه ولا ينحرفون عنه ايضا الا لنكتة اخرى من كون المخاطب بليدا محتاجا
الى التصريح وغيره ونبينا عليه السلام اكمل البلغاء واسعى الخطباء يرى رعاية
احوال المخاطبين واجبة عليه ولو لم يقتض المقام اراد الحديثين على خلاف الظاهر
للنكتة لم يورده عليه ومن تلك النكت اعلام ان اتقاء المحارم مؤد الى غاية
الجد فى توفير وظائف العبودية لان تركنا من المحرمات ايضا او ان اتقاء
المحارم من افضل العبادات كما روى ان ترك درهم مما نهى الله خير من عبادة الثقلين
وان رجلا ذكر عنده بعبادة واجتهاد وذكر اخر بالتقوى والورع فقال
لا تعدل بالورع شيئا يعنى ان العبادة لا تساوى بالورع فى الفضيلة وقد عرفت

ان السلفاء يرلون افضل الاشياء واقويها منزلة كلها ويكون المبالغة فيه
لاظهار تلك النكتة واذا عرفت هذا القدر من التفصيل في قوله تكن اعبد الناس
فاعرف قد رايته في بعضه بان المراد من اغنى الناس ان يكون قلبه غنيا
وذلك لا يحصل الا بالقناعة والرضى بما قدر الله له من حظوظ الدنيا وبالمراد
من المومن والمسلم في قوله تكن مومنا تكن مسلما المومن الكامل المسلم الكامل
لان الاحسان الى الجار ومحبة لغيره ما يحبه لنفسه من امارات كمال الايمان
وقد عرفت جواز تعدد الاسباب وعدم اداة الحصر فلا يتوهم الانحصار في الكلام
بكسر البسط وجه التخصيص لذكري من مقتضيات المقام ويجوز ذلك ان نقول
من احسن الى الجار ويحب احاد المومنين كنفسه يعمل بباقي ثمرات الايمان فيكون
كاملا وان نقول معنى قوله تكن مؤمنا مسلما يعلم ايمانك واسلامك بوجود اماراتهما
او غير ذلك من المحتملات العقلية والمراد من موت القلب جمودها بقسوة وعروض
قساوته وزوال فهمه وتمييزه بين الضار والنافع والمعصية والطاعة لان
كثرة الضحك تورث ذلك بالخاصية ويدل على تلك الاوامر في القلب بالمشاهدة
والمراد من الغنى والفقر في قوله املاء صدرك غنى واسد فقرك غنى القلب وفقره
ويدل عليه قوله املاء صدرك واعلم ان غنى القلب واسداد باب فقره وانقطاع

دواعيه الى طلب الدنيا وتكاثرها لا يحصل الا للمتفرغين للعبادة والمتبتلين
لتحصيل الاستقامة بالتوجه الكلي والتدبر في امر الدنيا ومآل المتخدعين بلذاتها
والتوكل في امر الاخرة وكرامة المتبتلين عند الله لان العابد اذا واظب على هذا
التدبر سقطع عن طلب الدنيا وتفكر في لذاتها لان تصور عظمة الله وصنوف انعاماته
في حقه وعجائب فعاله في مصنوعاته بالتدبر يستولي عليه الشوق والمحبة
بل الوجد والحيرة فلا يميل قلبه الى الدنيا ومشتهياتها ويستوي من تصورها
بعد ذلك الصعود دنيا ونقصانا او ذلة وحرمانا ولا يستبعد ذلك فانت
تعرف ان من طلب الرياسة الدنيا ويعطي جميع ماله لتحصيله ويرضى بالميل عن
المدح والحقارات العديدة وترك المشتهيات الجسمانية وانضمام من كان
مشعوفا بتحصيل العلم يترك اللذات النفسانية من الماكل والملابس ويختار
الفقر والعزلة والخمول والذل له مقدار خمسين سنة مع انه يعلم ان اكثر
الطالبين لا يصلون الى ما يرونه من الرياسة المتعلقة بالعلم واذا فهمت ذلك
فاعلم ان اللذات الروحانية اقوى من الجسمانية والملتذ بلذات العبادات والكمالات
العلمية يترك اللذات النفسانية والمقاصد الجسمانية واذا عرفت هذا القدر من
التفصيل معنى قوله عليه السلام حكاية عن الله تعالى تفرغ لعبادتي املاء صدرك

عن فاء قال ايضا بعض ما يحصل قوله عليه السلام والاتلاف ترك سعادتين ان من
لم يتوجه لعبادة الله واعرض عن طاعته واشتغل قلبه بتحصيل الدنيا واسباب
لذاتها استولى على قلبه الاشتغال الدنيا وبدر الوسواس الشيطانية والمقاصد الفاسدة
بحيث لا يمكن تحصيلها وجمعها مدة عمره وقوته واركان البدن وايضا لا ينسد
فوق قلبه وان جمع جميع متاع الدنيا ومالها لانه يقول لعل ما ملكت ينقص او وقع
علي مانع من الكسب كالمرض والفقر فلا يمكن تحصيل ما يقوم بي وبالاولاد ولو
كثر فلابد لهم اموال كثيرة حتى لا يحتاجون الى السؤال بعدي وان لم يتصور كل ذلك
فخاصية الدنيا ان يشتغل طالبها الى ما فوقه فيجتهد في وصوله الى مرتبته ويقسي
قلبه ويتوزع همه ويصبح مالا حرصه وقهره كما قال الله ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا وهذا غالب احوال اهل الدنيا لكن ربما لا يكون الدنيا
قليلة بعض الناس كاغنياء الانبياء والاولياء ولا يحصل في قلبه محبتها وان
يكثرها بل يكون فراقها وذهابها عنده سواء ومن فلا يفرح الدنيا لان المذموم
لذاتها ومحبتها لا وجودها لكن لما كان خاصية الدنيا ما ذكرنا ولا يتخلص من
افاتها وغوائلها الانسان في غالب الاحوال تركها اكثر الانبياء والاولياء للاحتياط
والتعليم قال النبي عليه السلام لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك

قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك
قبل مماتك فان قلت الشباب والصحة والغنى من اسباب الطغيان والغفلة والهرم
والفقر والمرض من اسباب الرحمة والفضيلة فكيف عد الشباب والصحة والغنى
من الغنائم دون الهرم والفقر والمرض قلنا قد عرفت مرارا انه يجوز ان يكون
لشيء واحد جهات شتى يمدح ويطلب بعضها ويذم ويترك بعضها فمقول الغنى
والشباب والصحة ومقابلاتها خير وغنيمة من وجه وشر ونقص من وجه اما الغنى
فلانه سبب الطغيان والفساد للجهلاء والغفلاء لكنه سبيل السعادة والفضيلة
للعقلاء بان يمنع نفسه عن محبتها فيصل بذلك الى مرتبة الصابرين ويصرف على
الفقراء والمحتاجين فيصل به الى مرتبة الشاكرين والمتصدقين واما الصحة والشباب
فلان الالات للعبادة كالاعضاء وقواها يكون كاملة وقوية فيهما واهل الحزم
والتدبير يشتغلون بهما ويجتهدون في تحصيل الاسعادة فيصلون بهما
مرتبة لا يبلغها الشيوخ والمرضى لان مقدار الرغبة والتوبة يكون بقدر الكد
والجهد والهرم والمرض ايضا مذمومان اذا لم يصبر على مشاقهما او يتهاونون بالعبادة
فيهما وممدوحان باعتبار ان الهوى والشهوة انكسر فيهما ويصار للعبادة والفقر
ايضا مذموم اذا لم يحصل فيه الصبر والقناعة وممدوح اذا حصل فيه

فراغ القلب عن اشغال الدنيا والتواضع والمسكنة والصحة اعنى بالسلامة
الهموم وبصحة الاعضاء والالة بان يستعملها في تكميل وظائف العبادة
وتحصيل مراتب الاستقامة قبل فوت الفرصة وضعف الالة بوصول المرض والشيخوخة
واعنى بغناك بان يتصدق بالمال على فقراء العباد والعلماء قبل ذهاب المال
بالحادثات والموت حتى يصل به الى مرتبة المتصدقين ومدحهم كما قال عليه السلام نعم المال
الصالح للرجل الصالح واليد العليا خير من اليد السفلى واعلم ان فراغ القلب
لنعمة عظيمة ولذا قال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة
والفراغ لان امر العبادة لا يتيسر بدون فراغ القلب ولا يكون للعبادة فضيلة
ولا للعمر فائدة بدونه ولذا يحضر في الموت ايام الشدة لا تعادل حضور القلب
في الطاعة والخضوع ايضا تغرس للعبادة لانها يحصل الوصول والكرامة والسعادة
الابدية والله اعلم لكونه فقوله عليه السلام خمسا قبل خمس اشارة الى ان الا
مور الخمسة اسباب الغنيمة والدولة فوجب على العاقل ان يحصل تلك
الاسباب بها قبل عروض مقابلاتها وحلول الحرج لفواتها فلا تغفل
عن سر الحديث وحكمته فان فيه تنبيهات وتحريضات على تقديم امر الاخرة
وترك طول الامل وتحوينا على العاقلين المسوفين امر العبادة واعلم

ان التسويف وطول الامل اعلى العوائق والعقبات واقواها ولذا قال النبي عليه السلام
ما ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا
او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وامر
اي ما ينتظر احدكم في التهاون في الطاعة والتسويف امور الاخرة الا غنى مطغيا
للمعرفة ان خاصية الغنى الطغيان على الناس وهواه افراط والتجاوز عن الحد في الغفلة
وترك الطاعة او فقرا منسيا بان يتجاوز عن الحد ولا يجد فيه الاسباب المعيشة
بقدر الضرورة فينسى فيه امر العبادة او مرضا مفسدا فيه الات العبادة كالاعضاء
وقوتها او هرما مفندا بان يخل العقل ويضعف الاعضاء بحيث لا يقدر الهرم فيه
على العبادة او موتا مجهزا بان يهجم بغتة فلا يمهل الى ان يتدارك التقصيرات كما
قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون او الدجال اي ما ينتظر المسوف الا فضول
الدجال وهو شر غائب ينتظر في كل عصر او الساعة اي القيامة وهي ادهى وامر
وفي الحديث تقريع وتوبيخ وتهديد على المغرور المتهاون في طاعة الله والمسوف
المتكاسل في عبادة الله وتهديد للموانع الغالبة والعوائق القوية عن تدارك
امور الاخرة وتحريض على تعجيلها وتقديمها قبل وصول فوتها وحصول الحرج

والندامة العز القناعة نقول الحرص وفقها وقد سلك فيه سبل الرشد
ولذا قال والساعة ادهى وامر لانها الطامة الكبرى والداهية العظمى فان قلت من
وجد في عصر النبي عليه السلام لا يصل الى الدجال والعيسى فكيف قال ما سطر
احدكم الدال على ان الخطاب مخصوص بالمخاطبين قلنا المراد من احدكم
واحد من جنس الانسان في اي عصر كان والمعنى احد من جنسكم قال النبي عليه السلام
لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا فان قيل ضيعة الرجل ما يحصل منه وجه معاشه
كالصناعة والصنائع واتخاذها مشروع لان الكسب وكذا شروع ممدوح
في الشرع فكيف نهي عن اتخاذها قلنا المراد من النهي منع المتخذ عن محبتها
وتعلق قلبه بها ولذا قال فترغبوا فيها او ولذا قال النبي عم لعن عبد الدينار
ولعن عبد الدرهم اولم يلعن صاحب الدينار والدرهم اشعارا بان المذموم
محبة الدنيا وحرصها لا ذاتها وقال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب
اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال الله تعالى من كان يريد العاجلة
ومن كان يريد حرث الدنيا ولما كان اتخاذ الضيعة يؤدي غالبا الى رغبة الدنيا
ومحبتها وتعلق القلب بسببها نهى عن اتخاذها مطلقا لما عرفت ان الغالب
والكثير ينزل منزلة الكل في عرف الشريعة والمراد من النهي بيان الاولوية والا فاصل

كما راى النبي عليه السلام ابا هريرة وامه يصلحان خللا بيتهما فقال الامر اسرع
من هذا الليثة على استحباب قصر الامل وعدم استعداد دوام الاحوال لا المنع
عن اصلاح خلل البيت المؤدي الى الانهدام عليهما لان مثله من الامور المحتاج
اليها لا المنهي عنها لانه ليس من الدنيا والمراد من مدح طلب الرزق والامر بها كما
قال النبي عليه السلام ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده
وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده وقال عليه السلام ان الله طيب لا يقبل
الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين بيان طلبه بقدر الضرورة او
بيان الرخصة والاباحة بشرط ان لا يشوش قلبه به ولا يتهاون ولا يقصر في
طاعة الله تعالى والنهي مخصوص بالمتوكلين ومدح الكسب للعوام الذين
لا يتخلصون عن ملاحظة الاسباب لا يحصل فراغ قلوبهم في الطاعة
بدون حصول اسباب المعيشة كاشتغال بعض الانبياء بالكسب ليعلم الامم
او يحصل التواضع والمسكنة لا لانصرام توكلهم وقدرتهم على قطع الاسباب
وكذا حال بعض الاولياء فيه قال النبي عم ما انفق المؤمن من نفقة الا اجر فيها
الا نفقة في هذا التراب فان تلك النفقة في عمارة البناء ليست ممدوحة على الاطلاق
والنفقة في التراب ليست مذمومة ايضا مطلقا كما ورد باول الحديث في

الحصر قلنا قد عرفت ان بعض الاحاديث مقيد وبين بالنص وقد عرفت بالنصوص
الشرعية القاطعة ان الانفاق في استيفاء الحظوظ النفسانية فوق مقدار
الحاجة غير مشروع كما قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وان الانفاق
في البناء بعد الحاجة مشروع كما قال النبي عليه السلام ان كل بناء وبال على
صاحبه الا ما لا الا ما لا بد منه فهم من ذلك معنى الحديث فيقول المراد من
النفقة في غير البناء النفقة المشروعة ولذا قال الا اجر فيها لان الاجر لا يحصل
في النفقة الغير المشروعة وغير المحتاج اليها والمراد من النفقة في البناء النفقة
فوق الحاجة لا بعد الفرض لان ذلك ليس من الدنيا وقد عرفت في الاصول
ان الضروريات والمحظورات والمعذورات مستثناة من عمومات النصوص
الشرعية بالنقل والعقل قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم وقال
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين
امنوا في الحيوة وفي الاخرة وقال ايضا كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال الله
لا يحب المسرفين فهم ان اكل المستلذات ولبس المتجملات فوق الحاجة منهيان
وقال تعالى اقيموا الصلوة واتموا الصيام وجاهدوا في سبيل الله وقاتلوا
في سبيل الله فالمعذورات مستثنون من العمومات لقوله تعالى ما جعل عليكم

في الدين من حرج وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر المعنى ما انفق المؤمن من نفقة مشروعة الا اجر فيها الا النفقة
في البناء لا يوجر فيها لكونها غير مشروعة هذا واعلم ان ظاهر قوله الا النفقة في البناء
يدل على ان المراد منه المنع عن النفقة في البناء وان كان على وجه الاحتياج لا وسطا ونورا
في البستان قال النبي عليه السلام ان اول ما يسال العبد يوم القيمة من النعيم
ان يقال له الم نصح جسمك ونرويك بالماء البارد فان قلت الصحيح والا رواء ليسا
من الامور الاحسانية التكليفية وفي بعضها ان في عينها ظفرة غليظة وفي
بعضها ان عيسى النبي اعور وفي بعضها بالعكس كما يحكم احياء الموتى والموتى
وصورة الجنة والنار وتطويل يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وقال بعض
الشراح المراد من تطويل اليوم ازدحام الهموم وذلك لا بأس الطعام لان الناس
سالوا النبي وقالوا اتكفينا فيه صلوة اليوم وقال لا اقدروا له قدره يعني
صلوا في مقدار كل يوم خمس صلوات ولان قوله يوم كسنة ويوم كشهر
ويوم كجمعة يدل بظاهره على ان المراد من التطويل التسويل بان لا يفهم الناس
طلوع الشمس وغروبها وظلمة الليل واوقات الصلوة لا ازدحام الهموم
نعم يمكن ان يقال اقدروا له لا ينافي ان لا يطول اليوم ولا يراد على مقدار ويكون

التطويل عبارة عن ازدحام الهموم ويكون اختلاف التطويل في الايام الثلاثة
باعتبار ان سورة الهموم تنكسر باعتبار التكرر لان الصدمة الاولى تكون اشد
على النفس من اللاحقة لكن ذلك بعيد بالنسبة الى التسويل ويدل عليه تخصيص
السنة والشهر والجمعة وقوله اقدروا بعد البدر قال الامام محيي السنة وهذه الايام
الثلاثة طويلة في نفس الامر على القدر المذكور يدل عليه قوله وسائر الايام
كايامكم وقال القاضي ومن بعد الصلوات كان اكثر من خمسة في تلك الايام
الثلاثة الطويلة كلام صاحب الشرع فلما ذكر ليس يبعد من قدرة الله سبحانه وحكمه
لكن كلامنا في تاويل مناسب فان الحمل على التسويل اقرب الى العقل والتاويل
من بعد الشمس عن جريانها وعادات الايام عن نفسها لاجل الدجال وفتنته
وقوله سائر الايام كايامكم وفروض الصلوات الكثيرة لا تنافي تطويل الايام
باعتبار التسويل لا في نفس الامر وقد عرفت ان احياء الموتى من الناس والبهائم
وقد الرجل بالمنشار بنصفين ثم احياءه واظهار صورة الجنة والنار تسويل وتمويه
كما نقل مثل ذلك اهل الشعوذة من ذبح الرجل ثم اقامته حيا وانبات النبات
والورد في حالة واحدة وغير ذلك من التمويهات فلا يستبعد فيمكن ان يحمل احوال
عيسى على التسويل لمعرفة انه لكان لا مثال يقرب المدعى الى القبول

عند اهل العقول وحمل تطويله اليوم واحياء الميت وايجاد مثل الجنة والنار
على التحقيق لا يسع عند العقل في الوثوق لكن تشكل مرارا على ان الباب والبحث
الاحتمال العقلي سهل ومعرفة المانع عن ارادة الحقيقة والظاهر يسر وان الفضل
ورفعة المرتبة بعض التاويل المناسب من الاحتمالات العقلية فلتسامحني بالتاويلات
الاولى وتاويل القصر والبسط بين بما يلائم النظم والمقام وذلك اقتضاء الملك
دقة الافهام وكلال الفضل والرفعة بين الانام وقال تميم الداري في قصة رؤية
الدجال في جزيرة البحر لقينا فيها دابة كثيرة الشعر لا يدري ما قبلها من دبرها لكثرة
الشعر قلنا ما انت قال انا الجساسة انطلقوا الى هذا الرجل بالدير فانه بالاشواق
الى خبركم وروت فاطمة بنت قيس ان تميما الداري قال فاذا انا بامرأة
تجر شعرها قال ما انت قالت انا الجساسة اذهب الى ذلك القصر قال بعض الشراح
يحتمل ان يكون للدجال جساستان احدهما دابة والاخرى امرأة وان
يكون شيطانا يتمثل مرة في صورة دابة ومرة في صورة امرأة ويحتمل ان يسمى
المرأة دابة لقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم واعلم ان تميما رجل
نصراني اسلم واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك القصة وما صادف
الجساسة في الجزيرة الا مرة قد يصدر باعتبار العادة في صورة العموم والكلية

اكتفاء بالوجوه العقلية او النقلية او الحسية وهي حجة بها موجودة لكن
انت ورسولنا عليه السلام الامل والاكثر لكن لما كان عمر امته غالبا
هذا المقدار لم يكن ذلك للنفس عن الغفلة وطول الامل اذ العاقل يشتغل باسباب
معيشته في مقام تقدير اقامته فيه فليقدر مقدار لبثك في الدنيا والاخرة
واصرف عمرك في تهيئة اسبابهما بقدر ذلك

باب اصحاب المال والعمر والطاعة

قال النبي عليه السلام لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله
القران فهو يقوم به اناء الليل واناء النهار ورجل اتاه الله المال فهو ينفق منه اناء
الليل واناء النهار فان قيل الحسد من الاخلاق الذميمة المذمومة لانه عبارة عن زوال
نعمة الله عن مخلوقه ووصولها اليه فان ذلك يؤدي الى عدم الرضا بقسمة
الله وتقديره ومحبة الدنيا قال بعض الشراح في جوابه المراد منه الغبطة فيكون
من باب اطلاق الكل وارادة البعض او اطلاق الخاص وارادة العام او اطلاق
المقيد وارادة المطلق بقرينة شرعية بقوله عليه السلام ان الحسد يأكل الحسنات
ويمكن ان يقال المراد منه ان الحسد لو جاز لا ينبغي ان يوجد الا في اثنين فيكون
المراد منه مدح الاشتغال بقراءة القران والصدقة على سبيل المواظبة والتحريض عليهما
فيفهم منه تشريف اصحاب المال لاجل الشكر فهذا باب ولا يناسب لا يراد المولف هذا

الحديث في باب اصحاب المال فان قلت لم لا يجوز ان يكون الحسد في الاثنين جائزا
كما جاز الكذب في الاحوال الثلاثة قلنا لا يصح لعدم احتمال الحسد مصلحة راجحة
صحيحة كما في الكذب لان المؤمن يجب ان يحب لغيره ما يحب لنفسه فتامل وفي فيه
شيء اخر وهو ان حصر الحسد على الاثنين على سبيل الحال والفرض يدل على انهما
افضل الاعمال وليس كذلك لما عرفت ان افضل الاعمال الفرائض الصلوة قلنا
عرفت مرارا ان جهات التفضيل كثيرة متغايرة واراده مطلقا للمبالغة والتحريض
فيعلم هنا المداومة على القران يدل على العمل به فيؤدي ذلك الى تعود
جميع الطاعات وكذا المواظبة على انفاق المال على الفقراء يدل على غلبة
محبة الله تعالى واختيارها على محبة الدنيا فيدل ذلك على اداء موجبات العبادات
ولك ايضا ان تقول سبب تخصيص الاثنين وتفضيلهما ضمنا على باقي الاعمال
لاقتضاء المقام والاحوال او المراد من الحديث التحريض على فعل الاثنين و
مدحهما كما تقول في مدح الشيئين النفيسين ليس مثلهما في الدنيا و
ينبغي ان يقصد الانسان الا يحصلهما وهذان يمكنان لكل احد في الجهات
مع انك تعرف انهما ليسا كذلك وتعرف ان المراد مدحهما على وجه المبالغة
فيكون المراد من ذلك الكلام لازمه والظاهر باعتبار العرف ان المراد

من قوله تقوم بآناء الليل والنهار الصلوة لحمله الحديث على ظاهره لكن لا بد
في قوله من الاخراج عن ظاهره بما ذكرنا قال النبي عليه السلام ثلث اقسم
عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه فاما الذي اقسم عليهن فانه ما نقص
مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله بها عزا ولا فتح
باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر واما الذي احدثكم فاحفظوه فقال انما الدنيا
لاربعة نفر عبد رزقه الله علما ومالا فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعلم
فيه بحقه فهذا بافضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق
النية يقول لو ان لي مالا لعملت بعمل فلان فاجرهما سواء وعبد رزقه مالا
ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه
ولا يعلم فيه بحق فهذا باخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما
فهو يقول لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ووزرهما سواء
فان قلت الصدقة تنقص بعض المال فكيف اقسم النبي عليه السلام على عدمه
وفتح باب المسئلة قد يؤدي الى فتح باب الغنى فكيف اقسم النبي عم على انه سبب
لفتح باب الفقر وحصر الاشتغال بالدنيا على اربعة نفر مع ان ذلك عام في كل
انسان قلنا قد عرفت ان الكلام اذا امتنع اجراؤه على ظاهره وامكن حمله

على المعنى المجازي يلتجى الى تأويله وان ذلك الكلام قد يكون محتملا للمعاني
المتعددة المجازية وان الفضل في تعيين بعض منها بحسب المقام فنقول المراد هنا
نفي النقص المعنوي لا الصوري والصدقة لا تنقص المال في الحقيقة لان
بذل القليل للكثير مثل ان يبذل احد درهما لشراء سلعة مقدار قيمتها الف
دينار هل يكون نقصا للمال او تكثيرا او تكميلا فان الله يعطي المتصدق بعد ذلك
من نعيم الجنة ما لا نهاية لنفاسته وكماله فلا نقص صدقة بل ما من مال
بل تزيد تضاعفا لا نهاية له او نقول الصدقة تعطي المال بركة وتحفظه عن
الحوادث ويكون سببا للزيادات المعنوية وبعض الشراح لم يبلغ الله فهمه او لم
يلتفت اليه فقال الاستثناء مصروف الى الكلامين فيكون جاءت الصدقة
زيادة العز والاول ادق وابلغ ان تفكرت فيه تفهم ذلك والمراد من الفقر
الفقر القلبي لما عرفت ان الاعتياد بالسؤال وطلب الدنيا يزيد الطالب حرصه فلا
يشبع قلبه وان حصل اموالا كثيرة بحيث يبلغ اضعاف مال المتصدق ويحتمل
عقلا ان يقال هذا باعتبار الغالب والمراد منه المنع عن السؤال بوجه اكيد
فان قلت السؤال عند الحاجة مباح بل واجب فكيف قال ولا فتح باب مسئلة
على الاطلاق قلنا قد عرفت شرح حديث اخر فيقال المراد فتح باب طلب الدنيا

من غير احتياج والمراد من جعل الدنيا الاربعة باعتبار مغايرة العلم
وعدمها فيصح على الاربعة لكن ذكر من امور الدنيا المال لانه عمدتها واعلاها
اذ الدنيا اما ظاهرة كالاموال من الصوامت والنواطق او باطنة كالجاه والاكو
المذمومة المانعة من محبتها فالمال اعمها ظهورا واسدا لما عرفت ان الحر ليس كالصا
وذلك انما معقول بالوجدان فان قلت سلمنا ان الانحصار باعتبار مغايرته
وعدمها لا يرد على الاربعة لكن اعتبرنا فيه العمل بمقتضى العلم والمال فحينئذ
يرد عليها بذلك الانحصار لان عبدا حصل له العلم والمال اما ان يعمل بمقتضاهما
بان يعمل بالطاعات والصدقات او لا يعمل بمقتضاهما او يعمل بمقتضى احدهما
دون الاخر فهي اربعة اقسام وله اقسام اربعة اخرى بان يحصل العلم
فيعمل بمقتضاه او لم يعمل ويحصل له المال دون العلم فيعمل بمقتضاه او لم يعمل
فما فائدة ذكر الاربعة وترك الاربعة الاخرى اذ ذكر عبدا رزقه علما ومالا
وعمل بمقتضى العلم والمال ولم يذكر عبدا رزق اياهما ولم يعمل بموجبهما او
بموجب احدهما وذكر عبدا رزق علما وعمل بمقتضاه ولم يذكر عدم عمله
بمقتضاه وذكر عبدا رزق مالا ولم يرزق علما ولم يعمل بمقتضى المال ولم يذكر
على مقتضاه وذكر عبدا لم يرزق مالا ولا علما وقصد الوريث المال

ولم يذكر عدم قصده اياه فحينئذ يكون اربعة اقسام قلنا فيه نكتة سنية
وفائدة جمة وهي جعل العلم سببا لمقتضاه وجعل عمله المعدوم عند
عدم استلزامه وبيان ان العمل لا يتصور بدون العلم ويلزم من ذلك الاعتبار
ان لا يذكر الاقسام المتروكة واشار على ذلك بعضا بسبك وقوله وربما
سواء يدل على ان العزم وتصميم القلب على معصية بمنزلة فعله ويدل عليه قوله تع
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا وقوله تع ان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله فيكون هذا الحديث مخصصا لقوله عليه السلام ان الله
تجاوز عن امتي ما وسوست به صدورها ولا تنساه بما يدل على ان العزم لا يعاقب
لنقض المعاصي اذا لم يفعل كقوله عليه السلام في قصة المعراج قال الله من هم
بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة وان عملها كتب له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
شيئا وان عملها كتبت سيئة واحدة ويحتمل ان يراد من القول القول اللساني فحينئذ لا ينافي
حديث الوسوسة لان القول اللساني عمل ظاهر ويحتمل التاويل فيهما بالنسخ اذا
علم التاريخ والترجيح فان قلت ما السر في صحة الحصر باعتبار مغايرة ما ادركت من
النكتة فنقول لم لم يعتبر في التقسيم مغايرة العبادة مع العلم مع ان الناس
مخلوقون للعبادة والدنيا لمعيشتهم ويحصل قوتهم للعبادة ولذا قال الله تع

وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال كلوا من طيبات ما رزقناكم
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون قلنا قد عرفت ان المراد من العلم العلم
المقارن بالعمل لان غير المقارن بمنزلة المعدوم وعدم تصريح ذكر العمل لبيان
فضيلة العلم واستلزامه له وان الدنيا لا يجتمع مع العلم لان الدنيا كالسم والعلم
كالترياق فنبه على ذلك كله ولعل فيه حكما اخرى لا يبلغ اليها فهمنا لما عرفت ان نبينا
عليه السلام افضل البلغاء واكمل الخطباء نعم في كلامه بدقايق داحاو مع
الفصحاء

باب الصبر والتوكل

قال النبي عليه السلام الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة
المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق بما في يد الله وان تكون
في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب فيها لو انها ابقيت لك فان قلت حقيقة
الزهد في الشريعة الاعراض عن الدنيا والاستكراه لمحبتها وكون اعتماد المرء
على ما قدر له اوثق من الاعتماد على ما في يده وكون الرغبة في وصول المصيبة
من عدم وصولها او تاخرها ليس من الزهد في شيء لان الاول من امارات التوكل
والثاني من امارات الصبر فما وجه الحديث قلنا وبالله نقول قد ثبت في مواضع
كثيرة ان رسولنا عليه السلام يراعي مقتضيات المقام والعبارات

الكلام واحيانا كما ان الطبيب الحاذق يراعي احوال المرضى ومقتضيات امزجتهم
واحوالهم في المعالجة وربما يخاطب عليه السلام فصحاء الانام فيورد فيه
دقائق الكلام لا فصحاء العوام وربما يخاطب اصناف العوام فيصرح فيه المراد
والمرام ولما كان الحديث المذكور بعض الدقائق علم منه ان المخاطب فيه
من اهل الحقائق فيجوز ان يساق الكلام على خلاف الظاهر لان الدقة والمبالغة
فيه فيقول الزهد عبارة عن الاعراض عن محبة الدنيا ولا يتصور تحصيل هذا الكلام
وتحقيقه بدون تحصيل الدنيا فاعلم ان المراد من الدنيا عند اهل المعرفة هو
ما اخذ نفسك حظها منه وحظوظ النفس كثيرة منها المآكل والمشارب
والملابس والمساكن والمناكح والمراكب وكذا اسبابها ووسائلها من انواع
الحرف والاشتغال الموصلة اليها كالتجارة وخدمة اهل الدنيا ومن الذهب والفضة
والضياع والعقار والحدائق والمزارع والبساتين وكذا صحة البدن
وتكاثر المال والاولاد والاتباع والسعي بها والفرح والبطالة والمزح والغفلة
والرياسة والعز وحب المدح وكره العيب وغير ذلك من حظوظ
النفس الامارة والى بعض ذلك اشار الملك الكريم في كلامه القديم
كما قال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير

المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع
الحياة الدنيا وقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وقال تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره واذا عرفت ان الزهد
عبارة عن اعراض القلب عن محبة الدنيا وطلبها وعرفت ايضا بعض مفاسد
الدنيا فافهم ايضا ان ترك الموسر اعتماده على ما يجده عنده وتصميم عزمه
واعتماده على ما في يد الله من اسباب المعيشة امارة الاعراض عن
محبة الدنيا وايضا رغبته في وصول المعسر الى ماله او يديه امارة عدم
محبة الدنيا في قلبه لما عرفت ان صحة البدن والمال من الدنيا والرغبة
في زوالهما من اعظم امارات الزهد وان خصصت بزوال الدنيا باعتبار
المقام لا يبعد الصواب بل يكون في الجواب وقد عرفت ان الشيء الواحد
يجوز ان يكون له جهات واعتبارات مختلفة فيكون المرء اوثق بما في قدرة
الله مما في يده من امارات التوكل وكونه ارغب في مصيبته واصله من امارات

الصبر لا ينافي ان يكون من امارات الزهد باعتبار اخر فان قلت المراد الزهد
كيف ودلالة بعض المتروكات عليها ظاهر ومقام التمثيل يقتضي ذكر
الظاهر فما وجه ذكر الامرين الخفيين وترك الباقي وقد قلت ان البليغ
يراعي النكتة في التخصيصات المذكورة كما في الحديث قلنا التخصيص
اقتضاء حال المخاطب او المقام ويشعر بذلك قوله ليست بتحريم الحلال ولا
اضاعة المال فتامل بالذوق تطلع على النكتة فان سوق الكلام يدل على
ان الرسول عليه السلام قال هذا الكلام لتخصيص اولئك القوم يزعمون ان الزهد
عبارة عن الامتناع عن المشروعات المباحة وتفريق ما في ايديهم مما يحتاج
اليه فيكون ذلك كالتحريم والاضاعة للتسلط فكانه قال لهم الزهد ليس
عبارة عما تزعمون بل هو عبارة عن ترك تعلق قلوبكم بما في ايديكم
لا ثبوتها وعن عدم التأذي بزوالها وكون التخصيص للتعريض لا للتعريف
مطلقا فحسن تفسير الزهد بالامرين المذكورين بالنسبة الى اولئك
القوم اولى بخاطر مخصوص

باب [illegible] الريا والسمعة

قال بحسب امرئ من الشر ان يشار اليه بالاصابع في دين او دنيا الا من
عصمه الله فان قلت كم من الاولياء والانبياء اشتهروا وحظوا الدنيا شهرتهم

وصيتهم وكيف يضر الشهرة شرا مطلقا قال بعض شراح الشهرة المذمومة
هي التي يتكلف فيها لا الشهرة التي حصلت بتيسير الله تعالى قلنا هذا توجيه حسن
لان الصيت والشهرة من البشرى العاجلة للمؤمن والقبح في قصدهم اليها الا ان
ان تعالى المرسلون مخرجون من هذا الحكم اذ لا بد من تحصيل الصيت والشهرة
باظهار المعجزة لتبليغ التبليغ واتباع الامة فيكون طلب الشهرة والرياسة
شرا ومذموما لغير المرسلين اذ لا يقدر على حفظ نفسه فيهما وترك الحب والكبر
فيهما الا الصديقون الاقوياء ويهلك فيهما الجاهلون والضعفاء اما قال في دين او دنيا
لبيان ان حب الرياسة مذموم سواء كان بسبب الامارة والمال او بسبب العلم
والاعمال لان جعل العلم والعبادة وسيلة الى الرياسة واستمالة قلوب الناس
وتحصيل تعظيمهم وحطامهم اقبح من جعل الدنيا وسيلة اليها والمراد من الحديث
صيغة الاحتراز عن افات الشهرة والتحريض على الخمول وترك اسباب الرياسة
سوى العلم والعبادة ووجوب الاحتراز فيهما عن الميل الى تحصيل الشهرة

باب في البكاء والخوف

قال النبي عليه السلام
لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع فان قلت مجرد
البكاء عن الخشية لا يمنع الولوج في النار لجواز ان يعمل الباكي معصية موجبة

دخول النار باعتبار الوعيد كما ان كثيرا من الناس يبكون عند استماع الوعظ
لرقة قلوبهم ثم يعملون كثيرا من المعاصي بعد خروجهم عن مجلس الوعظ
نقول معناه ان الباكي لا يلج النار ما لم يعمل عملا موجبا دخول النار باعتبار
الوعيد عليه بدخول النار وامتناع خلف الوعيد على الاصح او نقول البكاء
يدل على رقة القلب واستيلاء الخوف والخشية على القلب فذلك
يؤدي غالبا الى ترك المعاصي والمواظبة على طاعة الله والمراد منه لازمه
وهو التحريض على البكاء والخشية بتحصيل اسبابهما من مطالعة المواعظ
والزواجر او سماعها لما عرفت ان للايمان جناحين الخوف والرجاء واذا زال
الخوف من القلب يقسو ويخرب ويذهب نوره ورقته وصفاؤه ويبقى فيه
وكذا اذا انقطع الرجاء من القلب يخرب ويفسد لانه يصير يائسا من روح الله
فيجب على المؤمن ان يحترز عن الافراط والتفريط في الخوف والرجاء فان كانت
النفس سعيها في الطاعة يجب عليه ان لا يتبع في مسالك الامن بل يخاف من عدم
قبول طاعته وقصوره في اداء العبادة اللائقة بعظمة الله تعالى وقد عرفت
كثيرا من شرائط القبول من تخلية النفس عن الاخلاق المذمومة والاحتراز عن
العوارض والقوادح فلا تامن عن القصور في تحصيل بعضها لغاية صعوبة

رعايه كلها ويدل على ما ذكرنا ان عايشه رضي الله عنها سالت رسول الله
عن قوله تع الذين يأتون ما اتوا وقلوبهم وجله وقالت اهم الذين يشربون الخمر
ويسرقون قال عليه السلام لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون
وهم يخافون ان لا يقبل منهم اولئك الذين يسارعون في الخيرات وكذا
يجب عليه ان لا يقطع رجاءه عن عفوه رحمه الله وشموله كرمه وغايته
يشتغل بالتوبة والندامة على معصية الله تع وان كان مصرا على الذنب
والمخالفة عن ابي هريرة قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد على الصفا
فانذر قريشا عموما وخصوصا حتى قال يا معشر قريش اشتروا انفسكم
لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنكم من الله شيئا
ويا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني
ما شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا فان قلت قد اخبر النبي عليه السلام عن شفاعته
لامته لانجائهم من العذاب وقبول شفاعته في حقهم فكيف لا تشفع لاقاربه
وازواجه وبناته فما معنى نفي شفاعته في حقهم على وجه المبالغة بقوله لا اغني
عنكم من الله شيئا قلنا اثبات شفاعته في حق امته قرينة لنا على نفي الشفاعة
عن ازواجه واقاربه واخراجه عن ظاهره او نفسه كما عرفت مطردا اشار

ذلك فالمعنى لا اغني عنكم شيئا من قبل نفسي بدون اذن ربي كما قال الله تع ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وقال تع من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وتحقيق
ذلك ان شرط الشفاعة وجود المناسبة في المشفوع له والاذن مشروط بذلك ولذا
منع رسول الله عليه السلام عن الشفاعة في بعض امته مع انه قال اصحابي
اصحابي فسوف يأتي التحقيق في باب الشفاعة فان قلت لم اطلق نفي الاغنا
مع انه مقيد في نفس الامر قلنا القصد تنبيههم من المنطوق وتنبيههم من المعقول
بواسطة قرينة فان قلت ما فهم القصد فيما النافية من صنوف الاطلاق قلنا
اهل الذوق واللسان وارباب البلاغة والبيان يفهمون من صنوف الكلام
مبالغة وان كان المراد خلافه فان ترك الحقيقة والظاهر والذهاب الى
المجاز المرسل والاستعارات وتصوير المعقولات بالمحسوسات لاجل النكات
والمبالغات فلا بد لنا من ايراد بعض الشواهد والامثلات حتى يتيسر لك
في فهمك بعض الفوايد والنكات فاعلم ان الله تبارك وتع اضاف الابتلاء الى نفسه
في كثير من المواضع كقوله تع خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن
عملا وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وقوله تع ان الله مبتليكم
بنهر مع ان حقيقته لا تتصور في ذات الله ويراد منه المعنى المجازي ويحمل

ان يراد منه المثل او تشبيه فعل الله تعالى بفعل المثل وان يراد منه المجاز
المرسل بان يراد منه بيان احسان العبد في المامور به والمنهي عنه او سهوه وطيها
بسبب توجهه لان كلاهما من توابع الابتلاء وبيان وكقوله تعالى والارض جميعا
قبضته والسموات مطويات بيمينه وقوله تعالى واصنع الفلك باعيننا
وقوله تعالى يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وانت تعرف ان كل ذلك
لا يجوز ان يجرى على ظواهرها وان المراد منها معانيها المجازية بان يكون
المراد من كون الارض مقبوضة والسموات مطوية بيمينه سرعة التصرف
فيهما وسهولته ومن العين حفظه ورعاية سروراقبته لان العين سببها
ومن الجنب ذاته وحقه وغير ذلك من التاويلات الملائمة فان قلت اذا فهم منها
المعاني المجازية فما الفائدة في ايراد الكلام في الصورة المحتملة لوجوه شتى
مع ان المأولين كثيرا ما يغلطون في تعيين المراد قلنا قد عرفت فوائد المجاز
من المبالغة وان المأول يوجر وان غلط اذا جمع شرائط التاويل فان اردت
تكرار السماع والمعرفة تقول بعض الفوائد المجاز في الايات المذكورة والحديث
المذكور ان المبالغة المفهومة من لفظ الابتلاء لا تفهم من يعني المطالبة لان الابتلاء
يدل على ترتب المجازاة على فعله خيرا كان او شرا ويفهم سهولة التصرف

من كون السماء والارض في القبضة بحيث لا يفهم ذلك اذا عبر بلفظ يدل عليه
بالمطابقة بان يقول مثلا يتصرف الله تعالى في السموات والارض بسهولة
ويفهم المبالغة في الحفظ من قوله تعالى باعيننا بخلاف قوله بحفظنا ويفهم زيادة
اختصاص التفريط في حق الله من قوله في جنب الله بالنسبة الى ايهام بهام من
حق الله ويفهم شدة اهوال القيامة والتخويف عنها والسعي على تحصيل الطاعات
المنجية عنها من قوله لا اغني عنك من الله شيئا لانه لا يفهم مثله من قوله لا اغني من
عذاب الله بغير اذنه وبدون تحصيل اسباب الشفاعة وبينهما لان نفي الاغناء
بالكلية ابلغ من نفي الاغناء المقيد واعلم ان المراد هو المقيد وخلاف الظاهر ودلك
معلوم بالذوق والوجدان فانك اذا غضبت على احد واردت بيان شدة غضبك
وعمقك وقصدك الى ايذائه على وجه المبالغة تقول والله اقوم فاقتلك واذا اردت
المبالغة في نفي مرومة تقول والله انت شيطان وصاحبك يعرف ان مرادك
من ذلك الكلام اظهار شدة سخطك وذمك ولا يفهم تلك المبالغة لو قلت اقوم و
او ذيك ان اراد سيدنا ولست كف مروة قطعا وايضا تقول لمن اردت ان تدعو له
على وجه الاهتمام والاحسان اعانك الله واسعدك بصحبة المبالغة مع انك
تريد حصول العون والسعادة له في الاستقبال وصاحبك يعرف ذلك

ايضا ويفهم منه اهتمامك وسالفتك في الدعاء لا يراد بصوح الماضي ولكن
لا يريد الا الاخبار بحصول العون والسعادة له في الماضي لان مقام المدح والدعاء
نائي عن ذلك

باب الفتن

عن حذيفة قال قلت يا رسول الله ايكون بعد هذا الخير شر كما كان
قبله شر قال نعم قلت فما العصمة قال السيف قلت وهل بعد السيف تقية قال نعم
تكون امارة على اقذاء وهدنة على دخن قلت ثم ماذا قال ثم تنشأ دعاة
الضلال قال فان كان لله في الارض خليفة جلد ظهرك واخذ مالك فالزمه والا
فمت وانت عاض على جذل شجرة قلت ثم ماذا قال ثم يخرج الدجال بعد ذلك
معه نهر ونار قلت ثم ماذا قال ثم ينتج المهر فلا يركب حتى تقوم الساعة فان قلت قد فهم
من اول الحديث ان العصمة في ايام الفتنة ضرب السيف وفهم من اخره ترك
ضرب السيف والاطاعة وفهم ايضا من احاديث اخرى ان لا بد في ايام الفتنة
من ملازمة السكوت وترك القتال والطاعة للامير وان ظلم الناس واخذ اموالهم
كما قال النبي عليه السلام يكون بعدي ائمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي
وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس قال حذيفة
قلت كيف اصنع يا رسول الله ان ادركت ذلك قال تسمع وتطيع للامير وان

ضرب ظهرك واخذ مالك وقال من كان له ابل فليلحق بابله ومن كان له ابل
ولا غنم ولا ارض فليعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج فقال رجل يا رسول
الله ان اكرهت حتى ينطلق بي رجل الى احد الصفين فضربني رجل بسيفه
او يجيء سهم فيقتلني قال يبوء باثمه واثمك فيكون من اصحاب النار فلزم
منه التعارض وقال في حديث آخر في حق المقاتلين من امته القاتل [والمقتول]
في النار فلزم منه التدافع لو قلنا قد عرفت انه لا تناقض ولا تعارض في كلام
الشارع على سبيل التحقيق وما توهم من التدافع بحسب الظاهر يحمل على التأويل
ان امكنه ويصحح كلام الشارع بوجه من الوجوه المذكورة في بيان طرائق
الترجيح والتوفيق فلك ان تقول هنا جواز ضرب السيف من جهة ان يعلم ان
احد الفئتين ضال واجب الدفع والقتال ولا يؤدي مقاتلته الى امر اعظم واتم
افسد من المقاتلة كضرب [السيف] في المرتدين والباغين واهل الغارات والنهب
وقطاع الطريق ووجوب الامتناع عن القتال اذا علم ان القتل والدفع لا
يقدر عليهما ويؤدي ذلك الى فساد اعظم واشد الامر ولا يعلم بعينها بطلان
[احد] جماعة اهل العسكر كما في محاربة معاوية مع علي فان كثيرا من الصحابة والعلماء
اسموا معاوية لظنهم انه يستحق للخلافة ومحاربته على وجه التربص لانه عالم

وقريش ويورد دلائل على صحة خلافته ومحاربته ولا يقدرون على دفعها وبأولها
والى مثل تلك الوجوه اشار النبي عليه السلام بقوله لا تقوم الساعة حتى يقتتل
فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وقال اللسان
فيها اشد من وقع السيف يعني بطول اللسان في اهل البيت وتبديعهم وتفسيقهم
ثم لانهم يشرعون القتل بظاهر دليل شرعي كما ان المعتزلة يخالف الغالب
يكفر مستدلا بظواهر الآيات والاحاديث يخالفهما في كثير من الآراء والأمور
الاعتقادية والعملية لزعمه ان التدين والتورع في ذلك ونحن لا نكفر
ولا نضلله بشبهة استدلاله بالنصوص الشرعية المحتملة للمعاني المتعددة ومعنى
قوله والقاتل والمقتول في النار اذا قصد كل واحد قتل صاحبه على وجه
الغصب والوجه الظاهر البطلان وقوله يبوء باثمي واثمك اذا لم يقصد
المقتول قتل صاحبه او قصد لغيره بدليل مجوز قتله في الظاهر والآخر قصد
قتله بوجه ظاهر بطلانه او بغير وجه ودليل سوى الظلم والغصب
فرجعه باثمه واثم صاحبه لما عرفت لان صاحبه مظلوم فيطرح اثم المظلوم
على الظالم يعني ان يعاقب باثمه ويكون ان يراد من اثم المظلوم اثم الجزاء
المقابلة لان الجزاء في الاكثر على المقابلة العرائية المجرد والاتساع

والرخصة بالنسبة الى العزيمة اتم عند اهل القلوب والمؤمنين كما يعطى السراج
معناه ومثل اكمل المقدر لو قتله او اكمل السابق على قتله اياك
باب اشتراط الساعة قال النبي عليه السلام
اذا اتخذ الفيء دولا والامانة مغنما والزكوة مغرما وتعلم لغير الدين واطاع
الرجل امرأته وعق امه وادنى صديقه واقصى اباه وظهرت الاصوات في
المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم
الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن
آخر هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا
وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع وروى علي رضي الله عنه
عن النبي عليه السلام انه قال اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها
البلاء وعد هذه الخصال ولم يذكر تعلم لغير الدين روى ابن مسعود عن النبي
عليه السلام انه قال لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ
اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي وعن ام سلمة سمعت رسول الله قال المهدي من عترتي
من اولاد فاطمة قال ابو سعيد الخدري قال عليه السلام المهدي مني اجلى الجبهة اقنى الانف
يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين ويعطي

رجلا ما لا يستطيع ان يحمله قال عوف بن مالك قال النبي عليه السلام اعدد
ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص
الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت
من العرب الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين
غاية تحت كل غاية اثنا عشر الفا وقال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات فذكر
الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم
ويأجوج ومأجوج وثلثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
ونار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وروى تخرج من عدن وروى العاشر
ريح تلقي الناس في البحر وكيف التوفيق بين تلك الاحاديث حيث جعل النبي عم
علامة القيمة في بعض المواضع واحدا وفي بعضها ستا وفي بعضها خمس عشر وفي
بعضها عشرا قلنا قد عرفت جواب مثاله في القواعد المذكورة قبل من ان العدد
الاقل داخل في الاكثر وتخصيص بعض العدد ببعض المواضع لاقتضاء المقام
ذلك ويمكن ان يقال ذكر كل عدد باعتبار الالهام او بحسب علمه
بما الهم او اخبر في بعض الوقت مقدارا فاخبر به وفي بعضه مقدارا اكثر منه
فاخبر به او المراد من اشراط الساعة علامات قربها بالنسبة الى بعدم من الايمان

فكل واحد من الاعداد المذكورة يصلح ان يكون دليل القرب بالنسبة الى الازمنة
المتطاولة الماضية كما اشار النبي عليه السلام الى ذلك بقوله انا والساعة كهاتين
واشار باصبعيه واذا عرفت الاحتمالات المذكورة فافهم ان الوجه الاول ادق
واشمل ونظير هذا ما قال النبي عليه السلام في شان اصناف اصحاب الجنة واصحاب النار
اعداد مختلفة اذ قال في بعض المواضع اهل الجنة ثلثة وفي بعضها ستة وفي بعضها
خمسة وفي بعضها اربعة وكذا في اهل النار وقال في موضع ستة لا يكلمهم الله وفي
موضع اربعة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وفي موضع ثلثة والتخصيصات المذكورة
في المواضع المذكورة لاقتضاء المقام ذلك لكون السامعين متلبسين في تلك
العادات ومواظبين او كونها مهمة لهم بالنسبة الى غيرها او لكون تلك العادات
اقوى الاسباب وافضلها او كون السامعين واهل ذلك الموضع متمادين في تلك
المعاصي ومصادفين بها او كون اثمها اعظم او لكون الناس اليها اميل وغير ذلك
من مقتضيات المقام التي يسمع بعض مناسباتها وقد عرفت ان الملحوظ في صوغ الكلام
قد يكون بلغاء الانام وتصرفه دقائق المرام ولا يلتفت الى اضطراب الاوهام
فليلي الافهام قال النبي عليه السلام في حق الدجال انه اعور عين اليمنى كأن
عينه عنبة طافية وقال فيه ايضا اعور عين اليسرى جفال الشعر معه جنته وناره

فإن جنته وجنته نار ويلبث في الأرض أربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر
ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ثم ينزل عيسى عليه السلام فيدركه بباب
لد فيقتله ويمكث في الأرض سبع سنين وقال فيه أيضا الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور
مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء فكيف التوفيق في اختلاف أوصاف الدجال
قلنا قال الإمام الفاضل التوربشتي في توفيق تلك الأحاديث المختلفة الأحاديث التي وردت
في وصف الدجال وما يكون منه كلمات متنافية يشكل التوفيق بينها ونحن نسأل الله
التوفيق في التوفيق فنقول قال في حديث أن عينه طافية وفي حديث كأنها [illegible] العين
كأنها كوكب وفي حديث أنها ليست بناتئة ولا حجراء وفي حديث أنه أعور عين اليمنى جحظاء
وفي حديث جحظاء أنه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة وفي أنه أعور عين اليسرى
والسبيل في التوفيق أن يقال اختلاف الوصفين بحسب اختلاف العينين فإن إحداهما
ذاهبة والأخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحدة عوراء لأن الأصل في العور
العيب وذكر نحو هذا التوجيه الشيخ محيي الدين قلنا هو حجة الشخص يوقع بعض البدائع الذي
من وصف عليه ونفي بعض البدائع قلنا لأنه يقال الاختلاف في وصف نفسه
وعليه بأعينها لا الأوقات المختلفة أو بأعينها ذا اقتدار الله مع أنا على التسويلات لابتلاء
الناس لما عرفنا أنه لا قدرة على خوارق العادات قد تكون للاستدراج والذلة كما

تكون للكرامة والمعجزة وبعض فوائد بيان تسويلات أن لا ينخدع الناس بها
لو اقتدر في بابه على بعض أفعاله وأوصافه وأحواله وربما يشكل الرأي فيه عند رؤية بعض
الصفات والأفعال الذي لم يتبين ثم زعم أنه غير الدجال فعلى هذا يجوز أن يحمل الناس
أيضا في بعض الأوقات أن عينه اليمنى بادية وطافية وعينه اليسرى ممسوحة أو غائرة
وبادية بالعكس ويحمل الناس أيضا في بعض الأوقات أن عينه ممسوحة وفي
بعض الأوقات أن عينيه ليست بناتئة ولا حجراء [illegible] فكيف يسأل عنهما يوم القيامة
قلنا المراد من السؤال عنهما السؤال عن شكرهما إذ قد عرفت أن كل عضو وقوة
من جسمك مخلوق لعبادة مخصوصة كما أن قلبك مخلوق للتفكر في عظمة الله وكمال
صفاته وعجائب مصنوعاته ولسانك لذكره وتلاوة كلامه والتعليم وغير ذلك
من العبادات القولية وكذلك عينك ونورها وأذنك وسمعها لأن بعض العبادات
تحصل من المبصرات وبعضها من المسموعات وقس الباقي عليهما وعرفت أيضا أن صرف
الأعضاء وقوتها إلى العبادة لا يتأتى إلا بصحتها ولذا كان الصحة أيضا من النعمة
ولذا قال النبي عليه السلام اغتنم صحتك قبل سقمك وقال نعمتان مغبون فيهما
كثير من الناس الصحة والفراغ والماء البارد أيضا من أجل النعم لشدة الاحتياج إليها
ولذا قال تعالى ومن الماء كل شيء حي فإن الإنسان لا يصبر على العطش يوما ويصبر على

بين الكل الا طعم انا ما وعلى سائر السلسلة ايضا ولا يعرف بعد الماء البارد الا من اسلى
بالظماء في الهواجر والسداء والمراد من قوله عليه السلام اول ما يسال عن النعيم بيان
ان الصحة والماء البارد احل النعماء لما عرفت ان البدن للاجسام والعظم فسال

المكلف عنهما اولا

باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي عم

قال النبي عليه السلام ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة
يدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة فان قلت قال عم
في موضع آخر باربعين خريفا فكيف التوفيق بينهما قلنا قد عرفت طريق التلفيق
في امثال ذلك ان يقول المراد من الاغنياء في خمسمائة سنة اغنياء غير المهاجرين بان يكون
اللام للجنس وللعهد والمراد من الاغنياء في اربعين اغنياء المهاجرين
بان يكون اللام للعهد بعد بين سبقون اغنياءهم او يقول ذكر الاربعين لا يدل
على نفي الزيادة فالاحصاء والاتمام والزيادة والنقصان لاستيفاء المقام
والدليل على ان المراد من الاغنياء اغنياؤهم ما قال النبي عم اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فقالت عايشة لم يا رسول الله قال انهم
يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا والظاهر ان المراد من المساكين
مساكين المهاجرين الذين هم اهل الصفة لا مطلق المساكين ويفهم منه ان اغنياءهم

فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيمة الى الجنة

يدخل الجنة قبل اغنياء سائر الناس لفضلهم على سائر الاغنياء كفضل فقرائهم
على فقراء غيرهم ويدل عليه ايضا ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح
بصعاليك المهاجرين لزيادة شرفهم عن عبد الله بن مغفل قال جاء رجل الى
رسول الله فقال اني احبك قال انظر ما تقول فقال والله اني لاحبك ثلث مرات
قال ان كنت صادقا فاعد للفقر تجفافا فللفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه
فان قلت كثير من احباء رسول الله لم يسرع اليهم الفقر قلنا لعل ذلك باعتبار الغالب
او يختلف لمانع من رجحه ومصالح البقاء كما قال الملكان اللهم اعط منفقا خلفا وقال
ذلك لتحريض العاقل بان كان غنيا محبا للمال ويمكن ان يقال مراد رسول الله عم
المحبة الصادقة العالية كمحبة الصديق والفاروق فانهما انفقا اموالهما الكثيرة
جدا سرا والمحبة امر قلبي لا يطلع على حقيقتها احد الا الله مع ان من ادعى المحبة وكان يترك
امواله لا يكون صادقا في دعوى المحبة لان يتوق المال وصرفه امارتها يقول
رسولنا عليه السلام او يقال يكون وصول الفقر في بعض الاوقات ولا يلزم الدوام

باب الامل والحرص

قال النبي عليه السلام عمر امتي
من ستين الى سبعين فان قلت قد يكون بعض اعمار امتي اكثر منه او اقل قلنا قد عرفت ان الكلام
التابع لجمهورها على الحساب امراة ملتفة بشعر راسها او يدها معرما شية

برجليها وبدنها كالدرام ورأى تميم تلك الجساسة في تلك الهيئة فأخبر بما رأى باعتبار
هيئتها وبان باعتبار حقيقتها لجواز أن يكون هي شيطانة تتمثل بصورتين أو للدجال
جساستان لكن الأول أقرب إلى العقول ما روي حلف جابر بن عبد الله على
أن الدجال هو ابن صياد وقال حلف عمر عند النبي عليه السلام أن ابن صياد هو الدجال ولم
ينكر النبي عليه السلام له وعن أبي بكرة أن النبي عليه السلام قال يمكث أبوا الدجال
ثلثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما ولد أعور أضر شيء وأقل منفعة تنام عينه
ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه فرضاخة طويلة اليدين
فسمعنا بمولود في اليهود قد هلك أنا والزبير بن العوام فرأيناه وأبويه كما وصفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يخبر عن غيب فاطلع عليه رسول الله مع
عمر فقال عمر ائذن لي يا رسول الله أقتله فقال النبي عليه السلام إن يكن هو فلست
صاحبه إنما صاحبه عيسى بن مريم وإن لا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من
أهل العهد فلم يزل النبي عليه السلام مشفقا أنه الدجال فعلى هذا التعديل لا يكون
الدجال ما أخبر عنه تميم الداري فلما ذكر أن يكون قصة تميم ساحرا عن هذه القصة
زمان طويل فلا يكون منافيه لنفسه وأنه علم بالتاريخ أن ابن صياد بقي بعد
وفاة رسول الله ولم يذهب إلى الحرب حتى حكم بحكمها بعد وفاته بمدة كما دل

عليه ظاهر قول أبي سعيد أنه صحب ابن صياد في سفره إلى مكة بعد الفتح وقال ابن صياد
زعم الناس أني دجال والدجال كافر وأنا مسلم وهو لا يدخل المدينة وأنا جئت
المدينة وأذهب إلى مكة ويدل عليه قول جابر إنا افتقدنا ابن صياد فقد يوم الحرة
وهو يوم مقاتلة معاوية مع علي بعد وفاة النبي عليه السلام فنحن نقول
في التوفيق بين القصة وهذه الحكاية يجوز أن يحمل حلف جابر وعمر على أن ابن صياد
دجال باعتبار وجود صفة فيه كما يحمل أنه دجال في الحقيقة لأن ابن صياد شرير
كذاب يغوي الناس بتسويله ووصف النبي عليه السلام حليته وحلية أبويه كان
أيضا باعتبار الصفة لا الحقيقة ولا يبعد إطلاق الدجال على الشرير المفسد المسول
لاشتراكه معه في صفته المعروفة أن أمثال هذه الطريقة سائغة في عبارات
أهل البلاغة كما يقال فرعون على كل طاش جبار ويطلق موسى عليه السلام
على كل صلب في دينه قهار ويطلق حاتم على كل جواد كريم وأبو حنيفة على
كل فقيه كامل ويؤيد ذلك أيضا قوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يبعث
دجالون كذابون قريب من ثلثين كلهم يزعم أنه نبي الله وزعم أيضا ابن صياد أنه نبي
إذ قال لرسول الله أتشهد أني رسول الله وقال ابن صياد في جواب النبي عليه السلام
أتشهد أنت أني رسول الله فافهم ذلك كله حتى يطلع عن خاطرك شبهة التعارض

ايضا في وصف الدجال ولا بعد السلطان سليم الى وسوسكن في ارض الحجاز ايضا فان
معظم مقاصد العصر الدال التردد عن خاطر من صور العادة الطاهري

باب قرب الساعة عن جابر قال سمعت النبي عم
يقول قبل ان يموت بشهر تسالوني عن الساعة وانما علمها عند الله واقسم
بالله ما على الارض من نفس منفوسة ياتي عليها مائة سنة حتى يقوم عليكم ساعتكم
وقال ايضا اشار الى اصغرهم ان يعش هذا لا يدركه الهرم حتى يقوم عليكم
ساعتكم فان قلت قد اخبر النبي عليه السلام عن اشراط الساعة التي تحدث
بعد وفاته وان الساعة لم تقم بعد مائة سنة وهو معصوم عن الكذب فما وجه
تاويل الحديث قلنا قد سمعت مرارا ان العرب النقلة اولي الحكمة يكون ما يطلب ايضا
عن اجراء الكلام على حقيقته في بعض الصور فلذلك العرب شان وروحها في شان
الحديث صحت ان تأولا قال بعض الشراح القيامة ثلثة قيامة صغرى وهي
موت كل احد وقيامة وسطى وهي موت كل الناس وقيامة كبرى وهي بحشر
جميع الناس والمراد من القيمة المذكورة في الحديث القيامة الصغرى
وتحديدها بمائة سنة ويوصول اصغرهم على فرض ان يعيش على العادة باعتبار
غالب الامر ويمكن ان يقال المراد من القيمة هي القيامة الكبرى لان من مات فقد قامت

قيامته لوصوله الى اول منازل القيمة وهو منزل القبر وغالب الحال في عصر
الرسول في تمام العمر مائة سنة فما لها بوصول اصغرهم اليها ان يهرم لا ينافي ذلك
وفيه نكتة شبيهة لان كل احد يخاف عن هجوم القيامة واذا عرف طول مدتها ويتو
سع في طول الامل والغفلة ولذا يسالون عن مدة وصول القيمة فلو اخبرهم
النبي بان اول مدتها بعد الف سنة من وفاته كما اشار الى ذلك في بعض اوقاته
سع المخاطبون في طول الامل وقد عرف النبي عم ذلك في كلامه فيهم النبي عم
وخوفهم وحرضهم على تحصيل امور الاخرة وتنبيها له انه اشار الى ان اول منازل
القيمة القبر ووصول كل احد اليه قريب لان وقوع الموت سوقع في كل
نفس وتسليته مائة سنة الى اعتبار وقوعه على القطع باعتبار العادة فكانه
قال لهم لا فائدة لكم في تعيين وقتها والحكمة في ابهامها كابهام الموت وكل
شيء علم وقوعه على القطع فهو اقرب الاشياء كما ان البعيد لا شيء ما فات
وقت تداركه فلابد لكم من استعداد الاخرة فان اول منازله واسهلها
الموت والقبر ووصوله اليكم سريع وما بعده من العقبات اهول واصعب
فالواجب عليكم ان تعملوا وتسعوا الى تمام استعدادها لا الى السوال عن تعيين وقتها

باب نفخ الصور قال النبي عليه السلام

كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب فان قلت قد انكشف
كثير من الناس ولم يوجد فيه عجب الذنب قلنا المراد من عدم اكل التراب اياه طول
مكثه لأن العظم بالموهبة الحسنة التي ذكرت كأنه أصل العظام فيكون كأساس
البناء ويدل عليه أيضا ما قال النبي عليه السلام في حديث آخر هو أول ما يخلق
وآخر ما يبلى والإطلاق الخلود وارادة طول المكث كثير في كلام العرب

باب الحشر

قال النبي عليه السلام يحشر الناس على ثلاثة أصناف صنفا
مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون
على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم
أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك فان قلت قال النبي عليه السلام
يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة
على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا
وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا فهذا الحديث يخالف
في الظاهر لما ذكر اولا فما التلفيق بينهما قلنا قال الخطابي في جوابه هذا الحشر الى
الشام لا الحشر عن القبر وقال بعض الشراح الحشر اذا اطلق يراد منه الحشر بعد الخروج
عن القبر الراغبون هم الذين يرجون باحسانهم الى المحشر والذين لا خوف عليهم

ولا هم يحزنون والراهبون هم الذين يخافون ولكن يرجون قوله اثنان على بعير
وثلاثة على بعير وعشرة على بعير انهم يعتقبون لا انهم يركبون جملة في دفعة واحدة
قال في شرح السنة الراغبون هم أفاضل المؤمنين والسابقون وأما الراهبون فهم
العوام من المؤمنين فانهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه وهم أصحاب
الميمنة ويحشر بقيتهم النار وهم أصحاب المشأمة فهذه ثلاث طرائق هذا وان يعرف ان التوفيق
لا يصح بين الوجهين فيمكن ان يراد من الحشر في الحديث الثاني الحشر الى الشام
ويراد من النار نار الفتنة يؤيده قوله اثنان على بعير وعشرة على بعير وملازمة النار اياهم
ولا يلزم المنافاة بين الحديثين لاختلاف الحشرين وان يراد من الحشر الحشر من
القبر في القيامة فيكون الراهبين عبارة عن المشاة والراغبين واثنان على بعير وثلاثة
على بعير وعشرة على بعير عبارة عن الركبان ويحشر بقيتهم النار عبارة عن الماشين
على وجوههم لأن المشي عليها لا ينافي الرهبة وكذا الرغبة والاعتقاب على بعير
في الركوب لا ينافي الركوب المطلق وملازمة النار لا ينافي المشي على الوجه لكن
اثنان على بعير وعشرة على بعير لا يلائم في الظاهر الحشر في القيامة سواء كان ذلك
على وجه المناوبة او على الاستقلال ويمكن ان يقال لأهل الحشر احوال يحصل في اوقات
يحشرهم فذكر النبي عليه السلام بعض احوالهم في حديث ووقت بعض احوالهم

فى اخرى فيجوز ان يكون اختلاف الاحوال لاختلاف اصناف الناس بان يكون الاول فى
قوله تحشر الناس للحساب لا للاستغراق وقد عرفت بعض التفاصيل فى ذلك
الباب عند بيان التوفيق فى الاحاديث المختلفة الواردة فى احوال القبر واسئلته
فاعلم بعض التفاصيل ايضا فى احوال اهل الحشر واسمع ان يوم القيمة
مشتمل على مواقف مختلفة واحوال متغيرة لما عرفت ان اختلاف احوال الناس
فى العادات والنيات والاعمال والاخلاق يقتضى اختلاف مداراتهم واحوالهم
فى الموت والقبر والحشر والنشر والسؤال والحساب والجنة والنار واختلاف
الاحاديث الواردة فيها لاختلاف تلك المقتضيات من المعاصى والطاعات
لكن بعض الاختلافات يكون باعتبار الاوقات والحالات وبعضها باعتبار
اصناف الناس والذوات والتمييز بينهما فى غاية الصعوبة كما ان التمييز بين
وجوه كل احوال وتعيينه بوجوه من الوجوهات الجمع معضل لا يتيسر الا لاهل
العلم والنظار الكاملة من اهل الاستدلال والمكاشفة الشاملة وعقل امثالنا عاجز
عن الاحاطة بكلها لكن ما لا يدرك كله للعجز عن الاحاطة لا يترك كله فنقول قال النبى عم
فى بعض الاحاديث يحشر الناس حفاة عراة غرلا وقال فى بعضها يتفاخرون باكفانهم
فيمكن ان يكون الاول باعتبار اول البعث والثانى باعتبار الوقت الاخر

وقال عليه السلام فى بعض الاحاديث يشهد عليهم السنتهم وقال فى بعضها
تشهد اعضاؤهم وجلودهم وقال فى بعضها تشهد الارض وفى بعضها تشهد الملئكة
ويحتمل ان يكون الشهادات باعتبار اختلاف الاوقات ويحتمل ان يكون
كلها فى وقت واحد لكن الاول اظهر وقال الله تع فيومئذ لا يسئل عن ذنبه
انس ولا جان وقال تعالى ايضا فوربك لنسئلنهم اجمعين وقال فلنسئلن الذين ارسل
اليهم ولنسئلن المرسلين فالسؤال المنفى سؤال التعارف والسؤال المثبت لاظهار
العدل ويصح ان يكون النفى والاثبات باعتبار اختلاف المواقف فان قيل النكرة
اذا وقعت فى سياق النفى تدل على عموم الاوقات كذلك تدل على عموم الافراد فلا يصح
ان يكون نفى السؤال مخصصا بوقت قلنا اليوم يطلق على بعضه وقت القيمة
كما يطلق على كلها فيجوز ان يكون العموم باعتبار بعض الاوقات فى النفى ايضا وقال النبى عم
ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان وذلك ايضا لبعض الناس
فى بعض الاوقات كما يحبسون فى بعض الاوقات ولا يتكلمون ويتكلمون فى
بعض الاوقات للاعتذار وفى بعض الاوقات للحساب ويوزن فى بعض الاوقات
اعمالهم وفى بعض الاوقات يوتى كتابهم وفى بعض الاوقات يقع شفاعة الانبياء
والاولياء وفى بعض الاوقات لا يتكلم ولا يسمع احد لخوف الهيبة ولذا قال النبى عم

وأما في بلد صواطن فلا فانهم ملك لا اقوال والله على تلك الاحوال حتى لا يستوي
الناس عند اختلاف المقام

باب الحوض والشفاعة

قال النبي عليه السلام حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من اللبن
وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فان قلت قال النبي عليه السلام في حديث
آخر ان حوضي ابعد من ايلة من عدن لهو اشد بياضا من الثلج واحلى من العسل باللبن
ولآنيته اكثر من عدد النجوم فيفهم من هذا الحديث ان كيزانه ليس كعدد النجوم بل اكثر
منه وبعد ما بين جانبيه اكثر من مسيرة شهر قلنا قد عرفنا ان المقدار اذا اختلف ولا
يستوي الموقت باختلاف الجهة يقال المراد منه الكثرة او الكثير فيجوز ان يكون المراد هنا بيان سعة
الحوض وكثرة كيزانه والله ويحتمل ان يقال ليس المراد من تشبيه الكيزان بالنجوم بيان
اعدادها بل بيان صفاتها ونورها او يقال يجوز ان يكون لآنيته اكثر من الكيزان لان
الكيزان نوع من الآنية لكن الظاهر الوجه الاول لان الكيزان والآنية التي عددها
كعدد النجوم لا تسعها حوالي الحوض الذي مقدار سعته ما ذكر وقال النبي عليه السلام
في بيان شفاعته لامته ثم اعود الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال
يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله
الا الله وقال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها

من قال لا اله الا الله وقال النبي عليه السلام اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله
خالصا من قلبه او نفسه وقال اتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة
وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا وقال انطلقوا فاخرجوا من
كان في قلبه ادنى مثقال حبة خردل من ايمان وقال يرى اهل الجنة بعض اهل النار يقولون
ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون معنا فيقال لهم اخرجوا من عرفتم
فتحرم صورهم على النار فيخرجون كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا ثم يقول
الله تعالى ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع المؤمنون و
شفع النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم
يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال لها نهر الحياة فيخرجون
كما تخرج الحبة في حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم فيقول اهل
الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن ادخلهم بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فان قيل فهم من بعض
الاحاديث ان من قال لا اله الا الله يخرج من النار بشفاعة محمد عليه السلام
وفهم من بعضها انه يخرج بسعة رحمة الله تعالى لا بشفاعة محمد اجاب بعض الشراح بان المراد

من قوله عليه السلام اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله من امته
وهو قوله تع لاخرجن منها من قال لا اله الا الله من سائر الامم وقال بعضهم قوله ليس لك
ذلك في مقام وقوله عليه السلام اسعد الناس في مقام كذا وقال بعضهم المراد من قوله عم
من قال لا اله الا الله ان يعلن ان ايمانه نشا من الاعمال والمراد من قوله تع لاخرجن
منها من قال لا اله الا الله الموحد الصرف الذي لم يعمل عملا صالحا اصلا وقال بعضهم
قوله ليس ذلك لك ليس نفيا لان يخرج من قال لا اله الا الله بشفاعته بل بيان انه
يخرج بشفاعته لكن بسعة رحمة الله تع وهذا اقرب الينا ولا احد اسد التوفيقات
لان قوله تع لاخرجن منها من قال لا اله الا الله وقوله عليه السلام اسعد الناس
بشفاعتي من قال لا اله الا الله ياتي ان يكون التوفيق باختلاف الكلام او المقام
او التعيين فيكون القائل لا اله الا الله خارجا من النار بسعة رحمة الله تع وعموم فضله
لكن لما كان فتح باب الشفاعة وفصول الرحمة بشفاعة النبي عليه السلام
قال اسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا اله الا الله لما عرف ان النبي محمد
عم له التفضيل بهذه الشفاعة ان اهل المحشر لما اهتموا وتضيقوا عن الحبس
جاؤا ادم لطلب الشفاعة قال ادم لست انا هناك قد ذكر ذنبه بالاكل من الشجرة
وقال ائتوا نوحا فاتوه فقال لست هناك قد ذكر خطيئته بقوله ان ابني من اهلي

وقال ائتوا ابراهيم فاتوه فقال لست هناك قد ذكر ثلث كذبات وقال ائتوا موسى
فقال لست هناك وذكر قتله قبطيا وقال ائتوا عيسى فاتوا عيسى قال لست
هناك ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاتوا محمدا عليه
السلام فيشفع وقال النبي عليه السلام في بيان شفاعته فاستاذن على ربي في
داره فيوذن لي عليه فاذا رايت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان
يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع
راسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم
من النار فادخلهم الجنة ثم اعود الثانية الحاصل انه يشفع اربع مرات
فاخرج في الشفاعات الثلث انواعا من العصاة العاملين وقال في الرابعة
ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله وقال الله تع ليس لك ذلك لان رحمتي عالية
وواسعة ورحمة عبادي من المؤمنين والمرسلين ليست كقطرة
من بحر وذرة من شعاع الشمس في جنب رحمتي لاخرجن من النار من قال لا اله
الا الله رحمتي الواسعة فاخرجهم بها لكن لما كان فتح باب الشفاعة
بشفاعة محمد عليه السلام لما عرفت ان سائر الانبياء عجزوا عن فتحه قال النبي عم
اسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه وقوله

استعد للزيادة في نفسه كما بالسمع الى عرم فان قلت من قال لا اله الا الله من غير محمد

رسول الله لا يكون مؤمنا فكيف يخرج من النار بشفاعة النبي او [illegible] رحمه الله

قلنا قد عرف في شان حقيقة الايمان الشرعي ان المراد من لا اله الا الله

كلمة الشهادتين او ما لا بد منه في الايمان الا انه على طريق دلالة لفظ الله او على طريق

الاطلاق الجزء وارادة الكل فان قلت طلب اهل المحشر الشفاعة ليتخلصوا عن ضيق وطول

المحشر واجاب النبي عم عن شفاعته لاخراج العصاة عن النار فلا يوافق جوابه

وخبر سؤالهم وبيان احوالهم قال بعض الشراح يحتمل ان يراد من النار سجن طول

المحشر وذلك بعد عرفنا سيحدث النبي باحوال شفاعته واصناف المخلصين من

النار والاقرب ان يقال يحتمل ان يدخل بعض المؤمنين النار وبقي بعضهم في

حبس العرصات ويضيقوا فلم يشفعوا لما عرفت ان مراتب الناس مختلفة في دخول

الجنة والنار بالتقديم والتاخير والعذاب والمنزل فلم يشفع النبي عليه السلام

في تخليص المحبوسين وتخليص الداخلين النار وهذا مناسب لكمال رحمة النبي عليه السلام

في حواشيه وسعة رافته في حق سائر امته ويحتمل ايضا ان يقال دخل

النبي عليه السلام الجنة لاجل الشفاعة لانها اكرم المنازل للشفاعة المقرون للاجابة

فسجد وبقي في السجدة ما شاء الله واستشفع في تخليص المحبوسين في المحشر

ليتخلصهم عن ضيق المحشر في الوصول الى منزل المحاسبة لكن لما كان عطاء الله تعالى ورافته

وكرمه كثيرا بما يشاء نبينا عليه السلام لكونه حبيبه ويحابيه فقبل شفاعته في تخليص

المحبوسين المغمومين لطول المحشر واذن استاله بان يشفع في تخليص المحبوسين لما علم

ان شان الجواد الكريم ان يعطي السائل اضعاف ما يرومه ويطلبه من جنسه وغير جنسه

لا سيما لكون السائل محبوبه ولذا قال الله تعالى فيمن يدخل الجنة آخر من قال

لا حاجة لي اريد ما اعطيت من نعيم الجنة فقال اكرم الاكرمين ولك عشر امثال

ما اوتيت واضعاف ما اعطيت فان قلت سلمنا ذلك لكن لم يبين النبي عليه السلام المقصود

من الكلام وهو تخليص السائلين عن ضيق المحشر قلنا قد عرفت ان البلغاء يذكرون الى

حلا فالطاهرها الى الكنه وهي ههنا بيان زيادة عطاء الله تعالى وكرمه في شان

شفاعته ويفهم منه اجابة شفاعته وسؤاله في حق المحبوسين بالدلالة لان بذل الاكثر

والاعلى يدل على بذل الاقل والادنى فان قلت فهم من حديث شفاعة النبي عليه السلام ان

جميع العصاة خرج من النار بشفاعته سوى من قال لا اله الا الله وخرج ذلك

المقدار برحمة الله تعالى بسبب شفاعة النبي عم لكن فهم من بعض الاحاديث ان

بعض العصاة خرج بشفاعة بعض المؤمنين كما فهم من قوله عليه السلام

يرى اهل الجنة بعض اهل النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون

ويحكون معنا فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون كثيرا
ثم يقولون ربنا ما بقي احد فيها ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال
نصف دينار من خير الحديث وكما قال النبي عم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي
تميم وقال ان من امتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للعصبة وقال يدخل من امتي
الجنة سبعون الفا بغير حساب ومع كل الف سبعون الفا فلما قد عرفت ان بعض
الاحاديث ناسخ عموم بعض الاحاديث وبعضها مقيد اطلاق بعض وبعضها رافع
ابهام بعض فيكون من مخرج بشفاعة النبي عم ثلث مرات غير من يخرج
بشفاعة المؤمنين دلالة في الاحاديث الواردة في باب الشفاعة على الحصر
والاحاطة واعلم ان الشفاعة لا تكون الا لحصول المناسبة للتشفيع فالشيخ يشفع
لمريده والمعلم لمتعلمه بمناسبة الاتباع والمحب لمحبوبه بعلاقة المحبة ويشفع المنعم عليه
لمنعمه بسلسلة الانعام ويشفع بعض الاقارب لبعضهم بواسطة القرابة ويشفع الانبياء
لامتهم بعلاقة الاجابة ويدل على ذلك قوله عليه السلام ان ناسا من اصحابي يؤخذ بهم
ذات الشمال فاقول اصحابي اصيحابي فيقول الله تع انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم مذ
فارقتهم والمراد من الارتداد تخلفهم عن بعض الحقوق الواجبة ويرشد الى ذلك
ايضا قول بعض الشفعاء من المؤمنين كانوا يصومون معنا ويحجون معنا

لان ذلك يشمل ايضا وشفاعة المؤمنين والانبياء بمن قدم الاعمال الصالحة
الى امانه ومن لم يقدم الاعمال يخلص بشفاعة رحمة الله تع بمناسبة التوحيد المقتضي للعناية الربانية
والرحمة الالهية فان قلت قال النبي عليه السلام يدخل من امتي الجنة سبعون الفا بغير حساب
وقال في موضع آخر مع كل الف سبعون الفا بغير حساب وقال في موضع
اخر ان الله تع وعدني ان يدخل الجنة من امتي اربعمائة الف بلا حساب فكيف
يوفق بين اختلاف الاعداد قلنا المراد من الاعداد التحديد بل التكثير لا الحصر فان قلت
لم لا يجوز ان يدخل الاقل في الاكثر وهو مع كل الف سبعون الفا بغير حساب فيكون
الاكثر متعينا قلنا قد عرفت ان الاصل ذلك لكنها اثنع وهو اخر حديث اربعمائة
الف اذ قال في اخره فقال ابو بكر زدنا يا رسول الله قال وهكذا الحثى بكفه فقال ابو بكر
زدنا يا رسول الله قال وهكذا فقال عمر دعنا يا ابا بكر فقال ابو بكر وما عليك ان يدخلنا
الله كلنا الجنة فقال عمر ان الله تع ان شاء يدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال
عليه السلام صدق عمر فافهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد من عند نفسه بل
اخبر لابي بكر بما وعد الله ان يدخل الجنة من امته فرقا كثيرة بلا حساب ولذا قال في
حديث اخر ومع كل الف سبعون الفا وثلث حثيات من حثيات ربي فيكون المراد
من قول ابي بكر زدنا عين زيادة وعد ربك بادخال امتك في جنة بالشفاعة

وسعة الرحمة ويجوز ان يكون قوله مع كل الف سبعون الفا وبلا

حساب من حثيات ربي جامعا باقي الاعداد فيكون اختلاف باقي الاعداد لا

خلاف المعنيات لكن الاظهر من امثال هذه العبارات بيان الكثرة فافهم ذلك

كذلك

باب صفة الجنة

قال النبي عليه السلام اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة

واربعون من سائر الامم فان قلت قال النبي عليه السلام والذي نفسي بيده ارجو

ان يكون ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة

فكبرنا فقال ارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبرنا قال الشراح يحتمل ان

يكون الثمانون صفا مساويا في العدد لاربعين صفا قلنا الاظهر ان قوله

ارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة لا يدل على عدم الزيادة فلا ينافي قوله ثمانون صفا

كما قال في موضع اخر يدخل من امتي الجنة سبعون الفا بلا حساب وقال في

موضع يدخل من امتي اربعمائة الف بلا حساب فقال ابو بكر رضي الله عنه زدنا فزاد على

ذلك ويمكن ان يقال ايضا مرتبة بشارات في الترقي فلعل النبي عليه السلام

استحق في وقت ان يكون امته نصف اهل الجنة ثم دعا ربه فاستحق امته بعده ان

يكونوا ثلثي اهل الجنة فان قلت لم لا يجوز ان يكون المراد من النصف والثلثان

كثرة المخلصين من امته بالنسبة الى سائر الامم قلنا النصف والثلثان عبرة في

استعمالها في الكثرة قال النبي عليه السلام سيحان وجيحان والفرات والنيل من انهار الجنة

سيحان نهر بالشام وكذلك جيحان والفرات نهر الكوفة والنيل نهر مصر وقيل سيحون

نهر الهند وفي المغرب يسمونه نهر الترك وجيحون نهر بلخ يسمى الى خوارزم وسيحان

وجيحان لغة فيهما قال بعض الشراح جعل الانهار الاربعة من انهار الجنة لما فيها من السكر

والعذوبة والبركة وشرف الانبياء بها كما قال النبي عليه السلام العجوة من ثمار

الجنة قلنا يحتمل ان يراد من الحديث ظاهره بان يتنزل الانهار الاربعة من الجنة

على طريق خلاف العادة كما قال عليه السلام يخرج النيل والفرات من تحت سدرة

المنتهى ويتنزل من الجنة على الجبال الشامخة على طريق المطر ثم يجتمع ويسيل الى الصحارى

ويجوز ان يراد خلاف ظاهره ويكون التعبير بكل من هذه انها من الجنة في صورة

المائدة في الخاصية واللذة فان قلت على تقدير ان تنزل الانهار الاربعة من الجنة

يجب ان يكون طعمها كطعم انهار الجنة وليس كذلك قلنا يجوز ان يتغير طعمها

باختلاط هواء الدنيا وترابها او يغيرها الله تعالى بلا سبب لئلا ينكشف الامر ولا

يرتفع الابتلاء قال النبي عليه السلام يا امتي الذين يدخلون منه الجنة

عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا ثم انهم ليضغطون عليه حتى يكاد

مناكبهم تزول قال وقال في موضع آخر ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة
مسيرة اربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام وقال في موضع آخر
ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر فكيف التوفيق بين هذه
الاحاديث المختلفة قلنا يجوز ان يكون المراد من ذلك بيان سعة باب الجنة
ورفعته وعلو مرتبته لما عرفت ان الابواب الضيقة بحيث ان الباب الذي يبعد
مقدار مسافة اربعين سنة لا يرى طوله وعرضه ومصراعاه فلا يبعد من صورته
وصورة مصراعيه والمقصود ذلك لما عرفت ان المقصود من بيان وصف ابواب الجنة
وغرفها وقصورها وحورها وبساتينها وحدائقها وانهارها واشجارها وسا
كثبانها وملابسها ومطاعمها ومشاربها ومساكنها ومراكبها بيان حسنها وكمال لذة نعيمها
ليرغب المشتغلون باللذات الجسمانية على تحصيل الاسباب المؤدية الى دخولها
ووصول نعيمها فاي شيء ذكر من اوصاف الجنة وما فيها من المذكورات
اذا جاز اجراؤه على ظاهره اجري عليه والا يقال انه عبارة عن السعة او عن الكثير
او بيان النفاسة وكمال اللذة ونهاية القوة على وجه المبالغة قال النبي عليه
السلام لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت على اهل الارض لاضاءت
ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها

وهذا يجوز ان يجري على ظاهره لان الشمس مخلوق فمن مخلوقات الله تعالى اعطاها الله
نورا تضيء به ما بين السماء والارض فجاز ان يكون مخلوق آخر يضيء ما بينهما بنوره
ويملأه بريحه كما ان الياقوت الاحمر صنف من الاحجار لكن بغاية قطعة صغيرة منه
انفس وارفع من الاحجار النفيسة الكبيرة الكثيرة من غيره وقال عليه السلام ان في
الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب عليهم ريح الشمال فيزدادون حسنا وقال عم
يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ولا يموتون
وكل ذلك جار على ظاهره لانعدام القرينة المانعة العقلية فان خلاف العادة ليس
ايضا قلنا قد عرفت ان اكثر احوال الآخرة على خلاف عادة الدنيا ولا يخرج الاحاديث
الواردة على خلاف ظاهرها اذا لم يكن فيه مانع آخر من انعدام الهرم والشباب فعدم
القبول والتغوط مع الاكل والشرب وعدم زوال الشباب وعدم الموت ليس بامر
مستبعد في العادة ايضا لان قوة الهضم اذا غلبت يذيب الفضلات ونفيها ولا يحتاج
الى خروج البول والغائط من السبيلين والاخلاط الاربعة اذا اعتدلت والهواء
والماء اذا لطفا لا يعرض الامراض واختلاف الاحوال والالوان والقوى بحسب اختلاف
الازمان والاقاليم والهواء يرشدك الى ذلك فان اعمار اقوام نوح وقوتهم تخالف
لاعمار اقوام سائر القرون الذين بعدهم وقال النبي عليه انا في الجنة يخرج بسر الذكر

في ظلها مائة سنة ولا يقطعها وقال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة
طولها ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم
المؤمنون وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما
وقال عليه السلام ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء
والارض والفردوس اعلاها درجة منها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون
العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس عن ابي سعيد عن النبي عليه السلام
في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام
وقال النبي عليه السلام لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى
مخ ساقيها من ورائها قال النبي عليه السلام ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنان
وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية
الى صنعاء ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه
وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة
وعشية والاظهر ان يراد من بعض الاحاديث المذكورة عن ظاهره لما عرفت ان
المقصود من ذكرها وما في الجنة وما فيها ما هو قدر ادنى من سير الراكب في ظل شجرة
مائة عام عظم الشجر ومن كون مائة درجة كما بين السماء والارض بيان رفعة

الجنة وعلو سمكها ومن كون خدام ادنى المؤمنين ثمانين الفا بيان كثرتهم ومن
كون ارتفاع الفراش مسيرة خمسمائة عام بيان ارتفاعه ومن رؤية مخ ساق الحور
فيما لحمه من حلة بيان لطافتها وقربه احتاج ما ذكرنا من الظاهر فوات الحسن والبهجة
لا لكونه على خلاف العادة لما عرفت ان اكثر احوال الآخرة على خلاف العادات فكيف
وقد قال النبي عليه السلام حكاية عن وعد الملك الكريم اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان هذا يدل على ان يعطي الله عباده
المطيعين من اللذات الجسمانية والروحانية ما لم يخطر على قلب بشر مثله فكيف رؤية
مثله وسماعه فان من ولد اعمى لا يمكن ان نفهمه انواع الالوان والاوضاع ومن كان
صغيرا او عنينا لا يفهم لذة الجماع وان اجتهدت في بيانهما وتفهيمهما بسط العبارات
كما لا يفهم اهل الدنيا كيفية رؤية الله تعالى ما لم يحصل قوة ذلك الادراك واستعداده فلا
[?] لا بعد ان يكون قوة المؤمن وقوة اعضائه وحواسه بحيث يرى في ظل تلك الشجرة
العظيمة العالية الكثيرة في ادنى مدة كما في طي المكان ويرى سمك جنته واطراف بنائها وان
بعدت الى ما فوق العادة ويسمع بكثرة الخدام والوصائف والجواري والازواج والحور
وان كثرت على خلاف العادة لغاية القوة كما روي ان لسليمان عليه السلام مائة
منكوحة وسبعمائة جارية فلا يستبعد ذلك عقلا لكنك سمعت ان كلامنا على تسوية الروحانيات

السعريه لا على المحملات العقليه اذا لم يكن فيه مصلحه مقتضيه للحمل على حب
الاحتمال العقلى كما فى احوال الحشر الجسمانى والسلام والاكل فى الجنة والنار والرويه
وسائر صفات الله تع وغيرها وهنا ما دل الاحاديث الصحيحه على ان يكون مقدار
مقدار جنتهم اصحاب الجنة ستين ذراعا كما قال النبى عليه السلام يدخلون
الجنة على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا فى السماء وقال تطول
الجنه حين امر دا المجلس اسادبلس ولادون بلس سه وقال النبى عليه السلام
يعطى كل واحد قوة مائة رجل فهو مائة رجل لا يسلع السفاء للذات المقادير المذكوره
وسر الطول والعرض المذكورين ان يكون المراد الكشف والسعة وعلم النفس
وكمال اللذة الذى تعد بذلك المقدار من القوة

باب رؤية الله تعالى

قال النبى عليه السلام سترون ربكم عيانا وقال
جرير بن عبد الله كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة
البدر وقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته
فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ
فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقال اكرمهم على الله من ينظر
على وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاقبل

قال النبى عليه السلام فى موضع اخر ان اهل الجنه اذا دخلوها نزلوا بفضل
اعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز
لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر
من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضه ويجلس ادناهم
وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور ما يرون ان اصحاب الكراسى افضل منهم
مجلسا فهم من هذا الحديث انهم لا يرون الا فى مقدار جمعه ومن الاول انهم
يرونهم غدوا وعشيا فلا يخلو اما ان يكون رؤية الله تع متفاوتة بالنسبة الى الاصحاب
بان يرى كل واحد على مقدار فضله ومعرفته وكماله ولذا قال اكرمهم
على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيه ويجوز ان يرى المقربون غدوة وعشيه
ويرى العوام فى مقدار الجمعه مرة ويجوز ان يكون لله تجليات عامه تكون
فى مقدار جمعه للعوام والخواص وتجليات خاصه للمقربين على حسب مراتبهم
غدوة وعشية لا يكون للبعض اذ يجوز ان يكون لدى بعض اهل المعرفه
منصوص على رؤية الله تع وحمله لما عرفت ان اللذات الجسمانيه محقوطه فى
جنب اللذات الروحانيه عند اهل المعرفه والحال كان اللذات الروحانيه مجهوله
ويمكن عند اهل النفس والعقل فى قلب رؤية الله تع بعد الراس سبب المعاده والكمال

ص

وكيفية الجسم واللون وتلبسه بالضوء والله تعالى منزه عنها فكيف يحصل لنا رؤيته كالبدر
قلنا اقتضاء الرؤية الشروط المذكورة باعتبار الوهم والعادة لا بطريق العقل
والفطنة فان العقل يجوز ان يرى كل موجود وان انكر كل ما يخالف الوهم
والعادة نبذت وراء ظهره كثيرا لاحكام الشرعية والمعادية من سؤال النكير
والمنكر ولذة الميت والمه وتكلم الارض والاعضاء والمرور على الصراط لكن
اذا تدبر بنظر العقل السليم والفكر المستقيم يخلص عن معارضة الوهم السقيم
وعلمنا ان قصور عقلنا عن تصور كيفية الشيء لا يقتضي انعدام كيفيته اصلا فانك
تعلم بعقلك على سبيل القطع واليقين بان الله تعالى موجود بوجود ازلي ابدي لا
اول له ولا اخر ولا مكان ولا زمان ولا جهة ولا زيادة ولا نقصان ولا تغير انه وتمكن
قام عن تصور موجود لا يكون في جهة ولا في زمان ومكان ولا يكون في داخل
العالم ولا في خارجه مع انه اقرب كل شيء لك والى جميع الموجودات وانه يسمع كل ما
يمكن ان يسمع بدون الحاسة ويبصر كل ما يمكن ان يبصر بدون حاسة العين ولا يمنع رؤيته
ظلمة وبعد ولطافة وعدم لون وضوء ويتكلم بدون اللسان وسائر الاله ويخلق كل
شيء بدون اله ومعاونة كما خلق السموات والارض وما فيهما بارادة واحدة ويفنيهما
بارادة واحدة بدون آلة فاعلم من ذلك ان رؤيته تعالى ممكنة بدون الصور الجسمية والوسائط

شروط الرؤية بحسب العادة وخوارق العادات الواقعة في الدنيا كمعجزات الانبياء
وكرامات الاولياء ترشدك الى ذلك ولو لاحظت وتفكرت فيها وعرفت ايضا ان بعض
الحيوانات يعيش في جوف الماء ويتولد فيه ويموت في البر وبعضها بالعكس وبعض
الحيوانات يرى في ظلمة الليل كالفرس والبهم وبعضها لا يرى وبعضها لا يرى في
ضوء الشمس ويرى في ضوء الشمع وبعضها بالعكس والقراد يسمع اصوات اخفاف الابل
من مسافة يومين وذلك مستبعد عند الفة الوهم والحاصل ان النص الشرعي دل
على امكان رؤية الله تعالى وسمعه وبصره وكلامه اعتقدنا على وجودها جميعا وان
قصر ادراكنا عن كيفيتها فكيف وقد قصر عقلنا عن كيفية علمنا وسمعنا وبصرنا مع انها
اقرب الاشياء الينا كما لا نعلم حقيقة انفسنا وفي اثبات صفات الله تعالى وسائر كيفيتها
كلام طويل في الكتب الكلامية وفيما ذكرنا من الكلام المقنع كفاية لاهل العادة وقصور
ادراك كيفية صفات الله تعالى ذهب كثير من المشايخ والحكماء الى انها امور اعتبارية لا
موجودة اذ يلزم من وجودها تعدد القدماء المنافي لوحدانيته من كل وجه
فهو عالم وقادر ومريد وسميع وبصير ومتكلم بالذات لا بصفة موجودة زائدة على
ذاته واهل الظاهر والسنة يقولون المفهوم من النصوص الشرعية ان وجود صفات
الله غير وجود حقيقته اذ المفهوم من مثل قوله تعالى والله عليم حكيم ولم يقم دليل

عملي قطعي مانع عن ارادة ظاهره كما هو في مثل قوله تع واستوى على العرش وفي
جنب الله ولصعوبة هذا المقام لم يكن المخطئ في تاويل الصفات اذا لم يكن غاليا

باب صفة النار واهلها

قال النبي عم اشتكت النار الى ربها فقالت رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في
الشتاء ونفس في الصيف اشد ما تجدون من الحر واشد ما تجدون من الزمهرير اي
هو اشد الحر واشد البرد فان قيل اذا كان للنار نفسان وامتد احدهما اما ستة او
ولا فصل كل بعد سحابة تكون الحرارة والبرودة في الدنيا على ذلك النسق
وليس كذلك اذ الحرارة في بعض المواضع تكون في اكثر السنة وفي بعضها في
اقلها وكذا البرودة بل قد تكون حرارة الصيف في موضع واحد تختلف باختلاف
السنين قال بعض الشراح ليس المراد من الحديث معناه الحقيقي بل شدة حرارة الصيف
وشدة برودة الشتاء تشبيه للنار وقال بعضهم يجوز ان يمسكهما الله تع ويرسلهما
بدفعات رحمة على عباده وقد عرفت ان اخراج النصوص الشرعية عن ظواهرها
موقوف على وجود قرينة قوية وقد عرفت بعض التفاصيل فيه فقبول كون
ان يراد هنا من النفسين ظاهرهما لان الجنة والنار مخلوقتان موجودتان
والنصوص الفرقانية مستظاهرة في ذلك قال الله تع وان لم تفعلوا ولن

تفعلوا فاتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال النبي عليه السلام اوقد على النار
الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت
فهي سوداء مظلمة فعلى هذا يكون جهنم موجودة في صورة ثعبان بنفسين في
كل سنة نفس شتاء ونفس صيف واما اختلافها بما يكون لاختلاف العوائق من الا[illegible]
الباردة بكسر الماء والاشجار والجبال الشامخة كما شاهد مثل ذلك في حرارة الشمس
واختلافها بحسب اختلاف الامكنة بل يكون اختلاف الحرارة والبرودة في موضع واحد في
سنة واحدة بل يكون في يوم واحد في موضع واحد لوجود كاسر الحرارة من السحاب والمطر
والريح الباردة ووجود ممد الحرارة كالجو الاملس وانعدام السحاب والمطر وانقطاع
الرياح الباردة وعدم الكاسرات والممدات فان الله تبارك وتع خلق في طبيعة النار
السخونة والاحراق وخلق في طبيعة الماء الرطوبة والبرودة ويكون احدهما سوى
الاخرى او بينها فيكون شدة تاثير نفس النار في السخونة والاحراق لاختلاف
استعداد الامكنة في المحاذاة والعوائق والاحوال والكبريت اذا قربا الى النار فربما يشتعل
كون الكبريت وسخه واحراقه اشد واقدم من نار النوشادر لان الجسم الضعيف
يشتعل بمماسة الكبريت وتخمد بمماسة النوشادر ولا يستبعد ذلك لانه محسوس بل بعض
الجسم لا يؤثر فيه النار كالسمندر والياقوت وكما قال النبي عم لا تاكل النار مواضع

السجود وقال بعضهم منهم من ياخذ النار الى كعبيه ومنهم من ياخذ النار الى ركبتيه
ومنهم من ياخذ النار الى حجزته ومنهم من ياخذ النار الى ترقوته وقال عليه السلام
ان اهون اهل النار عذابا ابو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه فالاخذ
باجسامهم بعضا لبدن دون البعض مع تفاوت شدتها وحدتها خلاف الفكر
والقياس ويمكن كما ان عدم موت الكفار وبقائهم في نار جهنم ابدا لا احياء
مخالف لو يمكن بل لعقلك القاصر واذا اخبر الصادق المصدق فاعتمد على ذلك
وافهم كمال قدرة الله تعالى منه ولا تقس قدرته وعلمه الكامل الشامل على قدرتك
وعلمك الناقص القاصر وافهم من ذلك ان مكان غرق الناس في المحشر في عرقهم
على ذلك المستوى فان عرق البعض يصل الى كعبيه وعرق بعضهم الى ترقوته وعرق
بعضهم الى فمه فان قلت طبيعة الماء تقتضي ان يملأ الحفر والاودية والامكنة
المساوية ويساوي اغراق الواقفين في عرقهم وكيف يتصور الاختلاف
مع ان كلهم واقفين في موضع واحد غير مختلف في الرفعة والعمق قلت لسيلان الماء
في موضع مستو ويساوي بالنسبة الى الواقفين فيه ما عسانا ندرك والفهم يمكنه
ايضا واحوال الاخرة اكثرها على خلاف العادة والوهم فيجوز ان يصل عرق بعض
الواقفين فيه الى كعبيه وبعضهم الى فمه ولا يسيل الى حواليها اظهار العدل الله

وعظمه وان عارضك وهمك فيه فليتدبر في حكاية النيل عند غرق فرعون
وقومه فيه ومرور موسى عليه السلام وقومه عنه فانه صار كالجدران عند مرور
وصار بينها اثنا عشر طريقا وصار في جدران الماء كوى ومجاري ينظر بها
بعض قوم موسى الى بعضهم ولم يلتئم تلك الجدران والكوى الى ان مر قوم موسى
باجمعهم واذا دخل فرعون مع قومه بين تلك الجدران والكوى من الماء مر بهم
الجدران والتطمهم والتصق بعضهم ببعض فغرقوا واخذ الماء يجري مجراه وغير ذلك
في الدنيا فلا تنكر وجودها في الاخرة اذا لم يوجد مانع لو كما سمعت بعض الروايات في
اوصاف الجنة واهلها قال النبي عليه السلام ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلثة
ايام للراكب المسرع وضرسه مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال النبي صلعم في موضع
مقعده من النار مسيرة ثلاث وقال في موضع آخر مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة وجلده
اثنان واربعون ذراعا وقال في موضع لو ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين
يتوطأه الناس وقال في موضع لو تسويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه
وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته فان قلت ما الموفق بين الاختلاف الواقع في
مجلس الكافر وغلظ جلده فلما قد عرفت ضابطة رافعة توهم التعارض من امثال هذا
الاختلاف وعرفت انه صاحب التوفيق وتعيين طريقه في مواضع متعددة عونا

للمسترشدين وتعليما لهم طرق الهداية والتطبيق واسالك التفصيل والتحقيق في جزئياتها
مع سور القاعدة واستعمالها في الجزئيات في اذهانهم فعلى هذا ايضا يجوز ان يكون
احلاف الاحوال الاحاد فاكه شمائل والاحلاف فاكه وفات والاكوان والاصعود احل
في الاكبر والاكبر ويجوز ان يكون المراد بان غلظ الجلد وعظم البدن لا اللحم والبصائر
اذا وجد فيه قوة صادقة عن الظاهر بان يكون في نضج الجراح متعددا بحسب الابدان
الكفار في النار بحيث لا يستقل غلظ جلدهم ومقعدهم المذكورين لتلك الابدان
المبدلة قال النبي عليه السلام لو ان رضاضة مثل هذه واشار الى الجمجمة ارسلت من السماء
الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس
السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها او قعرها قال من سلاسل جهنم
يفهم منه ان طول سلسلة من سلاسل جهنم اكثر من مسافة ما بين السماء والارض فلعله
يجوز ان يكون في الواقع كذلك لما ثبت في كلام بعض المحققين ان وجه من مقعر
الكرسي الى مركز الارض وطول المسافة فيما بينهما اضعاف طول السلسلة قال الشيخ صدر
الملة والحق والدين السموات السبع عشر ما بلغ للكون والفساد وخلاف العرش والكرسي
فسل السموات السبع فصار سماء فيكون مواضعها قعر الجحيم وجرم الكرسي يكون
اعرافا بين الجنة والنار باطنه الرحمة وظاهره العذاب يعني جهنم وسقفها الجنة عرش الرحمن

وسعة ما بينهما وما فيهما من اللذات الجسمانية والروحانية لا يطلع على تفاصيلها الا الله تعالى
وهو فوق المحدثين وكلام من المتسولات عندهم وعند المحققين

باب بدء الخلق وذكر الانبياء

قال النبي عليه السلام ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب
عنده فوق العرش فان قلت قوله كتب كتابا دل على انه خلق شيئا قبل الخلق وهو الكتاب فكيف
قال قبل ان يخلق الخلق قلنا معناه قبل ان يخلق الخلق غير الكتاب كما قال الله تعالى والله خالق
كل شيء وذاته خارج عن عموم شيء وامثال ذلك كثيرة ويكون الكتاب خارجا
عن الخلق بالقرينة العقلية ويجوز ان يكون كتب الكتاب عبارة عن التقدير الاولي ويكون
فوق العرش تمثيلا لعلو رتبة التقدير كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده فانه تمثيل العلو
ذات الله تعالى وكمال قدرته فان قلت صفات الذات والفعل قديمة عند المحققين فكيف
يتصور سبق صفة الرحمة على صفة الغضب قلنا يجوز ان يراد من السبق العلو وكمال
العموم باعتبار آثارها لا التقدم الزماني فان اردت تفصيل بعض علامات الرحمة
فاعلم ان بذل الوجود وصحة الاعضاء وقواها من اجل النعم العامة للمؤمن والكافر
من حين الولادة الى حين الموت من غير سابقة خدمة مستحقة اياها وايضا بذل الرب
الكريم الجليل الكامل الباقي في مقابلة العصيان الموقتة القصيرة بل المحدود سرها

من اثار غلبة الرحمة وقوتها وايضا عدم قطع الصحة والرزق والنعمة وعدم
هدم الوجود والنسخ مع المعاصي الكثيرة من اثار غلبة الرافة ويقابله بعصيه
واحدة لصورته واحدة مع عادة خفاء حق العبد العاصي وهاية عظمة المعبود
ازاله المعاصي الكثيرة بندم واحد وازاله كفر مائة سنة بكلمة حقة من اثار كمال
الرافة وغلبتها وان لم تقدر على تصور تفاصيل نعم الله كما قال الله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها فلا تغفل عن شكر واحدة في تصور كمال رحمة الله وغلبة
رافته عليك وهي فاكل شئ اشتد حاجة الانسان اليه في تعيشه واسباب حوتم
خلقه الله تعالى اوسع كل شئ وارخصه فان الهواء احوج الاشياء فهي ارخص وبعد
ذلك الماء وبعد النار وبعدها التراب وبعد الملح وبعد الحطب والكلاء فان كل
واحد منها اهم مما بعده واوسع منه فهو كثير شديد الى اعلته رحمه الله وبعلو بسر عضبه
وتمسك عن الغفلة وتحرضك على الطاعة شكرا لتلك النعمة والرحمة فلا تغفل
عن الرحمن قال النبي عليه السلام لما صور الله تعالى ادم في جنته ترك ما شاء الله
ان يتركه فجعل ابليس يطيف به ينظر اليه فلما راه اجوف عرف انه خلق خلقا
لا يتمالك وقال الاحبار كيف ينظرون على ان الله تعالى خلق ادم من تراب من درجة
الارض من جميع الوانها فخمره فسواه حتى صار طينا لازبا ثم تركه حتى صار صلصالا

وكان يلقى بين مكة والطائف بطن نعمان ويكون ذلك منافيا لقوله صور الله
ادم في جنته فلما يكون ان يكون طينه بين مكة والطائف وصورته في الجنة وتركه
بعد التصوير في الجنة الى ان نفخ فيه الروح ومعنى لا يتمالك لا يكون له ثبات
وقوة كالملائكة اذ من شانه ان يكون ضعيفا عجولا لا يصبر بسرعة الانفعال
والسرور جزوعا عند البلاء والشدة منوعا عند الغنى والقدرة واستدل ابليس على
ذلك بكونه اجوف ودواعي القوى النفسانية فيه وغفل عن الفضائل النفسانية
والكمالات الانسانية الحاصلة بامتزاج الامور الروحانية وتعلقها بالامور الجسمانية
والقوى الجذابة وان تلك الامور الروحانية اذا قويت وغلبت على القوى الشهوانية
والدواعي النفسانية تجعل الاعضاء وقواها مصروفة الى الطاعة فيكون
تلك منشا لتحصيل السعادة وكمال الانسانية ويفضل بذلك الكمال على الرتبة
الملكية وقد عرفت بعض دلائل الافضلية في شان تفضيل العلم عن ابن قال
رجل الى النبي عليه السلام فقال يا خير البرية فقال ذلك ابراهيم وقيل قد ثبت
بالنقل والعقل ان نبينا خير البرية وذلك تواضع واخبر كما قال انا سيد ولد ادم
في الدنيا والاخرة وقال انا اكرم ولد ادم وانا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مبشرهم اذا ايسوا ولواء الحمد

يونس بن متى وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي ولم قال هنالك ذاك
ابرهيم قال بعض الشراح قال ذلك للتواضع او لان الافضلية بحصر به تكون ببعضها
عنده قلنا قد عرفت جواب مثل هذا السؤال من الضوابط المذكورة من ان جهات
الافضلية متنوعة وبتلك الجهات فروق كثيرة وان اردت كشفه الى فنقول هنا
فاسمع ان شان النبي عليه السلام افضليته وخيريته على جميع الناس بجهة وشان خيرية
ابرهيم عليه السلام على جميع البرية بجهة اخرى لان شان خيريته على جميع الانبياء
من جهة اظهار نعمة الله وكمال كرمه عليه باعطائه اياه اعلى مراتب الرسالة حتى يعتقد
امته على افضليته ويجتهدوا في تكميل مواجب رسالته واتباع شريعته بقدر طاقتهم وقوله
ذاك ابرهيم من جهة التواضع ونفي الخيرية والافضلية عن نفسه من جهة العجب
والكبر والتفوق على جميع الناس لحظ النفس لان من قال لرسول الله يا خير البرية
قال من جهة تفضيل نبينا على سائر الانبياء لتصغير شان سائر الانبياء وقد فهم
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذاك ابرهيم حتى لا يفرطوا في تعظيمه
بحيث يؤدي الى الضلال كما افرط النصارى واليهود في شان عيسى وعزير
عليهما السلام فضلوا واضلوا فان قيل ابرهيم ليس خير البرية من كل وجه فلم
قال ذاك ابرهيم قلنا لم يقل نبينا عليه السلام ان ابرهيم خير البرية من كل وجه

وقد عرفت ان التفضيل على الغير يجوز ان يكون بجهة خاصة لا يوجد في غيره
فيجوز ان يكون تفضيل ابرهيم عليه السلام من جهة ان نبينا عليه وجد من
نسله او انه رمي الى نار نمرود ولم يستعن من جبريل عليه حين اراد ان يعينه
وينجيه من السقوط في النار او بنى الكعبة او قصد ذبح ابنه في سبيل الله وامتثال
امره ومن هذا القبيل قوله عليه السلام لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون
يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش
فلا ادري كان فيمن صعق فافاق قبلي او كان فيمن استثنى الله وفي رواية
فلا ادري احوسب بصعقة يوم الطور او بعث قبلي وسبب تفضيل موسى نفسه ان مسلما
من المسلمين تخاصم مع يهودي فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين
وقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجه اليهودي
فاخبر اليهودي نبينا عليه السلام بذلك فقال لا تخيروني على سبيل التعصب
والتفضيل المؤدي الى التنازع والتخاصم ولانه نهى عن التخيير والتفضيل مطلقا
وقد بين النبي عليه السلام افضلية موسى بوجه واحد وذلك لا ينافي كون نبينا
عليه السلام مفضلا عليه وسائر الانبياء بوجوه اخرى كثيرة وهي كونه خاتم
الانبياء ونسخ شريعته جميع شرائع من قبله من الانبياء ومبعوثا الى جميع من في

الدنيا من الجن والانس وبكماله بالاخلاق الفاضلة وبمقام الشفاعة في الاخرة
وكونه رحمة للعالمين من حيث ان جميع الملل حفظت من عذاب الاستيصال بسببه
وقد عرفت ان جهة من جهات التفضيل يجوز ان يكون فائقة على جهات كثيرة
كمن فاق واحدا على واحد بكثرة الصلوة والصوم والصدقة وبحسن الصوت والخط
ورمي السهم والشجاعة وفاق ذلك الواحد عليه بجهة واحدة وهي الكمال في تعليم
علم الدين مع الاقتصار على الفرائض وهذا الواحد يفضل بهذه الجهة الواحدة
على ذلك الواحد المتصف بجهات كثيرة من الفضائل كما قال النبي عليه السلام فضل العالم
على العابد كفضلي على ادناكم وكما فضل ادم عليه السلام بجهة واحدة وهي العلم
المقارن بقليل من العمل وهو اسماء توحيد الله وصفاته على الملائكة المقربين
المكرمين بعبادة الجوهر النوراني والاعمال الكثيرة في المدة الطويلة من التسبيحات
والتحميد والتكبيرات وانواع العبادات لان فضيلة العلم المقارن بما ادا الفرض من
بل
العمل وان كان واحدا في حد ذاتها لكنها فائقة على العبادات الكثيرة والفضائل
العزيزة لقوتها وكثرة ثمراتها واذا عرفت ذلك فاعلم ان كل واحد من الانبياء مفضل
على غيره بجهة مخصوصة كما ذكر في فضائل الانبياء من ان عيسى عليه السلام مفضل
على غيره بالتجرد ويحيى بالحلم والحياء وعدم القصد الى الذنب وسليمان بالتواضع

ويونس وادريس بالشكر وموسى بالصلابة في الدين ونوح بالشكر وايوب
بالصبر وداود بحسن الصوت ويوسف بالصبر والصدق عليهم السلام لكن نبينا عم
مفضل على سائر الانبياء بفضائل كثيرة لا يعادل كل واحد منها فضائل كثيرة ومن جملتها
حسن الخلق كما قال الله تعالى شانه وانك لعلى خلق عظيم والدعوة التامة والولاية العامة
كما قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقوة الملك والنفس وكمال العلم والحلم ومن جملتها
ما قال النبي عليه انا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة وادم ومن دونه
تحته وانا اول شافع ومشفع وقال اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت
الشفاعة وكان النبي يبعث الى امته خاصة وبعثت الى الناس كافة
وفضائله اكثر من ان تحصى وما ذكرته بعض منها وما ذكر في التورية والانجيل والقران
بعض منها ايضا لكن قال في بعض المواضع لا تفضلوني على يونس بن متى ومن قال
انا خير من يونس بن متى فقد كذب ولا فخر وابن الانبياء ولا تفضلوا بينهم عليهم السلام
بانه لا فرق بينهم من جهة النبوة والحقيقة كما قال الله تعالى حكاية عن المؤمنين لا نفرق
بين احد من رسله او للتواضع وهضم النفس او لرفع ظن نقص بجملة

هو بعض الانبياء او لمصلحة اخرى مما اقتضاها المقام وسياق الكلام وقد عرفت ايضا
فضله بعضهم على بعض وفضائل نبينا عليه السلام عليهم بجهة اخرى كما قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات عن
ابي رزين قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه
قال عليه السلام كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء وقال
يزيد بن هارون في تفسير عماء اي ليس معه شيء قال المطهر العماء السحاب في كلام العرب
لا ندري كيف كان ذلك العماء عن ابي الهيثم انه قال هو في عمى من مقصود قال
وهو امر لا تدركه العقول ولا تبلغ كنهه الوصف يعني كان الله سبحانه وتعالى في الازل
في عماء اي في صفة لا ندري كيفيتها فنؤمن به ونكل كيفيتها الى علم الله تعالى وهذا التفسير
موافق للعقل قال عمران بن حصين كنت عند النبي عم جاء اناس من اهل اليمن قال النبي عم
اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين
ولنسألك عن اول هذا الامر ما كان قال النبي عليه السلام كان الله ولم
يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في
الذكر كل شيء وقيل قوله ولم يكن شيء حال ويجوز ان يكون خبرا على مذهب الكوفيين
لانهم جوزوا دخول الواو في خبر كان واخواتها نحو كان زيد وابوه قائم تشبيها للخبر بالحال

قال المطهر العرش والماء مخلوقان قبل السموات والارض والعرش على الماء والماء على الريح
والريح قائمة بقدرة القديم فان قلت كيف قال النبي عليه السلام في سؤال اهل اليمن كان
الله ولم يكن قبله شيء ولم يبين هل معه شيء في الوجود ام لا وقال في سؤال ابي رزين
كان ربنا في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء قلنا يمكن ان يقال المقصود من جواب
النبي عند السؤالين بيان ان الله تعالى متفرد بالوجود الازلي ولم يقارن بوجوده موجودا
آخر لكن اختلاف العبارات لرعاية تطبيق الجواب بالسؤال لان اهل اليمن قالوا نسألك
عن اول هذا الامر اي اول وجود هذا العالم فهم من سؤالهم انهم توهموا ان قبل كل شيء
موجود موجود آخر الى نهاية فقال عليه السلام ردا لتوهمهم كان الله ولم يكن
قبله شيء من الموجودات اي الموجودات منتهية اليه ولم يحتج وجوده الى موجد لان
وجوده القديم من ذاته لا من علة خارجة عنه ولان ابا رزين قال اين كان ربنا فهم
سؤاله انه توهم ان كل موجود لا بد ان يكون في مكان وجهة فدفع توهمه
بقوله ما تحته هواء وما فوقه هواء المراد من الهواء شيء موجود اي ذاته منزه عن
الجهة والمكان لانه خالق الجهات والامكنة والازمنة بعد عدمها فخالق الخلق منزه
عنها كما قال النبي عليه في موضع آخر كان الله ولم يكن معه شيء فهم من هذا الحديث
بطلان زعم الفلاسفة بان اصول العالم قديمة غير مسبوقة بالعدم وهي العقول

العشر والنفوس التسعة وهيولى العناصر الاربعة مع صورتها الجسمية والواحد
من الصور النوعية الاربعة عند بعضهم فانهم يزعمون ان هذه الاشياء عشر مسبوقة بالعدم
و وجوداتها معادية لوجود البارى تع في الوجود الحسي فان قيل لهم اثبتوا ذلك
بالدليل العقلي ولا تعارضه خبر الواحد فلا بد ان نخرج الحديث عن ظاهره بالدليل
العقلية قلنا للشرع كلهم في اثبات تلك مستقيمة بل ما اوردوه في اثبات ذلك من
قبيل المغالطة لا من قبيل البرهان والا لما وقع الاختلاف بينهم ايضا لان الدليل
العقلي التام اذا قام لا نزاع في مدلوله ونتيجته ولا بد لنا من اظهار فساد عمدة دلا
ئلهم واقوى براهينهم على زعمهم في ذلك الباب ومن اقامة دليل اقوى على اثبات
حدوثها المنصوص وبيان حدوث العالم اصوله وفروعه كما صرح به النصوص الشرعية
فاعلم اولا ان الفلاسفة خاضوا في البحث عن حقائق الاشياء السماوية والارضية
وقسموها الى الاعراض والجواهر واوردوا في اثبات حقائقها ابحاثا كثيرة
طويلة بخيالات مشوشة فلوثوا الصحائف وبحثوا ايضا عن ذات الله وصفاته
وعن احوال القبر والحشر والنشر والالام واللذات في ما لا يحكم على مقتضى عقولهم
الفاسدة واصولهم الكاسدة واخرجوا كثيرا من النصوص الشرعية عن ظواهرها
بدون الضرورة القوية والقرينة الداعية بل لمجرد مخالفتها لما يزعمون انه برهان

عقلي عندهم وتجبروا وتجاوزوا فيه عن طور العقل اذ ما قصر عقولهم
عن حقيقته ويزعمون ان ذلك ممتنع بالنسبة الى علمهم وقدرتهم اولوا على مقتضى
وهمهم او انكروه والله ولم ينتبهوا على ان اكثر الامور البرزخية والاحوال المعادية خارج
عن طور العادة ولا ندرك كنه حقيقتها وكيفيتها الا بنور الشرع مع انهم يعلمون
ان اقرب الاشياء الى انفسهم وذواتهم نفوسهم وحواسهم ولا يعلمون كنه
حقائقها اذ يختلفون في حقيقة النفس اختلافا كثيرا اذ جمهور الفلاسفة
وبعض اهل الديانة قالوا ان نفس الانسان امر مجرد متعلق بالبدن تعلق التدبير
فيه وقال البعض انها جزء لا يتجزى في القلب وقيل هي اجزاء لطيفة سارية في البدن
وقيل هي قوة في الدماغ وقيل في القلب وقيل في القلب والكبد والدماغ وقيل
هي جميع وقيل الاخلاط الاربعة المعتدلة وقيل اعتدال المزاج وقيل الدم
المعتدل وقيل الهواء وايضا اختلفوا في كيفية رؤية البصر وسماع الاذن
واختلفوا ايضا في قدم النفس وحدوثها اذ قال ارسطو ومن تابعه النفس
حادثة وقال بعضهم قديمة والمقصود من نقل بعض اختلافاتهم بيان انهم غير قادرين
على اثبات اصول موهوماتهم على اصلهم ايضا واغاليطهم وتمويهاتهم في غير صفات الله
تع وامر الحشر كثيرة لكنها لا يهمنا بيان فسادها لكن لما كان سماع كلماتهم وتمويهاتهم في صفات

الله والامور الالهية اشتهر ولوث صماخ المبتدئين وتشويش قلوب بعض المتعلمين
شرع الفقير في اثبات اغاليطهم فيها واعلم ان جميع ما غلطوا فيها يرجع الى عشرين
مسئلة يكفرهم عند الفقهاء في ثلث ويبدعهم في غيرها الاولى من المسئلة انهم قالوا
اصول العالم قديمة وهي العقول العشر والنفوس التسعة الفلكية والافلاك
التسعة وهيولى العناصر وصورتها واذا ثبت قدمها امتنع عدمها فيلزم منه ان لا
يبطل النفوس الانسانية والحركات الفلكية وحدوث الحيوانات والنباتات
والمعدنيات منها والثانية منها انهم يقولون لا يحصل الحشر الجسماني الانساني في
اللذات والالام الجسمانية والثالثة منها انهم يقولون ان الله عز عالم بالجزئيات لانها
لا يكون الا بالحواس القائمة بالاعضاء ويلزم منه اتصافه بغير علمها بالعلم الجزئيات
واذا عرفت ذلك فاعلم انهم يقولون ان الله موجب بالذات لا بالارادة فلا
يمكن وجوده عن الايجاد وايضا هو واحد من كل الوجوه فيلزم منه ان
لا يصدر منه الا واحد بسيط محض موثر في كثرة وجودها في الممكنات ان لكل
فلك من الافلاك التسعة عقل ونفس وجرم الفلك الاول المسمى في لسان الشريعة
العرش وعقله ونفسه صدرت من العقل الاول وجرم الفلك الثاني المسمى
بالكرسي في الشرع وعقله ونفسه صدرت عن الفلك الاول ثم وثم الى ان ينتهي

الى العقل العاشر الذي هو عقل الفلك التاسع الذي هو فلك القمر وزعموا ايضا
ان صور العناصر الاربعة وصور الحيوانات والنباتات والمعادن وصور اجزائها
واعراضها كلها صدرت من العقل العاشر وسبب اختلاف صورها واثارها
وماهياتها بسبب اختلاف استعدادها الحاصلة بسبب اختلاف الحركات الفلكية
فان قيل العقل العاشر بسيط كيف يصدر منه العناصر الاربعة وانواع الحيوانات
المختلفة والنباتات والمعادن المتنوعة قالوا بسبب اختلاف الاستعدادات القائمة
بموادها المقتضية لتلك الكثرات والتعددات المختلفة فان قلت ما موجب كون اصول
العالم قديمة وكون الباقي حادثا مسبوقة بالعدم قالوا ان فاعله الباري قديم
والحادث واجب بالذات فيلزم منه قدم العقل الاول لانه مجرد وعلته التامة
ذات الباري فلا يجوز تخلف وجوده عنه وايضا ان الباري جواد مطلق ولا يمكن
من ابان جوده ولوازمه ولا يجوز ترك ايجاده وجوده فان قيل ما موجب
انحصار ايجاده على العقل الاول قالوا وحدته من كل الوجوه والا لا يتعدد المصدر
فان قيل ما موجب كون عقول الافلاك ونفوسها واجرامها قديمة قالوا كون
العقل الاول علة تامة لوجود عقل الفلك الاول ونفسه وجرمه وكذا
عقل الفلك الاول لعقل الفلك الثاني ونفسه وجرمه ثم وثم الى ان ينتهي الى العقل

الفلك التاسع ونفسه وجرمه فان قلت العقل الاول وعقول الافلاك
بسيطة وكيف يصدر منها اشياء ثلثة وانت تزعم ان تعدد المصدر به
يوجب التركيب في العلة قالوا في المعلول وجود ووجوب بالغير وامكان
فيصدر بكل واحد من تلك الاعتبارات الثلثة واحد من الثلثة فان قلت
فعلى هذا يجب ان يصدر من العقل العاشر اشياء ثلثة فقط مع انكم تزعمون
ان صور العناصر الاربعة وصور افرادها الحيوانات والنباتات والمعادن
صدرت من العقل العاشر قالوا يصدر تلك الصور الغير المتناهية بحسب اختلاف
الاستعدادات الحاصلة لمواد تلك الصور بسبب اختلاف الاوضاع الفلكية وحركاتها
فان قلت لم لم يكن الصور والافراد قديمة كما كانت العقول العشرة والنفوس الفلكية
... وانها قديمة قالوا لان صدورها موقوف على حدوث الاوضاع والحركات
الفلكية والموقوف على الحادث يجب ان يكون حادثا فلو لم يتم واتصور صور
الحيوانات والنباتات وانعدامها وخلع العناصر صورها الجرمية بعدها
ورد وادلائل موهومة لاثبات قدمها فاذا عرفت هذا القدر من تفاصيل
مزعوماتهم وموهوماتهم في المسئلة الاولى فاعلم قدرا في ابطال موهوماتهم واثبات
مذهب اهل الدين والسنة فيها حتى يرجع الى بيان مزعوماتهم في المسائل

الباقية والظهار فسادها ايضا واثبات ما هو الحق فيها فنقول ما يعني
وجوب الايجاد بالذات فان ارادوا به الوجوب الذي يدعي فهو ظاهر البطلان
اذ الشارع سواء عز ولا يوجب شيئا على ذاته بحيث يأثم بتركه وان ارادوا
به انه مضطر في الايجاد كالموثر بالطبع كاحراق النار وارواء الماء وذلك
باطل ايضا لان له علما وقدرة فهو غير مضطر في الايجاد وتركه فكيف
وهو عجز ونقصان لا كمال وجود وان ارادوا به انه يتضرر بترك الايجاد فيكون
واجبا وهذا اظهر في البطلان لان الله منزه عن الضرر كما انه غني عن النفع
وان ارادوا به ان ترك الايجاد ممتنع نقول انه ليس بممتنع بالذات وهو ظاهر فيكون
ممتنعا بالغير وذلك الغير يجب ان يكون اقتضاء الذات واقتضاؤه وجوب
الايجاد غير ظاهر لان الظاهر ان يكون متصفا بالوجود الازلي ويكون
غيره مسبوقا بالعدم وحادثا بقدرته وارادته وما قالوا ان الايجاد اثر الجود
وتركه بخل وان ذاته يوجب تمامه لايجاد العقل الاول غير بديهي وغير مسلم
عندنا لانا نقول لم لا يجوز ان يكون الكمال في ان يكون ذاته مستقل
بالعدم والوجود الازلي ويكون غيره من المخلوقات مسبوقا بالعدم وصادرا
عن ذاته بلا سبق مادة ومدة وواسطة ونقول ايضا لا دليل في الشرع والعقل

لوجود العقل الاول وسائر المجردات بل الظاهر انه المنزه عن الجهات والامكنة
وصفات الحادثات خصوصا ما شاء ولو سلم وجوده نقول العقل الاول ممكن
فنسبته الى الوجود والعدم متساوية فلا بد من مرجح لوجوده وهو الارادة
وهي صفة تخصص احد المقدورين بالوقوع في اي وقت شاء وان قالوا الارادة
ارادة لو وجدت تكون قديمة فيلزم منه قدم العقل الاول ايضا قلنا كونها
ان تكون تعلقها حادثة لما عرفت ان الله تعالى اراد في الازل ان يوجد الموجودات
المرتبة في اوقاتها ويرجح وجوداتها على اعدامها فيها لما عرفت ان شان الارادة الترجيح
في اي وقت شاء المريد كما تريد الآن ان تفعل فعلا بعد مدة في الزمان
المستقبل وذلك امر وجداني لا يكاد يكابر فان قالوا الارادة وباقي الصفات
لو كانت موجودة يكون موجدها هو الله تعالى فيلزم منه ان تكون حادثة
لانه فاعل بالاختيار يوجد كل شيء بالقصد والارادة وكل موجود مسبوق
بالقصد يكون حادثا مسبوقا بالعدم حال القصد الى ايجاده مع ان الصفات
قديمة عند اهل السنة قلنا لما ذهبنا الى ان صفات الله تعالى قديمة نقول الله تعالى
موجب بالذات بالنسبة الى صفاته او نقول الخلق والايجاد بالنسبة الى الاعيان
والاعراض لا الى صفاته تعالى او نقول يجوز ان يكون تعلق الارادة بالنسبة الى صفا

قديما فكيف وقد قال الخصم يلزم من قدم الارادة قدم تعلقها والارادة مخصصة
بالصفات من الموجودات بالارادة والا يلزم التسلسل وامثاله كثيرة
كما في قوله تعالى والله خالق كل شيء فان الله تعالى خارج من الشيء حتى لا يلزم
كونه خالقا ومخلوقا وقوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فان ليلة القدر
خارجة من الف شهر حتى لا يلزم كونها فاضلا ومفضولا وكما في قولك
رجل ادخل الدار واقتل من فيها والداخل خارج عمن في الدار وفي قولك
كل صفة وجودية قائمة بالموصوف يجب ان يكون موصوفها موجودا
قبل ثبوتها له والوجود مخصص بها حتى لا يلزم منه تعدد الوجود للموصوف
او التسلسل او تحصيل الحاصل وقد عرفت ان العقل حجة كاملة
من حجج الله تعالى فاهل التخصيص هم اهل العقل فلا يليق ذلك بعاقل
وللمشهور في جواب هذا السؤال عند المتكلمين قولهم ان كونه تعالى فاعلا
بالاختيار بالنسبة الى غيره وصفاته ليست غيره ولا عينه وهذا ليس كل
ويجوز لقائل ان يقول لما كانت صفاته ممكنة وموجودة فلا بد لها
من موجد لها وهو مختار واذا قلنا انه فاعل بالاختيار يلزم منه حدوث
الصفات فلا بد من ان يذهب الى ما قلنا وقولهم فاعلية الباري قديمة

يلزم منه قدم العقل الاول وما يترتب عليه من المجردات والافلاك تركب المعلولات
على العلة ظاهر الدفع ايضا لانا نقول لو ارادوا به فاعلية بالتعقل وبدون الارادة
فهو مصادرة وعين دعواهم وليس عندنا كذلك فانه فاعل بالاحسان فلا يلزم
من قدم الفاعلية قدم الفعل ولو ارادوا به سلبها عنه للممكنات فنحن نقول به
ولا يلزم منه قدم المفعول ايضا مع انك قد عرفت ان الظاهر انه فاعل بالا
حسان لا موجب بالذات فان قيل الارادة امر اعتبارى فلا يكون
جزء العلة قلنا النصوص الشرعية تدل على انها امر موجود لان المفهوم
من حمل الارادة على ذات الله مع [illegible] على ان وجود الارادة غير وجود ذاته
فان قيل حمل الصفات يدل على وجود المبداء قلنا مرادنا من هذا الكلام
بظواهر النصوص الشرعية ومطالبهم بدليل عقلى مستقيم مخرج النصوص
الشرعية عن ظواهرها الدالة على ان الصفة غير موصوفها فان قيل
لو كانت الارادة موجودة لزم تعدد القدم وتركب ذات البارى قلنا تعدد
القدم فى الذات ممنوعة دون الصفات مع ان الخصم قائل بجواز تعدد
القدماء فى الذوات وقولهم هو واحد من كل الوجوه وتعدد
المصدرية يهدم الوحدة لا يسوغ لـ[illegible] مستقيم ايضا لان المصدرية امر اعتبارى

ويهون به وجود المخلوقات الى ذات البارى مع ان المصدرية لو استلزمت
التركب لزم من صدور العقل الاول ايضا مع انهم يقولون بجواز ان تصدر
عن البسيط الواحد كالعقل العاشر اشياء متعددة بحسب تعدد شرط
اختلاف استعدادات المحال فعلى هذا يجوز ان يصدر جميع الماديات عن ذات
البارى بسبب تلك الاستعدادات وايضا قالوا ان الفلك الاول وعقله ونفسه صادر
من العقل الاول باعتبار وجوده ووجوبه وامكانه وانت تعرف ان المراد هم
من الوجوب والامكان هنا امر اعتبارى فيجوز ان يكون العلويات
والسفليات صادرة عن ذات البارى باعتبار الاحوال الاعتبارية الثابتة
له وهو كونه مبداء لجميع الموجودات وكون وجوده من ذاته ووجود
ذاته وعالميته وقادريته وسائر صفاته الثبوتية والعقل والسلبية فان الفلاسفة
يقولون بتلك الاحوال لكنهم يقولون انها اعتبارية وهم يجوزون كون نسبة
لتعدد الاصدار والايجاد كما فى العقول عندهم على زعمهم ولنا ان
نقول ايضا فى اثبات كونه فاعلا مختارا لا موجبا ان ايجاب الذات اوجب
انحصار العقول على العشر والنفوس والافلاك على التسعة مع ان
الزيادة والنقصان عن ذلك العدد الخاص ممكن عقلا وما يقتضى ان

يكون كل فلك على ذلك المقدار المعين من الغلظ والكبر
حتى قالوا تدوير المريخ مثل فلك الشمس وما مرجح كون حركة كل
فلك على مقدار مخصوص من السرعة والبطء وجهة خاصة فإن بعضها
يتحرك إلى جهة الشرق وبعضه إلى جهة الغرب وما موجب كون الكواكب
على ذلك العدد المخصوص والمقدار والحركة واللون والوضع الخاص
وكون الشمس والقمر واحدا والباقي من السيارات والثوابت متعددة مع أن اختلاف
كل في ذلك ممكن وأيضا ما وجه انحصار العناصر على الأربعة [وما وجه] انحصار المواليد
من العناصر على ما زعموا على الثلاثة وكون كل واحد من تلك الأربعة والثلاثة
على تلك الصور والخواص والآثار مع جواز أن يكون العناصر والمواليد
زائدة على ذلك العدد أو ناقصة عنه وجواز كون كل واحد
منها على خلاف تلك الصور والخاصة والآثار وما وجه اختصاص كل
فرد أيضا من الحيوانات والنباتات والمعدنيات على صورة ولون ووضع
وطبيعة مخصوصة وشكل ومقدار وأثر مخصوص مع أن اختلاف كل
واحد منها ممكن فلا بد لخصوصية كل من تلك الاختلافات مرجح ومخصص
وهو إرادة الفاعل المختار فإن قيل لا يمكن أن يسند تلك الموجودات المتكثرة

إلى ذات الله تعالى إلا العقل الأول فلا يأتي فيه ما ذكرتم قلنا قد أبطلنا
ذلك وأثبتنا جواز استناد الكل إلى ذات الباري باعتبار الذي ذكروا
في جواز استناد المتعدد إلى البسيط الواحد ولو سلمنا قلنا إن نقول
ما سبب انحصار سلسلة العقول المترتبة على العشرة وانحصار النفوس والأجرام
على التسعة وذلك ليس باقتضاء العقول المتعددة للعلية على زعمهم وأيضا
فعل العقل العاشر في الصور والأعراض على زعمهم لا في أن استعداد المادة فيها
وجه انحصار استعدادها على الأربعة في العناصر والثلاثة في المواليد منها فلا
بد في ذلك من مخصص ومرجح وما ذلك إلا إرادة الفاعل المختار والحكيم
الجبار فإن قالوا الإرادة أمر اعتباري عندنا فلا يجوز أن يكون مرجحا للعلة
الفاعلة قلنا يجوز لأنهم قالوا صدر من العقل الأول أمور ثلاثة واحدها
باعتبار الذات وثانيها وثالثها باعتبار الوجوب بالغير والإمكان الذاتي وهما
أمران اعتباريان ولو سلم قلنا الإرادة شرط الإيجاد فيجوز أن يكون اعتبارية
وقد عرفت أيضا أن إيجاد الله تعالى ليس بتحريك عضو واستعمال آلة بل بمجرد قصد
وإرادة فيجوز أن يصدر عنه جميع ما في العالم في لحظة واحدة وإرادة منفردة
فلا يلزم منه التركيب والتعدد واعلم أن كيفية تعلق قدرة الله تعالى بالمعدومات

سر من اسرار الله تع لا يطلع على كنه تلك الكيفية واحد من الاولياء والانبيا
عدا الاكثرين ولذا قال ابرهيم عليه السلام ارنى كيف تحيى الموتى فلا
باس لنا فى ان نورد مثالا محسوسا حتى يتقرر فى ذهنك مثال سر ذلك المعقول
فنقول ان صاع الاجرام الكثيفة والوانها وصورها غير ظاهرة فى الظلمة ولا نعلم
وجودها حتى ذهب بعض اهل الاستدلال الى ان لا وجود للون فى الظلمة
واذا وصل ضوء الشمس الى تلك الاجرام الملونة يظهر منه وضع كل فرد منها ولونه
وصورته بسبب وصول الضوء من غير تصوق شى من جرم الشمس اليه واذا غربت
الشمس يضمحل تلك الظهورات والتعددات ولو لم يغب الشمس لا نعلم ان تلك
الظهورات والاختلافات من ضوئها ويدخل ايضا بعض من ضوئها
فى كل كوة ودريحة من كوى البيوت ودرجها ولا يلزم منه التعدد
فى ذات الشمس فقس عليه الممكنات على عدم ظهور الاجرام الكثيرة المختلفة
فى الظلمة وايجاد البارى وبانه قدرته فيها على طلوع الشمس وظهور الاجسام
المختلفة وغرابتها من غير صدور شى محسوس من ذات الله تع ولصوقه
الى تلك الموجودات وبدون لزوم تعدد فى ذاته تع لكن عسويه ذات الله
تع عن الموجودات بحال يخفى لبعض اهل الاستدلال كون جميع الموجودات

من اثار قدرته لدوام ظهوره ولذا قيل يبين الاشياء باضدادها ولا مجال
للعقل فيما وراء ذلك ومن كشف بآثار قدرة الله تع فى ايجاد الممكنات يظهر له واستدل
ممن لم يعرف كيفية آثار قدرة الله تع على سبيل التفصيل والتحقيق وحكم
بان اصدار جميع الموجودات الى الله تع بدون الوسايط لا يجوز لا سبيل لها
عدم وجدانهم محادثة وجود مع كما قالوا لا بد فى ايجاد صورة جسمية من محل قديم
وهو الهيولى ولم يتنبهوا على ان امتناع ايجاد صورة الجسم بدون المحل بالنسبة
الى قدرتهم وفهمهم لانهم لم يقدروا تصوير مقدار ووضع وشكل بدون محل
ومادة وعلى ان قياس قدرة الله تع وعلمه على قدرتهم وعلمهم لا يجوز مع
انهم مقرون بذلك وقالوا فى مواضع كثيرة قياس الغايب على الشاهد
لا يجوز ولد هذا البحث قال افلاطون استاذ ارسطاطاليس الجسم عبارة عن
صورة اتصالية ولم يقل بوجود الهيولى وبعض كثير من قدماء الفلاسفة وقال
جالينوس لم يظهر لنا دليل يستقيم مقتض قدم العالم او حدوثه فتوقف
فيه وقال المتكلمون الجسم مركب من الجواهر المفردة الصغار بحيث لا يقبل
كل واحد منها التجزية لا فعلا ولا وهما وقال بعضهم يقبل التجزية وهما لا فعلا
وصورة الجسم امر اعتبارى لا جوهر موجود وتردد بعض ارباب الكشف

في تعيين منشأ التعددات والكثرات الروحانية والجسمانية موجود
بوجود عيني في نشأة علمه وهو شيء ليس بموجود ولا معدوم ولا حادث
ولا قديم واذا تأملت حق التأمل فهمت ان الله تع قادر على ان يوجد جميع ما في
العالم العلوي والسفلي بل اضعافه والآفا الى ما لا نهاية له بارادة واحدة من غير سبق
مادة ومدة ولا يلزم منه التعدد في ذاته وان حدوث الاجساد على سبيل الترتيب
والتعلق بالاسباب عادة جارية بحكم كثيرة ونكت غريبة يعرفها اهل الجزم والاطمئنان
وارباب التصفية والاستكشاف وتخلصت عن التحير والتردد في تعيين منشأ
التعددات وتبين حكم الترتيبات وتوجهت بقلب صاف سليم الى التلذذ
بخلوص العبادات وصفاء المناجات واما بعض مثبتي اصل الكلام
في شأن تحقيق هذا المقام لان المسئلة الاولى من مظان موهوماتهم وجلائل
مزعوماتهم لما عرفت ان اصول العالم كالعقول والنفوس الفلكية
وذوات الافلاك اذا ثبت قدمها امتنع عدمها لان علتها الاولى التامة
وجود الباري تع وعدمه بدون انضمام امر آخر كالارادة فيلزم من انعدامها
انعدامه وهو محال وممتنع واذا عرفت فساد دلائلهم الدالة على ذلك وان كون
الباري فاعلا مختارا لا موجبا بالايجاب الذاتي وان تعدد المصدر بل لا توجب

التركيب وان قدم الفاعل لا يستلزم قدم تعلق الايجاد وقدم المفعول وان لزم
كون العالم مع اصولها مسبوقا بالعدم علمت يقينا ان ما ورد من النصوص
الشرعية الدالة على حدوث العالم وفنائها وعلى الحشر الجسماني واللذات والآلام
الجسمانية يجب ان تجري على ظواهرها ولا تلتفت الى التمويهات الفلسفية المذكورة
الدالة على الاخراج عن ظواهرها وردها كلها الى اللذات والآلام الروحانية
واذا عرفت هذا التقرير بطلان دلائلهم في المسئلة الاولى من الثلث التي
اكفر فيها الفلاسفة فاعرف تقرير بطلان دلائلهم في المسئلة الثانية
من تلك الثلث فاعلم اولا ان بعض اهل الاهواء كالكرامية والمعتزلة وبعض
الفلاسفة لما اخمد واطمس نور عقلهم وبصيرة قلبهم غلبة وهمه
وظلمة زعمهم تهافتوا في ورطة ومهلكة فانكروا حشر الاجساد بوهم فاسد
وزعم كاسد لانهم قالوا ان تعين كل انسان وتميزه من الآخر بتعيين
المتشخصات والعوارض من الصورة الجسمية والنوعية والزمان والوضع
والهيئة واذا انعدمت صورته الجسمية وزالت وتفرقت عوارضه المتشخصة
وزمانه بعد تشخصاته لاسيما اذا اكله سبع او هوام واكل لحمه الى الجسد
او احرق وفرق اجزاؤه الى اطراف العالم فلا يليق بجلال الباري تع

وحكمته ان يعذب شخصا بجناية شخص آخر او يثيب شخصا آخر في مقابلة
عبادة غيره قلنا ان نقول في بيان فساد ذلك التوهم ايضا لا نم ان
الصورة الجسمية وسائر العوارض من الزمان والهيئة والوضع من الامور
الموجودة لان كل جسم عندنا مؤلف من الجواهر الصغار والصورة والمقدار
والوضع والهيئة الحاصلة بسبب الاجتماع امور اعتبارية لا يتغير جسمية ذلك الشخص
بتفرق اجزائه وتبدل وضعه وهيئته كما اذا فرق عشرة دراهم الى امكنة
مختلفة ثم جمعها في موضعها الاول يكون تلك العشرة بعينها ولا يتغير
بذلك جسميتها وان اختلف هيئتها ووضعها الاولى ولو تبدل الجسم وتغير
الزمان والوضع والمقدار يلزم ان لا يعاقب الجاني في حال شيخوخته او مرضه
بعد كونه شابا صحيحا وان لا يصح الزام مناظر بعد مرور ايام لتغير ازمانه
واوضاعه والتالي باطل بداهة وعقاب الجاني والمنازع في حالة الصبا
والمرض بعد كونه شابا وصحيحا لا يعاق ولو مرت بينهما اعوام كثيرة
ولا بد في هذا المقام ايضا من تمثيل فنقول ان الله تعالى عالم بجميع الاجزاء
الاصلية المتفرقة في اقطار العالم من كل شخص والمختلطة باجزاء بدن
شخص آخر من السباع والهوام وقادر على جمع اجزاء ذلك الشخص بعينه

من بين الاجزاء المتفرقة في اقطار العالم ومن بين اجزاء السباع والهوام
التي اكلت ذلك الشخص واختلط اجزاؤه باجزائها وعلى جمع اجزاء ذلك
الشخص بعينه وجعلها على هيئتها الاولى بعينه ويكون كل عضو
ولحم وعصب على هيئتها الاولى بعينها فلا يلزم اثابة شخص وعقابه مقام
شخص آخر ولا يلزم من عدم معرفة العبد القاصر عن تلك الاجزاء من
بين الاجزاء الكثيرة المخلوطة وعدم قدرته على جمعها بعينها وردها على هيئتها
الاولى ووضعها عدم معرفة الله تعالى اياها وعدم قدرته على جمعها
وجعلها على هيئتها الاولى بعينها لما عرفت ان قياس الغائب على الشاهد
لا يجوز بالاتفاق ولو سلم ان الجسم مركب من الهيولى والصورة نقول لا نزول
تنعدم بدن الانسان وتفرقه انعدام الصورة الاصلية كما اذا فرق
كفا من تراب الى اقطار العالم او جزأت ماء في جرة الى اجزاء صغار
كثيرة ثم جمعها وجعلها في ذلك الكف وتلك الجرة لا يكون ذلك
التراب والماء غير ذلك التراب الاول والماء الاول فان جماهير الفلاسفة
يقولون اذا اختلط العناصر الاربعة وصارت فردا من انواع المواليد
الثلث كالفرس المشخص مثلا لا تفسد فيه الصورة النوعية للماء والهوا

والنار والتراب واذا تفصل كل واحد منها تفصل تصور ان النوع نفسه
فيجوز ان تفصل كل واحد من العناصر الاربعة من بدن الانسان
بعد الموت وتفرق البدن وتخلط بجنسه ثم تفصل كل واحد
من اجزاء العناصر عن جنسه بعينه وتجمع في بدن ذلك الانسان
بعينه بدون نقص وزيادة ونقصان وذلك يسير على الله وان كان
عسيرا عليك ولقائل ان تقول ايضا ان المعاقب والمثاب والملتذ
والمتألم النفس الناطقة في الحقيقة كما ان المدرك والمخاطب والمكلف
هي في الحقيقة والاعضاء وقواها آلاتها والبدن والمعاد بمنزلة لباسها
فلا يلتفت الى تغير الاعضاء والقوى والبدن عند الحشر والمجازاة كما
اذا قيل شخص انا نانا بآلة ولباس غير آلته ولباسه فهل يحول لها فان
يقول هو غير ذلك القائل فلا يحكم عقله واذا عرف هذا القدر من التفصيل
والتحقيق في المسألتين فلنا ان نقول في المسألة الثالثة قولهم ان الله عالم بالكليات
لا بالجزئيات لان علمه بالجزئيات يؤدي الى تجويز وجود الحواس وتغير علمه
سبحانه على توهم فاسد وزعم كاسد بناء على اقتضاء العلم بالجزئي حاسة
ليس بدليل عقلي تام بل باطل وهمي اذ لم يروا ادراك الصوت واللون والطعم

بدون الحاسة فزعموا انه يمتنع بدونها وليس كذلك اذ يجوز ان يحيط
علم الله تعالى بجميع الجهات المحسوسة بدون الحاسة ولان تغير المعلوم لا يستلزم
تغير العلم فانك تعرف عند طلوع الشمس انها تغرب فاذا غربت الشمس تعرف
من غير تغير الاولى يكون مصدقا لذلك ومنشأ تعلق علمك بالغروب ولا فلا يلزم
منه تغير علمك الاول بل يلزم تحققه مع ان الاختلاف في تلك المسألة يرجع
الى تفسير العلم فمن قال انه نسبة بين العاقل ونفس المعقول يقول ان الله تعالى
عالم بالجزئيات على وجه جزئي ومن قال انه نسبة بين العاقل وصورة المعقول
يقول انه عالم بها على وجه كلي لان ادراك الحواس ليس بعلم فيجوز ان يكون
علم الله تعالى عبارة عن النسبة بين العاقل وذات المعقول او عبارة عن محل الادراك
او عن صفة ومعنى قائم بذاته وهذا القدر يكفي ايضا في المسألة الثالثة وقد
اورد المتكلمون هذه المسائل الثلث في كتبهم وبعلمي دلائل اهل الاهواء فيها
واشتغلوا بابطالها بايراد الدلائل والمنوع المشتملة على المقدمات الكثيرة
الغير اليقينية اكثرها بحيث يعسر ضبطها ولا يشفي قلوب المسلمين باظهار
ابطالها فلا يتطلع مادة الشبهة عن قلوبهم لخفاء اسبابه اكثر مقدماتهم فيميل
قلوب اكثر المستفيدين الى مذهب اهل الاهواء لموافقة اكثر مقدماتهم لا يلف

الوهم والعادة وقد لا يشعر هذا الفقير مناظرة كثير من اهل الاستدلال في سؤالهم
اياه عن مقاصدهم في اصول مذاهبهم ما نزل على قلوبهم ولذا ارتكب هنا
نقل اصول مذاهبهم الباطلة ودلائلهم العاطلة واستعمل ما اظهار فسادها واثبات
ما هو الحق بكلام موضح مكشوف وبالبراهين الدينية مكشوفا كما اورد بعض المتاخرين
من المتكلمين اصول الفلاسفة والمعتزلة وسائر اهل الاهواء في كتبهم بالدلائل
الشرعية والعقلية حتى يدفعوا بذلك شر المبتدعين ويردوهم من سماع كلام
اهل الاهواء لانتشار مذاهبهم في هذا الزمان ولذا قال بعض العلماء تعلم علم
الكلام فرض كفاية وان ذهب اكثرهم الى حرمته لفساد قلوب
اكثر المتعلمين من سماع ولحوق الغفلة والخلل والاحتساب عن الله والدار
من سماع كلامهم لم يشتغل ولم يتعمق ائمتنا كابي حنيفة وصاحبيه
في البحث عن صفات الله تعالى وحقائق مخلوقاته كما نقل بعض متكلمي
اصحابنا كذلك كما في منصوص وصرح بعضهم بان معرفة كنه صفاته
تعالى وبعض حقائق مخلوقاته مما لا يسلم الغائص فيه عن الافتراق غالبا ولا
يسأل المكلف في الصحيح عن معرفتها ولا يعاتب على ترك تعلم التعمق
فيها لا لعدم معرفتهم بها مثل ما عرفها اهل الاهواء والملحدون من متكلمينا

لان تحقيق تلك العلوم موقوف على تهذيب الباطن عن الاخلاق المذمومة
والمشتهيات النفسانية الفانية وتحليتها بالاوصاف المحمودة والملكات
الفاضلة وتوضيح الظاهر بالعبادات الشرعية والطاعات البدنية
وهم كاملون في ذلك فيكون ترك توغلهم في ذلك العلم لما ذكرنا لا لضعف
معرفتهم بل اشتغلوا بتدوين العلوم الفرعية وتشعيب المسائل الفقهية
كالعبادات الظاهرة والمعاملات والمناكحات وبينوا فيها الاحكام التي
بحسب تعذر وقوعها عادة وذلك التعريفات والتشعيبات لغلبة
رأفتهم على عباد الله وقصدهم الى ان مثل تلك المسائل النادرة لو وقعت
لا يتحيرون في معرفة احكامها لا لتحصيل الجاه والشهرة لان ذلك من اعظم
الآفات وافتح المنكرات عندهم لكن بعض اهل المكاشفة وارباب المراقبة
تعمقوا في البحث عن كيفية وجود ذات الله تعالى وكيفيات صفاته ومراتب
تنزلات الاسماء والصفات وكيفية نشأة التعددات والكثرات
في العلويات والسفليات ومراتب المكاشفات واثبت تلك الامور بعضهم
بوجه الاستدلال والبرهان وبعضهم بطريق الكشف والعيان ووقع في اثناء
سياحتهم وبيانهم ما يخالف ظواهر بعض النصوص الشرعية كما قالوا بان

وجوده مع صفاته عين ذاته لا امر زائد وبان المجردات موجوده وايجاد
البارى بها لا يحاب الذات وعدم تاثير قدرة العبد فى افعاله الا حسادتر
ولا هل الانصاف والعقل ان لا يتكروا ساحتهم فيما لا يحب انكاره
لانهم يقولوا مايخالف ظواهر الشرع لهذيها ولا لاجل اظهار فضلهم ومرتبتهم
فى الكشف والحال لان ذلك ذنب عظيم وابطال حال ورهبر عندهم
بل لحظا اهل الذوق والكشف الذين جاوا بعدهم ولم يسبق لهم شرف المصاحبه
والمجاورة معهم فارادوا ان يحاوروهم بوجه المراسله وتصاحبوهم بوجه
المكاتبه بعد الموت والمخاطبه من لم يشرف بعلم الذوق والمكاشفه يجب
عليه ان لا يطالع كلامهم حتى لا يؤدى ذلك الى التردد والانكار لان لكل
حد مطلقا ومراما ولكل حرف مدها ومقاما وحكاية موسى وخضر عليهما
السلام يرشدك الى ذلك لو تدبرت بوجه الحزم والاحتياط ويجب ان يتبع
امامه ومقتداه حنفيا كان او شافعيا فى الامور الاعتقاديه والفرعيه لان
المجتهدين كونهم بل يجب ان يعملوا فيما فهموا من ظواهر النصوص الشرعيه
وما ادى اليه رايهم بعد الجد والجهد على وجه التمكين والظاهر على وجه الشرع
والله ولا يعاتب على الخطاء اذا ادى وظائف الاجتهاد المطلوبه

باب المبعث وبدء الوحى

عن عكرمه عن ابن عباس قال مكث النبى عليه السلام بمكة ثلث عشر سنة
يوحى اليه ثم امر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلث وستين سنة
وعن عمار روى عن ابن عباس انه قال اقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويرى الضوء سبع سنين وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشر سنين قال
كيف يروى عن ابن عباس انه قال يوحى اليه بمكة ثلث عشر سنين وروى
ايضا انه قال يوحى اليه فيها ثمان سنين يقول قد عرفت ان الاقل يحمل ان يدخل فى
الاكثر ولا تنافى بينهما لان ذكر عدد اقل لا يدل على نفى الزيادة ويحتمل ان قال
ظهر لابن عباس لما راى النبى عم اذ يوحى اليه ثمان سنين فاخبر به ظهر انه يوحى
اليه ثلث عشر سنين فاخبر به فان قيل هذا يدل على ان الصحابة العدول قد يروون
الحديث بالظن والتخمين لا على سبيل العلم واليقين قلنا يجوز ذلك فى الامور التى
من التواريخ وغيرها لا فى الاحكام الدينيه لانهم يحتاطون فى امور دينهم غاية
الاحتياط وبيان مدة الوحى ليس من وظائف العبادات كتبيين سن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا اختلفوا فيه ايضا اذ روى عن ابن عباس انه
قال توفى وهو ابن خمس وستين وروى عن انس انه توفى وهو ابن ثلث وستين

وقال محمد بن اسمعيل روايته ثلث وستين اكثر ولو سلم ان العدول
بحلمهم ان يحافظوا في امر الدنيا ايضا عند الرواية لكن الانسان لا يخلو عن
السهو والنسيان فلعلهم نقصوا بعض وحي النبي عليه السلام وسنه لاجل اهتمامهم
وشدة اعتنائهم بالعمل بمقتضى قوله وحاله لا بعد سنه وملته وحينه ومكثه
في مكة والمدينة بخلاف فعلنا واحوالنا فانا استقصينا في حفظ
التواريخ ومدة الاحيان ولا نبالي بما فات عنا من وظائف الاحسان وصحة
الايمان ونرجو من فضله ربنا الرحمن ان لا يحمل حالنا على ذلك في احد
الازمان

فصل في المعراج

عن قتادة عن انس بن مالك
بن صعصعة ان نبي الله عليه السلام حدثهم عن ليلة اسري به فقال بينما انا
في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ اتاني آت فشق ما بين هذه الى هذه
يعني من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب
مملوءا ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد وفي رواية ثم غسل البطن بماء زمزم
ثم ملئ ايمانا وحكمة ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع
خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل

اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا ابوك
آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي
حتى اتى السماء الثانية حاصل المعراج ان كل سماء ما نزل في السماء الاولى ورأى عيسى
ويحيى وهما ابنا خالة في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء
الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة عمران
موسى قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته
اكثر ممن يدخلها من امتي واعلم انه لم يبك ولم يقل ذلك للحسد بل للقصور
في الجهد ووصول امته في المتابعة والطاعة لان كل نبي وامته لا يبلغ الى اعلى المراتب
في السعي والجهد وقال امته لا تصل الى مرتبة امة محمد في الجهد وفي الطاعة
فعدم البلوغ للتقصير فلهم لا للشيء قيل فضل الملك الكريم والرب الرحيم ورأى
ابرهيم في السماء السابعة وقال النبي عليه السلام ثم رفعت الى سدرة المنتهى
فاذا نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا اربعة
انهار نهران باطنان ونهران ظاهران قلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان
فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور
ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة

الى اسفلها واسكر ثم فرض علي الصلوات على خمسين صلوة كل يوم فرجعت
فمررت على موسى فقال بما امرت قلت امرت بخمسين صلوة كل يوم قال
ان امتك لا تستطيع خمسين صلوة كل يوم واني والله جربت الناس
قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك
فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع
عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت
فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات
كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات
كل يوم فرجعت فقال بما امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم
قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك
وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال النبي عم
سألت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم قال فلما جاوزت نادى مناد
امضيت فريضتي وخففت عن عبادي وروى ثابت عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون
البغل فركبته فاتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربطها الانبياء ثم دخلت

المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبرئيل عم باناء من خمر واناء
من لبن فاخترت اللبن فقال جبرئيل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء
وقال في السماء الثالثة فاذا انا بيوسف اذا هو اعطي شطر الحسن وقال في
السماء السابعة ابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم
سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها
كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت
فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها واوحى الي ما اوحى ففرض علي خمسين
صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى وقال فلم ازل ارجع بين ربي
وبين موسى اخي قال انهن يا محمد خمس صلوات كل يوم وليلة لكل
صلوة عشر فذلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان
عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
عن ابن شهاب عن انس انه قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فرج عن سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبرئيل ففرج صدري ثم غسله
بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئت الى السماء الدنيا قال جبرئيل لخازن السماء

افتح فلما فتح علونا السماء الدنيا لو رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة
اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال جبريل هذه الاسودة نسم بنيه
فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال اهل النار قال ابن شهاب اخبرني ابن حزم
ان ابن عباس وابا حبة الانصاري كانا يقولان قال النبي عليه السلام عرج بي حتى ظهرت
لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام الى ان قال ثم انطلق بي الى سدرة المنتهى وغشيها
الوان لا ادري ما هي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك عن
عبد الله بن مسعود انه قال لما اسري بي انتهى الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
اليه ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض
منها اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثا الصلوات الخمس وخواتيم البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله
من امته المقحمات عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني
في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشياء من بيت المقدس
لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما سالوني عن شيء
الا انباتهم وقد رايتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل
ضرب جعد كانه من رجال شنوءة واذا عيسى قائم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن

مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه
فحانت الصلاة فاممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك
خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام فان قلت قد وقع الاختلاف
بين الاحاديث الواقعة في وصف المعراج وقد تقرر ان المعراج واحد في الصحيح
الاصح فكيف وجه التلفيق والجمع بينها قلنا لا بد لنا ولا بيان وجه الاختلاف
وبعضه ثم جمعه وتوفيقه اما الاول فانه عليه السلام قال في بعض الاحاديث بينا انا في العروج
من الحطيم او من الحجر وفي بعضها من بيت ام هانئ وفي بعضها فرج عن سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري وقال ايضا في بعض الاحاديث
غسل قلبي بماء وفي بعضها غسل بطني بماء زمزم وفي بعضها فرج جبريل
صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي وقال في بعضها ثم عرج بي جبريل السماء
الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل
اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء واخبر وصوله الى بعض الانبياء في
بعض السماء وسلامه عليهم وردهم اياه وزاد على ذلك في بعض الاحاديث
وقال ذكر البراق واستصعابه وربطه بالحلقة التي يربط بها الانبياء

ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر
وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء
وقال فإذا أنا بيوسف في السماء الثالثة وقد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي
بخير وقال في السماء السابعة إبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله
كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون وقال في حديث آخر رأيت إبراهيم
في السماء السادسة ولم يذكر شاهد وقال في حديث آخر آدم في السماء الأولى قال
جبريل هذا أبوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح
والنبي الصالح وقال في حديث لما علونا السماء الدنيا إذا رجل قاعد على يمينه أسودة
وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال جبريل
هذه الأسودة نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة وأهل الشمال أهل النار وقال
في بعض الأحاديث سدرة المنتهى في السماء السابعة فإذا فيها أنهار نهران باطنان
ونهران ظاهران وقال في بعضها سدرة المنتهى في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج
وما يهبط ويغشاها فراش من ذهب وأعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله المقحمات قال في بعض الأحاديث وقد رأيتني في
بيت المقدس مع جماعة من الأنبياء وموسى قائم يصلي فإذا رجل جعد وعيسى قائم

يصلي أشبه الناس به عروة بن مسعود وإبراهيم يصلي أشبه الناس به صاحبكم
فحانت الصلاة فأممتهم مع أنه قال في حديث آخر رأيت الأنبياء في السموات
فلما وقع بين كتب الحديث في أمثال هذا الاختلاف من القواعد المذكورة لا سيما
فيما ذكرت في جمع الاختلاف الواقع في القرآن وأهله فإن أردت التفصيل والتوضيح
هنا أيضا يمكن أن يجمع الاختلاف بأن الأقوال المذكورة في معراج واحد لكن
رسولنا صلى الله عليه وسلم ذكر بعضها في موضع وبعضها في موضع أجمل تارة
وفصل أخرى بحسب اقتضاء المقام ولا بد أن يقع فيها يمكن أن يقع ابتداء العروج
من بيته عليه السلام وقوله بينما أنا لبعض بيته وذهب منه إلى الحطيم والحجر
للتبرك كما ذهب إلى بيت المقدس ثم عرج منه إلى السماء للتبرك وأن يقع شق الصدر فيه
ويخرج قلبه ويغسل في طست من ذهب مملوء إيمانا وحكمة ويغسل صدره
ويطهر أيضا لزيادة التصفية وإزالة الدم الفاسد الذي هو منشأ الأخلاق
المذمومة والأفعال النفسانية بحسب الطبع والتطهير حتى صار قابلا للكمالات
السرية ويملأ إيمانا وحكمة كما غسل في حالة صباه أيضا ثم ذهب إلى بيت المقدس
لفوائد وحكم يعلمها الله من التشرف بالأمكنة المتبركة في وجه الأرض وكذا
تشرف بأماكن العالم العلوي ورؤية عجائبها ثانيا وأن يعرف أن المقصد الأعلى

من المعراج الاطلاع على كمال عظمة الله وكمال علمه وقدرته بالاطلاع على عجائب العالم
العلوي لان الله منزه عن المكان والزمان والجهة ورؤية الانبياء في بيت المقدس
اولا ثم ثانيا في رؤيته اياهم في السموات لان طي الزمان والمكان من وظائف الاولياء
الذين هم كانوا اقدام الانبياء في الرؤية نوح الى السماء الدنيا ورأى آدم عليه السلام
فيها وفي يمينه اسودة وفي يساره اسودة ورأى يوسف مع شطر من الحسن وسلم عليه
ويوسف سلامه ورأى ابراهيم في السماء السابعة وهو مستند ظهره الى البيت المعمور
واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ويجوز ان يؤتى اناء من خمر واناء من
لبن في بيت المقدس وان يؤتى اناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل عند
وصوله الى البيت المعمور ويجوز ان يكون اصل سدرة المنتهى في السماء السادسة واغصانها
في السماء السابعة كما روي في بعض الاحاديث ان اصلها في الارض وينبع منها
نهران النيل والفرات ورئي في سدرة المنتهى فراش من ذهب وانواع من العجائب
والغرائب الحاصل يجوز ان يرى في المعراج عجائب وغرائب لا تحصى من اصناف
صنع الملك وطبقات السموات والجنة ويقع فيه افعال واقوال واسرار لا يعد
ولا يحصى وذكر بعضها بحسب اقتضاء المقام وافهام الانام ولم يذكر اكثرها
وقد حكي بعض العلماء بعدة العجائب في قصة المعراج وقال بعض الشراح في التوفيق

وقع المعراج مرتين مرة في النوم ومرة في اليقظة فبعض الاحاديث يخبر عما وقع في النوم
وبعضها عما وقع في الرؤية وذلك صحيح انما صح المعراجان لكن لا يتم ذلك في سدرة المنتهى
الا بما ذكرنا من التأويل وقد دفع بنحو هذه الاختلافات في قصص الانبياء المذكورة
في القرآن وقال بعض المفسرين في التوفيق بين النص والمقصود [illegible] ولا بأس في
اختلاف العبارات فانه يعرف بانه كلام القرآن في اعلى طبقات البلاغة وقد يعبر عن المعنى
الاصلي باختلاف النظم الدال على الخواص الزائدة ولا يتم التوفيق فيها الا بما ذكرنا
في توفيق احاديث المعراج وقد تعرض هذا الفقير في تفسيره ايضا للجمع والتوفيق
فيما يرى من البدائع الظاهرة بين الآيات ولسان التكلم فيما يجري على خلاف الظاهر
من التوسلات والتكميلات لدفع تردد المترددين

فصل في المعراج

قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في شأن الهجرة من مكة الى المدينة نظرت الى اقدام المشركين
على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت يا رسول الله لو ان احدا نظر الى قدمه لرآنا فقال
يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقال لما وصل سراقة قلت اتينا يا رسول الله
قال لا تحزن ان الله معنا ودعا النبي عليه السلام فارتطمت فرسه الى بطنها
في جلد من الارض ولما قصد ابو جهل الى وطء رقبة رسول الله في سجدته والصلاة
رأى خندقا ملئ بالنار والملائكة حاضرين [illegible] لو دنا الى رسول الله لاختطفته الملائكة

وقطعوا اربا اربا وقصد رؤساء مكة مع الف من جيوش الكفار ونزلوا اسد ركج
لحرب رسول الله من المدينة وبقوا الصحابة من عدة حتى لا يطيق بشر كما اسلم
رسول الله مع ضعفاء المهاجرين والانصار وهم ثلثمائة فنزل جبريل وميكائيل مع
الملائكة المسومين فهزموا جيوش الكفار وصرعوهم واحدوا رؤساء الكفار
ورمى ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كفا من الحصباء
ودخل عيون جميع الكفار وهم ذلك اربعة الاف فانهزموا فلما كان لرسول الله
تلك المعجزات والقدرة على دفع الاعداء ومضارهم بما مع التحرج والفرار
من الاعداء وحفر الخندق في المدينة لخوفهم وانهزام المؤمنين وشج رأس
رسول الله وكسر رباعيته وشهادة جمع من الاصحاب في احد واجتهاد رسول
الله في الدعاء والتضرع لدفع مضار الاعداء قلنا اعلم ان كل فعل من افعال
الله تع لا يخلو عن حكمة ومصلحة وعقول الانام قاصرة عن معرفة تفاصيل
حكمة كل افعاله ومصالحها فان العلماء الكمل وارباب القلوب
يكملوا في وحدانية الله وصفاته ويعرفوا فيها قواعد وضوابط لكن لا يسرع
واحد منهم في بيان قواعد وضوابط تبين مصالح جزئيات افعاله وحكم تفاصيل
صنائعه واتفق الكل على ان كل فعل من افعاله يشتمل على حكمة ومصلحة

وحكمة بعض افعاله تظهر بالتأمل وحكمة بعضها لا تظهر بكثرة التدبر فان خلق املاك الكفار
والعصاة وابتلائهم بالمصائب ظاهر وهو عصيانهم ومخالفتهم لامر الله وحكمة
لكن مصلحة ابتلاء بعض الصلحاء وغير المكلفين من الصبيان والمجانين بالقحط والوباء
والغيبة والقهر لا تظهر ويمكن ان يقال هنا لو استولى النبي عليه السلام على الاعداء دائما
بالجبر والاستبداد بحيث لا يتخلف ظهر الامر وسقط الاستدلال والايمان بالغيب مع ان
في الهجرة والتحمل على البلايا والمصائب فوائد جسيمة وعوائد عظيمة ودرجات
رفيعة لا تحصل الا بالمصائب والبلاء لا بالعلم والاستدلال والى ذلك اشار النبي
عليه السلام بقوله ان العبد اذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله
في جسده او في ماله او في ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغ المنزلة التي سبقت
له من الله تع ومع ان وصول اكثر المصائب كان بسبب ذنب ذكر كما اتفق في احد كما
رسول الله وعجبهم في غزوة حنين ومن بعض فوائد المصائب انكسار القلب
ومعرفة العجز والتواضع والتضرع والتوجه الكلي والوصول الى مرتبة الصابرين
ووصول بعض الصحابة الى مرتبة الشهادة وان نيل وصول الناس والمسؤول من الله
تع موقوف على التوجه الكلي والحضور التام وذلك لا يحصل في كل الاوقات لازدحام
العوائق من النفس وهجوم الهواجس الطبيعية الا بحسب ما يرى كما اشار الى

ذلك ان النبي عليه السلام يقول انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة وقد
عرفت ايضا ان استجابة الدعاء موقوفة على استجماع الشرائط ومن جملتها كون المسؤول
من المعلقات واذا كان من المبرمات يكون فائدة الدعاء المثوبة لا الاجابة
والله اعلم باب مناقب الخلفاء الراشدين
قال النبي عم في حق ابي بكر كافيناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله
بها يوم القيمة وقال لابي بكر ايضا انت صاحبي في الغار وصاحبي في الحوض
وقال لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غيره وقال لابي بكر ايضا انك اول
من يدخل الجنة من امتي وقال النبي عليه السلام في حق عمر بينا انا نائم رايت الناس
يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي
عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا فما اولت ذلك يا رسول الله قال الدين
وقال ايضا بينا انا نائم رايتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن
ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم اخذها
ابن الخطاب فاستحالت في يده غربا فلم ار عبقريا يفري فريه حتى روي الناس
وضربوا بعطن وقال النبي عم ان الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه قال عمر
لابي بكر يا خير الناس بعد رسول الله وقال ابو بكر اما انك ان قلت ذلك فلقد سمعت

رسول الله يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر وقال لو كان بعدي نبي لكان
عمر بن الخطاب وقال النبي عليه السلام في حق عثمان لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة
عثمان وقال النبي عليه السلام في حق علي انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه
لا نبي بعدي وقال ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن وقال من كنت
مولاه فعلي مولاه وعن انس انه قال كان عند النبي طير فقال اللهم ائتني باحب خلقك اليك
ياكل معي هذا الطير فجاء علي فاكل معه وقال انا دار الحكمة وعلي بابها فان قيل
قد يتوهم من ظواهر الاحاديث المذكورة ان عمر افضل من ابي بكر وعلي افضل من عمر
واستخلف رسول الله يكشف جواز تاخر علي في الخلافة وتقديم ابي بكر على جميع الصحابة
في الخلافة قلنا لما اجمع العلماء والصحابة الكاملون في علم الشريعة والسنة
على ان اولى الناس بالامامة ابو بكر رضي الله عنه ثم عمر دل ذلك على انهم اطلعوا
على دليل راجح في الدلالة على تقديم ابي بكر على الخلفاء الثلثة في الخلافة فلا يكون الاحاديث
الواردة في مناقبهم وفضائلهم ليست مقصورة على ما ذكره محيي السنة في المصابيح
ان قوله عليه السلام لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غيره يدل على انه اولى بالخلافة
من غيره ويرجح غيره عليه بالفضائل الغير الراجعة الى الامامة والخلافة لا ينافي ذلك
لما عرفت ان جهات التفضيل مختلفة يجوز ان يفضل احد على احد في فضيلة

حاصه وسصل عليه المفضول عليه بجهة اخرى وكذا الامر على عمر كان بجهة
راجعة الى باب الخلافة وسصل علي على عمر بسائر ذلك بجهة اخرى ككونه ازهد الخ عليه
وختنه وقوله عليه السلام انت منى بمنزلة هرون يجوز ان يكون لوائد لا تقدمه في باب
الخلافة بعد وفات النبي عليه السلام اذ روى ان سبب صدور هذا الحديث ان النبي عليه السلام
ذهب الى غزوة تبوك وترك عليا في المدينة وقال بعض المنافقين استثقل عليا ولذا تركه
فقال عليه السلام انت منى بمنزلة هرون لرد ذلك الطعن وسلى قلبه بعد قال تركتك لتقوم
مقامي فيها كما قام هارون مقام موسى عند ذهابه الى الطور وهذا لا يدل على تقدمه في الخلافة
لانه ترك ابن ام مكتوم من قبل في المدينة خليفة عند ذهابه الى الغزو وقوله وعلى ولي كل مؤمن
اى محبه ومحبوبه لا حاكمه قال الله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا وكذا
قوله فعلى مولاه اى محبه لانه من احبه رسول الله ويبغضه بغض لحبه وينصره وقيل سبب
هذا الحديث ان اسامة بن زيد قال لعلي لست مولاى انما مولاى رسول الله فقال
النبي عم ذلك الحديث لرد قول اسامة وليس ان عليا ان عمر وسنا كيف فيحمل له
ان يتصرف في مواليه ومماليكه وقوله احب خلقك ليس يجارى على عمومه لانه ليس باحب من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون المراد احب خلقه من اقاربه وبني عمه او المراد
من اسم المفضل الزيادة في حد ذاته فلا يلزم ان يكون مفضلا على الخلفاء الثلثه

في باب الخلافة واطلاق المطلق وارادة المقيد كثير في كلام الشارع وقد عرف
في اسالة فقد عرف ايضا ان جهات التفضيل مختلفة وعرف بعض ما يفضل به في
باب تفضيل الذكر على غيره من العبادات بجهة خاصة وفي تفضيل بعض الانبياء
على بعض بفضيلة مخصوصة وتفضيل نساء على غيرهن بجهات فاضلة وان بعض
جهات التفضيل يكون بحيث لا يعادلها جهات كثيرة من جهات التفضيل
فاذا اردت ان تسمع بعض ما يفضل هاهنا فاعلم ان ابا بكر رضي الله عنه
يجوز ان يكون مفضلا على غيره في باب الخلافة من جهة قوة يقينه وتوكله
وكمال جوده وعدم محبة الدنيا والرياسة في قلبه وكمال ورعه وكبر سنه وسابق
ما ساس الخلافة من الشرائط ويكون بعد ذلك عمر اولى الناس بالامامة والخلافة
من سائر الصحابة بالعدالة وقوة الصلابة في الدين والفرق بين الحق والباطل وكمال
الفراسة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يحكى ان الحبشة التي ترقص عند
رسول الله وعائشة تنظر فلما رات عمر رضي الله عنه فرت وتركت الجماعة وقال
النبي عليه السلام ان الشيطان لا يدخل في طريق يسلك فيها عمر وان جارية ضربت
الدف عند رسول الله فدخل ابو بكر وعلي وعثمان رضي الله عنهم ولم تترك
فلما دخل عمر القت الدف تحت استها فقعدت عليها فقال النبي عليه السلام الشيطان

ليحافظ بيتك يا عمر فان قلت اذا كان ضرب الدف ورقص الحبشة نفلا يسكر لم لم يمنع رسول
الله ذلك ورخص لعائشة النظر الى رقص الحبشة قلنا ضرب الدف والرقص يجوز
ان يكون يسكر لمن يكن وهالكن يكون مباحا اذا تضمن مصلحة راجحة كالكذب
فانه حرام لكن ابيح في بعض مواضع لمصلحة راجحة على قبحه ومزيلة اياه وهي رفع
العداوة بين المسلمين والحرب وطلب رضا احد الزوجين الآخر فيجوز ان يرفع
كراهة ضرب الدف لمصلحة العرس والعيد كما قال النبي عليه السلام نعمو فان
الانصار يعجبهم الغناء وكما ان الجاريتين يدففان في العيد فمنعهما ابو بكر فقال
النبي عليه السلام لا تنكر دعهما فانها ايام عيد وقيل الجارية لي ضرب الدف
عند رسول الله قد نذرت وقالت لو هزم الله الكفار وغلب عليهم لاضربن الدف
عند رسول الله فقالت لرسول الله اني نذرت ان اضرب الدف فاذن لها
رسول الله بالضرب فان قلت اذا كان كذلك ينبغي ان لا يقول رسول الله
ان الشيطان ليخاف منك يا عمر قلنا يجوز ان يكون ضرب الدف وكذا
الرقص منكرا بالتطويل واجتماع الناس المؤدي الى اللعب والبطالة والغفلة
ولذا قال النبي عليه السلام لعائشة عند تطويل نظرها الى رقص الحبشة اما شبعت
ويجوز ان يكون ضرب الدف والرقص رخصة ومكروها وعدم منع النبي لسان

جوازه واستحسان فعل عمر لبيان ان النبي اصل وعزيمة ويجوز ان يكون انقضا
تقدم عثمان على علي رضي الله عنهما في الخلافة لرجحان عثمان عليه في امر يرجع
الى الخلافة لما عرفت ان جهات التفضيل مختلفة ويدل على ذلك قوله عليه السلام
ارحم امتي بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان ويجوز
ان يكون علي رضي الله عنه افضل من سائر الصحابة سوى الخلفاء الثلاثة بالنظر الى شرائط
الخلافة من جهة كمال فطانته وفراسته وكونه ابن عم رسول الله كما قال النبي عم انت مني بمنزلة
هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقال انت اخي في الدنيا والآخرة وامن علي حين
قبله ابو بكر حين دعوا الى تبديد عهد الكفار فان قلت هذا يدل على انه مفضل على ابي
بكر في الخلافة قلنا ليس كذلك لما عرفت ان فضله ابي بكر في
الخلافة اقوى وجعله امير الحبشة في نبذ العهد لرعاية العرف في نبذ لا لكونه
مفضلا على ابي بكر في باب الخلافة لكن العرف على ان المعاهد والنابذ من الاقارب
واذا عرفت هذا القدر من التفضيل هان عليك توهم التعارض في فضائل الخلفاء
الراشدين من كون كل واحد افضل من غيره كما عرفت ان النبي عليه فضل كل عبادة
على غيرها بجهة خاصة وبين قبح كل معصية في بابها بجهة تنبيهم منه انها اقبح المعاصي
واغلظها وذكر الترغيب في جميع العبادات والتحذير والمنع عن جميع السيئات والمنكرات

هذا كثير في اساليب البلغاء وطرائق الخطباء ولذا فضل النبي عم بعض الصحابة على غيره
بخصلة خاصة لتسليته وبيان فضله بتلك الصفة المفضلة المستحسنة وترغيب السامعين
في تحصيلها وتحريضه كما قال النبي عم لكل نبي حواري وحواري الزبير وهذا لا يدل على فوقه احد منهم
في محبة رسول الله ويجوز ان يكون ذلك على وجه المبالغة وفضل سعد الحسنى فقال
ارم يا سعد فداك ابي وامي وفضل عبيدة بن الجراح بكمال صفة الامانة فقال
لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة ويجوز ان يراد بها الامانة في شيء مخصوص لا على الاطلاق
وفضل زيد بن ثابت على غيره بكمال في علم الفرائض وقال افرضهم زيد بن ثابت
وفضل ابيا على غيره بقراءة القران فقال اقرأهم ابي وفضل معاذا على غيره بسبب
الاجتناب عن الشبهات وقال اعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وفضل
عليا على غيره بكمال علم القضاء فقال اقضاهم علي وفضل اسامة بن زيد عتيق رسول
الله على اقاربه من جهة طول خدمته وادابه فيها وكونه عتيقه كما سال علي وعباس
عن احب خلقه واقاربه وقال احب اهلي الي من قد انعم الله عليه وانعمت عليه
قال الله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك
نزلت هذه الاية في حق زيد ابي اسامة الا ان نعمة الاب نعمة الابن ولذا امتن الله
على بني اسرائيل الموجودين في زمان محمد صلى الله عليه وسلم في كثير من المواضع بالانعام

الذين وصل الى ابائهم كالانجاء من فرعون ومن الغرق ونحو الانعام في التيه بامر الله
على زيد هدايته الى الايمان وانعام رسول الله عليه اعتاقه ابا اسامة وقال بعضهم قال عمر
علي وقال عباس جعلت عمك اخرهم قال انما سبقك بالهجرة وفضل عمارا الحسن
وفضل ابن ام عبد الحسن فقال اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن ام عبد وفضل ابن
مسعود بحسن الراي والوصية وهو اول من شهد باستحقاق ابي بكر بالخلافة بعد رسول
الله واعلم ان تفضيل اكثر المذكورين على غيرهم فيما كان بخصوص مخصوصا وطريق مسالمة
كما تقول في مسالة مدح شيء ليس مثله في الدنيا وليس افضل منه مع انك ونحو ذلك تعلم
ان الامثل منه اكثر وان ورد ذلك في صورة الاطلاق كما قال النبي عم لو كنت مؤمرا احدا من غير
مشورة لامرت ابن ام عبد عليهم وهذا في الامارة على جيش معين لا في مصاف الحرب والحال
فلا يلزم منه ان يكون ابن ام عبد اولى بالخلافة من غيره مطلقا **باب**
مناقب ازواج النبي عم قال النبي عم خير نسائها مريم بنت عمران وخير
نسائها خديجة بنت خويلد واشار وكيع الى السماء والارض قال بعض الشراح الضمير في
نسائها الاولى في زمان مريم والثانية في زمان خديجة والمراد من اشارة وكيع انهما افضل من كل
واحدة منهما في زمانها فيما تحت السماء وفوق الارض ويحتمل ان لا يكون ترجيح مريم على خديجة
خاصة لها وكذا ترجيح خديجة كما قال النبي عم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر

الطعام وقال عليه السلام لفاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة ونساء
المؤمنين وقال احب اهلي الي فاطمة بنت محمد واعلم ان تفضيل مريم على غيرها من النساء
يجوز ان يكون بجهة خاصة لها ككونها معاذة من تسلط ابليس وكون عيسى منها ونفخ جبريل
عليها وخدمتها في بيت المقدس وتفضيل خديجة ايضا بوجه مخصوص بها كاعتقاد رسول
الله ايمانها في وقت احتياج وعونها لرسول الله عند ضعف الاسلام كما قال النبي عم
مما بان علينا سبقها بالنجح وربات تحتها الرسول الله ووجه ولد لرسول الله
منها وتفضيل عائشة ايضا بزفافها الى رسول الله في حال صغرها وكونها بنت
صديق واتاه جبريل عليه السلام صورتها في قطعة حرير وامر رسول الله بنت
وحيا وزيادة محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها وكون تلك المحبة فضلا لها وان
لم يوجد غيرها وتفضيل فاطمة ايضا من جهة انها ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جهة شبهها
برسول الله في الخلق فعلى هذا يندفع التدافع الظاهري لما عرفت جواز كون شيء
فاضلا من جهة ومفضولا من جهة وكون ابن مالك تفضيل مريم باعتبار زمانها لكن لا يصح
ذكره في بعض المذكورات والوجه الاول انسب ولما الكثير اعتياد البلغاء والخطباء سلك الجمع في
المدح والتفضيل

باب جامع المناقب

قال النبي عم اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ فان قلت يلزم منه ان يكون سعد بن
معاذ اشرف من سائر الصحابة قلنا لا يلزم لما عرفت ان التخصيص بالذكر
لا يدل على نفي ما عداه ويحتمل ان يكون ذلك عبارة عن تعظيم ربه وعجزه
كما قال الله في الهول تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ولو سلم ان يراد منه ظاهره يجوز ان يكون
ذلك لخصوصية في سعد ولا يلزم منه تفضيله على غيره على الاطلاق كما
عرفت مثل ذلك في باب مناقب المؤمنين رضي الله عن انس قال افتخر الحيان الاوس بعدد
رجال منهم على الخزرج وافتخر الخزرج ايضا عليهم باربعة رجال وقالت
الاوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب ومنا من حمته الدبر ومنا من اجيزت
شهادته بشهادة الرجلين خزيمة بن ثابت ومنا من اهتز العرش لموته سعد بن
معاذ وقالت الخزرج اربعة منا جمعوا جميع القران في عهد رسول الله زيد بن
ثابت ومعاذ بن جبل وابو زيد وابي بن كعب وقد عرفت ان بيان التفضيل
بعدده وتفاوته ويجوز ان يفوق واحد على واحد من وجوه كثيرة
وان لا يلزم من التفضيل بجهة كونه منفصلا من جميع الوجوه وقال النبي عم لابي بن
كعب ان الله امرني ان اقرا عليك القران وقال ان الله سماني وقال عليه السلام
نعم فبكى لشدة وجده وروي انه عليه السلام قرا عليه لم يكن الذين كفروا

وتخصيص اثر من بين القراء وتخصيص لم يكن من بين السور لم يكن
على سبيل الاتفاق بل كان لسبب خفي وحكمة تخصيص وروي انه عليه السلام
قال عند نزول قوله تعالى وان تتولوا قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
المراد من الفرس سلمان وقومه وضرب يده على كتف سلمان وقال لو كان الدين
عند الثريا لتناوله رجال من الفرس ولا نفهم منه ان الفرس خير من العرب لانه
عليه السلام قال في حق العرب خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ثم يفشو الكذب وفضل المهاجرين والانصار بوجوه كثيرة على غيرهما بل المراد من
تفضيل الفرس تفضيلهم بجهة لا توجد في العرب كتشرع تمسكهم بالايمان وتصديق
الرسول مع بعدهم عن مهبط الوحي وعدم كونهم من قبائل رسول الله وهم
العرب والاشبه ان يكون تفضيلهم على قوم مخصوصين من العرب لا على الاطلاق
لوجه قوله تعالى وان تتولوا لان الخطاب لم يقع على كل العرب فيجوز ان يكون
سلمان وقومه افضل من القوم المعرضين عن الامتثال بامر الرسول قال النبي عم
في تفضيل الانصار لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك الناس واديا
وسلكت الانصار واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم وقال الانصار شعار والناس
دثار فان قيل يلزم من هذا ان يكون الانصار افضل من المهاجرين وليس كذلك

لان الخلفاء الاربعة من المهاجرين وهم افضل من الانصار بالاتفاق قلنا ذلك قرينة
على ان المراد من الاحاديث المذكورة في حق الانصار غير ظاهرها فالمراد من تفضيلهم
التفضيل بجهة مخصوصة فهو ايثارهم واتيانهم بالمهاجرين ونصرتهم لرسول الله بالمال
والنفس عند اتمام الاحتياج الى المعاونة فيكون هذا تفضيل الانصار من وجه
لا على الاطلاق لما سبق فيهم ويعطيهم على وجه المبالغة وقد عرفت هذا الامر ايضا وقال
النبي عم ان الجنة تشتاق الى ثلثة علي وعمار وسلمان فان قيل يلزم منه ان يكون
الثلثة افضل من الخلفاء الراشدين وغيرهم قلنا لا يلزم لما عرفت ان لا يتم الحصر من
التركيب فلا يدل على اشتياق الجنة الى غيرهم ثم يجب على المتتبع ان لا يترك النكتة
في التخصيص المذكور فنقول يجوز ان نقول النبي عم ذكر في قصة خاصة وان يكون
ذلك التخصيص لبيان زيادة درجاتهم وبلوغهم بالصبر على الفقر والاحوال الى درجات
في غاية احوالهم كما فضل يوسف عليه السلام بذلك العفاف على غيره ولا يلزم
منه التفضيل على جميع الصحابة لما عرفت ان التحلي والتكشف والاشتغال بالمناجات في الخلوات
افضل باعتبار الذات والاشتغال بالعبادات البدنية لكن نشر العلوم الدينية مع الاختلاط
بابناء الدنيا والاكمال بمعيتهم وتعلق القلب بهم لارشادهم ودعوتهم الى عبادة الله
وتعليمهم امور دينهم افضل من الخصلة الاولى باعتبار المراتب واتصال النفع الى عباد الله

لان ذلك من نتائج الرأفة على خلق الله تع والاعتناء بالخائفين من عباد الله وذلك من اعظم
الوسائل ولهذا قال النبي عم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقال المسلم الذي
يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم ولهذا
كانت مرتبة الرسالة اعلى من مرتبة الولاية وحكاية موسى وخضر عليهما السلام تشير
الى ذلك لو تفكرت بدقة بالك وحضور حالك فان خضر عم ترك مصاحبة موسى وانكر
على فعله وسؤاله وقال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتأويل ما لم تستطع
عليه صبرا مع ان موسى عم افضل من خضر عليهما السلام لانه قد اشتغل بارشاد
عباد الله تع ودعوتهم الى طاعته ونهيهم عن المعاصي ومخالفته واشتغاله بذلك
عن المداومة على العزلة والتجلي والمكاشفة وتشرف بمرتبة الرسالة واعلى الدرجات
الرفيعة وقال النبي عم الايمان يمان والحكمة يمانية لرياح رقة قلوبهم وصفاء بواطنهم
او لوجود تخصيص فيه وحدوث كمال الايمان والحكمة في ذلك الوقت او قال ذلك
بالنسبة الى قوم مخصوص لم يسلع (؟) فوق ايمانهم وحكمهم الى اهل اليمن ولغلبة اهل الايمان
والحكمة فيه في ذلك الزمان كما قال النبي عم الفخر والخيلاء في اصحاب الابل والسكينة والوقار
في اهل الغنم باعتبار العلية او باعتبار اقتضاء الخلقة والاكثرية او باعتبار رضاعة صحة
كل صنف من الحيوان تخلق اصحابها طبعه وصفته ويحتمل ان يكون المراد من اليمانية الحجاز

كما قال في موضع اخر الايمان حجازي ويؤيد ذلك ان النبي عم قال الايمان
يمان في غزوة تبوك ومكة والمدينة كانتا في جهة اليمن من تبوك وهذا اولى
الوجوه واقربها الى القبول عن ابي هريرة انه قال ذكرت العجم عند رسول الله
فقال النبي عم لانا بهم او ببعضهم اوثق مني بكم فان قلت يلزم منه ان يكون العجم
مطلقا خيرا من العرب مطلقا قلت قد عرفت مرارا ان الحديث كثيرا ما يطلق
ويراد منه المقيد والاحاديث الصحيحة كثيرة في تفضيل الصحابة على العجم
خصوصا كان بعضهم من الخلفاء الراشدين حتى قال من رأى من اصحابي
احدا لا يدخل النار فيكون المراد من قوله بكم قوما مخصوصين من العرب كما
روي في بعض الاحاديث انهم قوم حرضهم النبي عم على الانفاق فامتنعوا كما قال
الله تع في حقهم ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل
وقال بعده ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
اي امثالكم في البخل بل يكونوا باذلين انفسهم واموالهم في سبيل الله ولا يبعد
ان يكون العرب خيرا من العجم بجهة لوي (؟) باعتبار ان القرآن نزل بلغتهم وان
نبينا عليه السلام كان من جملتهم وكانت الكعبة وقد سماهم (؟) في ديارهم ويكون
بعضهم مذمومين بالبخل وغيره من القبائح ويكون بعض العجم افضل منهم باعتبار

سيرة عساكرهم ببلادهم مع الصدقة عن صحبة النبي وسط الوحي وتكون معه الحديث وتوقي
واعتمادي بعض العجم ازدرين وتوقي واعتمادي بعضهم لصم فاضل وعماد كاملة
توحد فيه كلامكم وقد عرفت ان امثال هذه الحديث كثير مثل ما قال النبي عم اتي من اشد امتي
لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله وقال عليه السلام ان رجلا يأتيكم
من اليمن يقال له اويس لا يدع باليمن غير ام له قد كان به بياض فدعا الله فاذهبه الا موضع
الدينار او الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم المقصود من ذلك ان التمسك بالدين والشريعة
عند الفتنة سبب الرفعة والفضيلة بشكل الحمد لان ذلك يدل على كمال الاخلاص والمحبة
وليس المراد منه ان قوما يأتون بعد النبي افضل من الصحابة والخلفاء الراشدين ولا ان اويسا
افضل منهم اذ يكون طلب دعاء الفاضل من المفضول كما اشتد على النبي عم الدعاء من ضعفاء
المهاجرين عند الخروج الى الغزو وقال النبي عم طوبى للشام لان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها
عليها وذلك لنسبة الى بلد الروم كما النسبة الى مكة والمدينة والمراد من الشام مقابل
الروم او بالنسبة الى فتنة مخصوصة وغير ذلك وقال غلظ القلوب والجفاء في المشرق
والايمان في اهل الحجاز وذلك باعتبار الغالب ولا بعد ان يوجد بعض ارق قلبا واتقى
دينا من بعض في الحجاز قال النبي عليه السلام ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي
لهجة اصدق ولا اوفى من ابي ذر شبه عيسى ابن مريم وانت تعرف ان ابا ذر ليس اصدق

ولا اوفى من ابي بكر وعمر وان المراد من ذلك المبالغة في صدقه ووفائه او بالنسبة الى
قوم مخصوص ووقت مخصوص وقال النبي عم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا
الايمان يمان والحكمة يمانية وهذا ليس محمولا على الاطلاق ولا ان كل اهل اليمن ليس افضل
في الايمان والرقة من اهل مكة والمدينة بل ذلك بالنسبة الى المخاطبين المخصوصين في قوله
اتاكم او بالنسبة الى الجاسين او باعتبار الغالب او المراد من اسم التفضيل الزيادة المطلقة
او المبالغة والاكمال وقد عرفت ان معرفة القرينة الصارفة عن ارادة الحقيقة بسرو
نفس التاويل المناسب صعب عسير واما الطيب العبد الحقير افقر الانام الى رحمة ربه الملك
العلام بما اصل الكلام في هذا الباب فالمقام كما اطنب باب الايمان والاسلام وباب
عذاب القبر والدعاء والتوبة والاستغفار ورؤية الحلو وفضل النبي عم لعوائد مجيمة
وبكد سهم ولا اطلاع على ان فضل الاعمال والا مكان والصفات ونسخ بعض الحاد
والاخلاق والسيئات على بعض كثير في صورة اطلاق الجهات وان كان المراد
من ذلك التفضيل والترجيح بعض الصفات والاعتبارات وان ذلك يشوش
قلوب المبتدئين في مواضع كثيرة من الاحاديث والايات لعدم كثرة ممارسة
ستهم وندرتهم في العلوم الشرعية والفهم بالفنون الرسمية والقواعد العلمية
وذهولهم عن ان اكثر من النصوص الشرعية جار على خلاف مقتضى الظاهر والصيغة

لرعاية مقتضيات الوعظ والنصيحة وان الواجب على كل عالم يتصف
بمقام النصح والارشاد ومقام الوعظ وتعليم زاد المعاد ان يجعل اعظم
مهامه واجل مقاصده الاهتمام في دفع التعارض الظاهري عن وجوه كلام
الشارع بالجمع والتوفيق في تبيين طرائق التاويل والترجيح والتحقيق حتى يقلع
ويستأصل التردد والتزلزل عن قلوب المستدلين العاجزين عن التوفيق والتحقيق
ويُحكَم توجههم وقصدهم الى الاشتغال بتحصيل العلوم الشرعية وتكميل انفسهم
بالصفات الكاملة والعالية وقد كان هذا الفقير عالما بقصور بضاعته في
التدقيق والتحقيق ونقص طاقته في التاويل والتدقيق وعدم اقتداره على
الولوج في هذا المضيق والغوص في البحر العميق لكنه نظر في ان قصور حال
العباد مختلف في فهم المراد ولا يكمل العلم الا بتلاحق الافكار وتتابع
الانظار وقد يحط اخرى الى ان ينتهي الى الشكل المنتج بالذات للمطلوب
ويبين كل المقدمات والشكل والنتيجة ثلاث اركان المطلوب وقد وجد
ما كل ا ب وكل ب ط فان حصل لنا وسط يجمع بين ب و ه بان يقال كل
ب ... وكل ... ه فقدم لنا الشكل والاقلاب يكون له نسبة الى الشيء
ورضينا ... حتى يحصل كل ذلك فيقع ذوق ويطلب ... وسطا

وهكذا الى ان يتم العمل واعلم ان العلم الاستدلالي ينتهي الى العلم
الضروري وهو منقسم الى الوجدانيات ولا فائدة فيها للمناظر لاختلاف
الناس في الوجدانيات فلا يتصور فيه الالزام والى الحسيات والبديهيات
لان الحكم فيه اما بمجرد العقل وهو البديهي ويندرج فيه قضايا
قياساتها معها او العقل مع معاونة الحس الظاهر والباطن وقد عرف
ان المناظر لا يستعمل الوجدانيات في المباحثات مع الخصم ويستعمل البديهيات
والمحسوسات لكن المحسوسات في افادة القطع قد يحتاج الى تكرر حس السمع
يسمى ذلك بالمتواترات وقد يحتاج الى تكرر حس غير حس السمع ويسمى
ذلك بالتجربيات وما يسمى حدسيات اما مندرجة في البديهيات
او في الحسيات لكن الناس اختلفوا في افادة البديهيات والحسيات
العلم واكثر اهل النظر يعترفون بافادتها القطع واليقين وبعض اهل الاستدلال
ينكر افادة الحسيات القطع وينسب ذلك الى افلاطون وجالينوس
وارسطو وبطليموس ولعلهم ارادوا ان جزم العقل فيها ليس بمجرد الحس
بل مع امور ينضم اليه فيضطر الى الجزم لا نعلم ما هي ومتى حصلت وكيف
حصلت ولا ننتهي اليها علومهم فكيف ينكرونها وقالوا الحس

لا نحكم في الكليات ونغلط في الجزئيات كما نرى الصغير كبيرا
كالسراج المرئي في المسا والبعد والحلم المقترب الى العين ونرى المعدوم
موجودا كالسراب ونارية صاحب حمرة البدن وكما نرى الشط متحركا
والسفينة ثابتة ونرى الشجر في وسط النهر منعكسا مع ان الامر بالعكس والنائم
يجزم في نومه بوجود اشياء معدومة ويحتمل مثله في اليقظة واجيب
بان العقل لا يجزم بمجرد الحس بل بمعونة قرائن يدل على انتفاء الاحتمالات
المذكورة وبعض المستدلين يعترفون بافادة الحسيات القطع واليقين
وينكرون افادة البديهيات للعلم اذ الاقوى اضعف من الحسيات
ولذا قيل من فقد حسا فقد فقد علما كالاكمه والعنين ولهم شبه الاولى
اجلى البديهيات الشي اما ان يوجد او لا يوجد وذلك لا يفيد اليقين ثم باقي
البديهيات يرجع اليه كقولنا الكل اعظم من الجزء والا فالجزء معتبر وغير
معتبر والجسم الواحد لا يكون في مكانين في زمان واحد والا لانتمى عن جسمين
في مكانين فالجسم الاخر معتبر وغير معتبر وكل ذلك لا يفيد العلم لانه يتوقف على تصور
الموجود والمعدوم والتميز بينهما ولو كان للمعدوم تميز لكان ثابتا وله حصة
والجواب ان المفهوم والمتميز مفهوم المعدوم ولا يلزم منه ان يكون له حصة

وجود في الخارج الثانية انا نجزم بالعاديات كجزمنا بالاوليات فانا جزمنا بان
الشيخ لم يلد من امه متجاوزا ولا وام ولم يسلك اواني الذهب بعد حتى يشاهد
فصلاء ونبات من [illegible] حاكم لكن احتمال الشيخ في الكل قائم بالنسبة الى قدرة
الله تعالى او بالحوادث الفلكية الجارية للعادة عند الفلاسفة والجواب ان
الامكان العقلي لا ينافي الجزم الثابت للامزجة والعادات ياتي في الاعتقادات
سوى القلب يستحسن الايلام وحرارة الحمام وضعف العقل [illegible] سالم منهما ومن
مارس مذهبا يحكم بثبته وحقيته يكن صحة والجواب ان ذلك لا يدل
على ان يكون كل البديهيات كذلك الرابعة من اول العلوم العقلية
مدلا على تعارض الحجج القطعية فلما ذكر لوجوه الخلل في مادتها وصورتها
والسوفسطائية قالوا لا نعتمد البديهيات والحسيات العلم لان دليل الوسيط
مذهبهما والنظر فرعهما ولا طريق غيرهما وقد منع المحصلون المناظرة معهم
لانهم لا يعترفون بمعلوم حتى يثبت مجهولا بطريق النظر الاحتمالهم
الضرب والاحراق حتى يعترفوا بوجودات
الحسيات وعلمها هذا ما جمع بعض
تلامذتي فعرض علي م